ديوان

علي أحمد باكثير

أزهار الربى في شعر الصبا



تحقيق وتقديم

محمد أبو بكر حميد

الدار اليمنية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم



ديوان
علي أحمد باكثير

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

الدار اليمنية
للنشر والتوزيع

توزيع
دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع
تليفون : ٨١٤٧١٦
٨١٤٦٩٧
ص. ب : ١٤/٥٦٤٥
بيروت - لبنان

ديوان

علي أحمد باكثير

أزهار الربى في شعر الصبا

تحقيق وتقديم
محمد أبو بكر حميد

الدار اليمنية
للنشر والتوزيع



صورة تاريخية للشاعر
في صباه في حضرموت

فـإن لم أقـلها فـذةً عبـقـريـةً
فلست لميراث امرىء القيس حاويا

علي أحمد باكثير

مقدمة

يقف علي أحمد باكثير في مركز الصدارة بين أدباء العرب المعاصرين، وذلك للمعان نجمه في عالمي «المسرح» و«الرواية»، وسطوعه كثيرا في الحياة الأدبية، لوقوفه وراء أكثر من ريادة، ولعطائه المتنوّع في أكثر من جنسٍ أدبي، ولمواقفه الشريفة التي يكون وراءها دائماً التزامه العربي الإسلامي الجاد، ذلك الالتزام الذي أعطاه ملامحه الفكرية الثابتة طوال حياته، وميّزه عن أدباء زمانه.

وقد كان هذا «التميّز» في تنبهه إلى قضايا أمته، وفي جرأته في الحديث عن هذه القضايا، وتناوله لها في أعماله حتى في الظروف التي يمكن أن تضرَّ به شخصياً، وقد كان نتاج هذه الجرأة غزارة في الإنتاج، وطموحاً فنياً لا يحد. فنجده في ليل الأربعينات يطلق روايته الشهيرة «وا إسلاماه»، ويتحدث عن عدالة النظام الإسلامي في «الثائر الأحمر». ومنذ منتصف الأربعينات تبدأ مسرحياته تتصدر المواسم المسرحية بنجاح كبير، وتلح عليه فكرة الثورة على الحكم الفاسد في مسرحياته قبل ثورة ٢٣ يوليو مثل «أخناتون ونفرتيتي» و«سر شهرزاد» و«الفرعون الموعود» و«مسمار جحا».

وفي هذا كله لا يقف باكثير كاشفاً لهذه الأحداث التي تمر بها أمته فحسب بل يسبق هذه الأحداث على نحو ما نجد في مسرحية «شيلوك الجديد» ١٩٤٤ التي يتنبأ فيها بقيام دولة إسرائيل قبل قيامها بثلاث سنوات! ثم نجد فلسطين تسيطر على تفكيره في شعره وفي مسرحياته مثل «شعب الله المختار»، و«إله إسرائيل»، و«سفر الخروج الأخير» و«التوراة الضائعة» التي كانت آخر ما نشر له.

وقد نال باكثير عن مسرحياته ورواياته العديد من جوائز المباريات الأدبية

وخاصةً في الأربعينات، ثم حصل على جائزة الدولة سنة ١٩٦٢م عن مسرحية «هاروت وماروت». ورغم هذا النجاح والجرأة والجد إلا أن أديبنا قد لقي في السنوات العشر الأخيرة من حياته الكثير من الجحود والنكران حين وجد قوماً يشنون حرباً طاحنة عليه، ويصرون على إطفاء نوره تماماً من خلال إبعاده عن خشبة المسرح، وإغلاق أبواب النشر في وجهه، وسحب الأضواء عنه ثم مهاجمة حفنة من النقاد المأجورين له إلى جانب تجاهل دوره البنّاء في تاريخ المسرح العربي، ونكران دوره الريادي التجديدي في المسرح الشعري العربي، وأثره في تطوير الرواية العربية التاريخية.

ومع ذلك فإن باكثير لم يتظلّم، ولم يتحدث عن نفسه كثيراً، وإنما استمر يكتب العديد من المسرحيات إلى أن توفاه الله في ١٠ نوفمبر ١٩٦٩م تاركاً خلفه قرابة سبعين مسرحية وست روايات وعشرات التمثيليات والقصص القصيرة إضافة إلى تراثه الشعري الضخم الذي يمتد بامتداد عمره، مؤمناً بأن التّاريخ الأدبي سيقول يوماً ـ من بعده ـ كلمته المنصفة، وقد بدأ يقول. . . .

١

بدأ علي أحمد باكثير حياته مع الشعر صبياً صغيراً في حضرموت، حين أرسله والده طفلاً إليها وهو دون الثامنة من عمره[١] كعادة الحضارمة في إرسال أبنائهم من مهاجرهم إلى أوطانهم الأصلية. وفي مدينة «سيئون» ـ التي تعتبر مركزاً من مراكز الإشعاع الديني والثقافي بحضرموت ـ وجد الصبيّ الصغير علي أحمد باكثير نفسه تغرف من فيض هائل من كتب التراث الإسلامي والشعري القديم، ووجد نفسه تتكون في بيئة محافظة لا تعرف من الأجناس الأدبية إلا الشعر فناً أثيراً، ولا تعرف من العلوم إلا الدراسات النحوية والفقهية، فاتصل اتصالاً حميماً بهذا الجو. ثم وجد نفسه في سن الثالثة عشرة «يدندن» بالشعر ـ كما يذكر في أحاديثه ـ.

وقد أظهر الشاعر الشاب تفوقاً رائعاً ومبكراً في علوم عصره، وفي سن صغيرة عمل مدرساً بمدرسة النهضة في سيئون، ثم مديراً لها، وأصدر مجلة «التهذيب» لمدة سنة، وصدر العدد الأول منها في شعبان سنة ١٣٤٩هـ الموافق أول يناير ١٩٣١م.

وفي الفترة التي عاشها في حضرموت نجده يخوض تجربة الزواج

(١) ولد شاعرنا بمدينة سورابايا بأندونيسيا لأبوين يمنيين من حضرموت ولا نعتقد بتاريخ ميلاده سنة ١٩١٠، ونرجح أنه ولد قبل ذلك التاريخ بكثير. فنحن نجد من خلال اتصالنا ببعض رفاق صباه، ومن خلال قصائد هذا الديوان التي تدلل على أن ميلاده قد تم قبل هذا التاريخ، ونرجح بأنه ولد سنة ١٩٠٣م على الأقل، لأن واقع حياته يقول أنه في سنة ١٩٢٦م كان مديراً لمدرسة النهضة العلمية في سيئون، ولا نرى أنه من المعقول أن يكون قد أدار المدرسة وهو دون سن العشرين.

ثلاث مرات[1] كان أنجحها وأكثرها حزناً زواجه الثاني، ذلك لأنه قد أحب هذه الفتاة حباً عظيماً جارفاً، وذلك لأنه لقي عنتاً من زواجه منها، وعندما ينجب منها طفلة يحس الشاعر الشاب أن الدنيا ابتسمت له، لكن القدر لا يتركه يهنأ بعشه الزوجي، فبعد فترة قليلة تختطف منه زوجه بالموت بعد مرض عضال، ثم تموت الطفلة غرقاً في بركة ماء بعد وصوله مصر بقليل. وقد ترك موت هذه الزوجة أثراً بارزاً في أدب شاعرنا وشعره طوال حياته، فلقد بكاها في العديد من القصائد، وقصة مسرحية «همام أو في عاصمة الأحقاف» تدور حول مأساة فقدها وقصة الحصول عليها(!!)، كما أننا لا نعدم أثرها وظلها في حب أخناتون لزوجه الراحلة تادو في مسرحية «أخناتون ونفرتيتي» الشعرية التي كتبها في مصر سنة ١٩٣٨م.

فلقد زلزل «الموت» حياة شاعرنا في حضرموت حين اختطف زوجه في ريعان الشباب، ووجد نفسه يسقط مريضاً من الحزن، فلا يطيق البقاء في أرض الذكريات، فيغادر حضرموت إلى عدن سنة ١٩٣٢م ثم يضرب في الأرض يبتغي السلوان في بعض بلدان اليمن والحبشة ثم يجد نفسه في النهاية في الحجاز، ويحس أنه يجب أن يتوقف قليلاً ليغسل أحزانه في الأجواء الروحية في مكة والمدينة، وإلى جوار الرسول ﷺ ينظم مطولته الميمية «نظام البردة» أو «ذكرى محمد رسول الله» في أكثر من مائتين وخمسين بيتاً وفي الطائف يكتب مسرحيته الشعرية - باكورته المسرحية - «همام أو في عاصمة الأحقاف» التي يتعرض فيها لمأساته الشخصية ولقضايا حضرموت الاجتماعية، ويمكن اعتبارها أول مسرحية شعرية عربية في الجزيرة تتناول قضية وطنية إسلامية وتحض على الثورة، وتدعو إلى تعليم المرأة.

وليس معنى هذا أن شاعرنا قد تحول في الحجاز إلى «مسرحي» وإنما كل ما في الأمر أنه تعرف لأول مرة في الطائف على مسرحيات شاعره الأثير «شوقي»، فتأثر بهذا الشكل الجديد واتخذه قالباً يصب فيه همومه الشخصية والوطنية الإسلامية.

---

(١) لم يوفق في زواجه وأنجب طفلة ماتت بعد ولادتها بأيام ثم كان الطلاق، ويقال أنه تزوج ثالثة في أعقاب وفاة زوجه الثانية تحت إلحاح أسرته ثم طلّقها بعد وصوله مصر.

وفي غضون ١٩٣٤م رفع باكثير جناحيه عن الحجاز إلى حلمه الكبير.. إلى مصر.

* * *

ولكن إذا ما وقفنا الآن لنتأمل «محصول» باكثير الأدبي في هذه الفترة، فترة ما قبل هجرته إلى مصر، سنجد أن هذا المحصول عبارة عن تراث شعري ضخم نصيب النثر منه قليل. فإضافة إلى شعره في حضرموت - وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل - فهناك شعره في عدن، وفي الحجاز الذي يشكل مرحلة هامّة من مراحل حياته، مرحلة الانصهار العظيم من خلال حديثه عن همومه الشخصيّة المتمثلة في فقدان زوجه المعشوقة في حضرموت، وحديثه عن هموم أمته الإسلامية التي يأتي من ضمنها هموم قومه الحضارمة في مهاجر الشرق الأقصى، وحول هذين المحورين تركز شعره في هذه الفترة، وقد نشر القليل جداً من هذا الشعر في الصحف والمجلات المصرية، وفي الصحف الحضرمية في أندونيسيا وسنغافورا.

وحتى وصوله إلى مصر كان باكثير لا يزال يعتبر نفسه «شاعراً» في المقام الأول، وعندما ألّف مسرحية «همام أو في عاصمة الأحقاف» لم يكن يريد ليكتب مسرحاً وإنما كان ينظم على نسق شكل شعري أعجب به، لذا فقد جاءت مسرحيته عبارة عن قصائد رائعة في الشعر الغنائي، لأنه لم يكن يلم - وقتها - بشيء من أصول التأليف المسرحي كما يقول هو نفسه في كتابه «فن المسرحية..»

وقد لمع اسم الشاعر علي أحمد باكثير في هذه الفترة كثيراً كما عرفته محافل حضرموت الشعرية، ومنتديات عدن الأدبية، ورجال الحياة الأدبية في الحجاز، واكتسب العديد من الألقاب، منها «أمير شعراء حضرموت» ومنها «كبير شعراء الجنوب»، كما سمته مجلة «الفتح» التي كان ينشر فيها من خلال مراسلاته مع أستاذه محب الدين الخطيب، وبالمثل كانت قصائده تتصدر الافتتاحيات في بعض الصحف العربية الحضرمية في أندونيسيا وسنغافورا.

وصل باكثير إلى مصر يحمل بين جنبيه حلمه الذي يراوده منذ كان صبياً صغيراً في حضرموت، وهو أن يسافر إلى مصر، ويعد نفسه ليغدو شاعراً كبيراً، وينافس هؤلاء الذين قرأ لهم وأحبهم كـ«شوقي» و«حافظ» في عقر دارهم كما يذكر في أحاديثه. ومن أجل هذا فقد نظر شاعرنا - منذ كان في حضرموت - إلى الشعر نظرة جدية تختلف عن نظرة أقرانه إليه، وكان يسعى سعياً حثيثاً للتبريز فيه تمهيداً لتحقيق ذلك الحلم الكبير الذي يبدو، وكأنه قد ولد معه.

ولما كان قبل وصوله إلى مصر قد عَلِم أن اللغة الإنجليزية من أغنى اللغات الأجنبية بالشعر، فإنه قد آثر الالتحاق بقسم الأدب الإنجليزي بكلية الآداب على قسم اللغة العربية. ذلك لأنه وجد أن التحاقه بقسم اللغة العربية لن يضيف إليه شيئاً، لأن ثقافته العربية الأساسية قد اكتملت تقريباً منذ كان في حضرموت من ناحية، ومن ناحية أخرى رأى أن دراسته للأدب الإنجليزي ستفتح له آفاقاً جديدة في الشعر من خلال اطلاعه على الأدب العالمي. وخاصةً أنه قد ألمّ في عدن بمبادىء اللغة الإنجليزية، وأعجب بها، وكتب - وقتها - إلى أخيه عمر في حضرموت يقول له أنه ربما يستمر في دراسة اللغة الإنجليزية، وربما يغدو يوماً شاعراً بالإنجليزية!.

وفي السنة الثانية بكلية الآداب يصاب باكثير ببلبلةٍ نفسية من جراء دراسته للأدب الإنجليزي، فيتوقف عن قول الشعر، ويتوقف عن ترجمة مسرحية «الليلة الثانية عشرة» لشكسبير التي كان يترجمها شعراً وينشرها تباعاً في مجلة «الرسالة» سنة ١٩٣٦م، ذلك لأنه وجد أن هذه الدراسة الجديدة واللغة الجديدة تُحدث فيه هِزَّة، وتدخل به إلى منعطف جديد في حياته، حين وجد نفسه يعجب بشكسبير وينجذب إليه، لأنه وجد فيه فنيه الأثيرين لديه، فنه القديم «الشعر»، والفن الجديد الذي وجد في نفسه الاستجابة إليه، وهو «فن المسرحية»، لكنه وجد أن الشعر في مسرحيات شكسبير يختلف عن الشعر العربي، لهذا وجد أن ترجمة شكسبير غير مجدية بالشعر العربي المقفى. ثم تكون حادثة تحدث على مقاعد الدرس تعجل بتجربة جديدة رائدة في تاريخ الشعر العربي المعاصر، ذلك حين

دخل باكثير في تحدٍ مع أستاذه الإنجليزي الذي زعم أن اللغة العربية لا يمكن أن تستوعب الشعر المرسل الذي اختصت به اللغة الإنجليزية دون سائر اللغات..، فما كان من الطالب باكثير إلا أن أجابه بأنه ليس هناك ما يحول دون إيجاد هذا الضرب من الشعر في اللغة العربية، فهي لغة طَيِّعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر.

فنهره الأستاذ الإنجليزي، وأعرض عنه.

فما كان من باكثير إلا أن قابل هذا التحدي بتحدٍ عملي، وخاصة أنه قد ثبت له قصور ترجمته لشكسبير بالشعر المقفى في مسرحية «الليلة الثانية عشرة» فعكف على ترجمة «روميو وجوليت» سنة ١٩٣٦م إلى الشعر المرسل المنطلق، ثم قام سنة ١٩٣٨ بتأليف مسرحية «أخناتون ونفرتيتي»، واعتمد فيها على وزن واحد هو «بحر المتدارك»، وبهذا العمل الرائد يكون باكثير قد وضع الأساس لتجربتين هامتين في الأدب العربي الحديث، أولاهما: حل مشكلة «الشعر في المسرح»، وإيجاد اللغة الشعرية المناسبة للأداء الدرامي، وثانيهما: وضع حجر الأساس لتجربة «الشعر الحر»، وقبل أن تبدأ نازك الملائكة وبدر شاكر السياب في نشر أشعارهما الحرة في أواخر الأربعينات، نجد باكثير ينشر قصيدة حرة في مجلة الرسالة سنة ١٩٤٥م وقد اعترف له بذلك س. موريه في كتابه «حركات التجديد في موسيقى الشعر الحديث».

ولما كان هذا المقام ليس مجال متابعة تفاصيل ريادة باكثير للشعر الحر بمقدار ما هو المرور على رحلة باكثير مع الشعر والتأكيد بعجل على النقاط المضيئة فيها، فالذي يهمنا قوله هنا أن باكثير وجد نفسه يغرق كلية في «المسرح»، لكنه لم يتابع الكتابة للمسرح الشعري في الشكل الجديد الذي اكتشفه، ذلك لأنه في تلك المرحلة الباكرة لم يجد من التشجيع ما يدفعه إلى الاستمرار إضافة إلى أسباب فنية أخرى، فغرق في الكتابة للمسرح النثري كما هو معروف. وليس معنى هذا أنه قد انصرف عن الشعر تماماً، فبالإضافة إلى شعره الغزير الذي بدأ ينشره منذ وصوله مصر سنة ١٩٣٤ في مجلات مثل «أبوللو»، و«الرسالة» و«الأخوان المسلمون»

و«الدعوة» و«الوادي» و«المعرفة» وغيرها. وقد استمرت هذه الغزارة إلى أواخر الأربعينات وبدأت تقل في أوائل الخمسينات مع انطفاء الكثير من هذه المجلات، وإذا كان قد قلل من نشر شعره في هذه الفترة، فإن شاعريته لم تنضب، وظلت ترافقه حتى آخر حياته كما تشهد بهذا ملفات شعره المخطوط في القاهرة. بل أنه في سنواته الأخيرة نجده يتكىء على «الشعر» حين خذله «المسرح»!

وكما تواجدت القصيدة الغنائية بهذه الصورة في حياته فإننا نجدها تلقي بظلالها العميقة على أعماله النثرية، ذلك لأننا إذا ما تأملناها سنجد أن القصيدة تتواجد في «مسرحياته» و«رواياته» بشكل ملحوظ، وسنجد قضية الشعر وشخصية الشاعر تفرض نفسها عليه في أكثر من عمل.

***

والمحصلة النهائية لهذا كله تطرح الإجابة على السؤال الكبير الذي يقول: لماذا لم يتجه باكثير إلى نشر شعره في دواوين؟ والإجابة من واقع حياته، ومن واقع ما قاله في العديد من أحاديثه أن الانقلاب الذي حدث في اتجاهه الفني أثناء دراسته للأدب الإنجليزي قد جعله يتحول من «شاعر غنائي» في المقام الأول إلى «كاتب مسرحي» في المقام الأول، ولم يكن هذا التحول فجائياً، وإنما كان عبر سلسلة من المسرحيات الشعرية ثم كانت مشاغله واهتماماته المسرحية قد صرفته عن إصدار شعره في دواوين وأن تمنعه عن الشعر نفسه.

ومن المعروف أن شاعرنا حال وصوله إلى مصر قد نشر له أستاذه محب الدين الخطيب ميميته المطولة «نظام البردة» في كتيب مستقل، وكذلك مسرحيته الشعرية «همام أو في عاصمة الأحقاف»، وقد اطلعت على رسالة بعث بها في يوليو ١٩٣٤ م من القاهرة إلى أخيه عمر في حضرموت يخبره فيها عن عزمه على إخراج ديوان يضم قصائده التي تتصل بفكرة الوحدة العربية بعنوان «قحطان الخالدة»، وقد حبذ ذلك محب الدين الخطيب وشجعه عليه، ولكن يبدو أنه قد صرف النظر عن هذه الفكرة بعد التحاقه بكلية الآداب، وانشغاله بالفن المسرحي.

ولكن عودة باكثير إلى الاهتمام بشعره في آخر حياته كانت حقيقية، فلقد حدثني بعض الذين أتيح لهم زيارة مكتبته بعد وفاته بأنه يحتفظ بشعره كله المنشور منه والمخطوط، وكان في مقدمة هؤلاء صديقه الشاعر الأستاذ د. عبده بدوي - والذي كان من أقرب الناس إلى باكثير في أعوامه النحسات - قال لي ان شاعرنا قد بدأ في آخر سنة من حياته يجمع شعره ويبوبه، وأن هناك شعراً كثيراً وضع تحت عناوين «عدنيات» و«حجازيات» نسبة إلى عدن والحجاز كما أن هناك «شعر الصبا»، وهو شعره في حضرموت. وقال لي أيضاً أن (باكثير) في زيارته لبيروت في سنته الأخيرة قد اتفق مع ناشر يصدر له ديوانه كاملاً، ويصدر له أعماله المسرحية الكاملة في مجلدات، وكان في آخر جلسة يحضرها في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب قد قال للدكتور عبده بدوي أن يكتب دراسة تكون مقدمة لأعماله الشعرية الكاملة أما أعماله المسرحية فسيكتب مقدمتها د. عز الدين اسماعيل.

وأعرف أن الرجلين ما زالا عند وعديهما.

وأعرف أن الأستاذ د. عبده بدوي أول من سعى لتحقيق أمنية باكثير بعد وفاته، وإذا كان قد سهل عليه الحصول على شعر باكثير المنشور غير أنه واجهته عقبات في الحصول على شعره المخطوط الموجود في ملفاته الخاصة بمكتبته في القاهرة، ومن المعروف أن (باكثير) لم يترك أولاداً ولا أسرة تهتم بتراثه في القاهرة، وأن الكثير من تراثه الأدبي لا يزال أمانةً إلى اليوم في عنق زوج ربيبته الأستاذ عمر العمودي، وحتى يخلي الأستاذ العمودي سبيل هذه الأمانة التاريخية، التي توجد لديه منذ خمسة عشر عاماً فسيجد الكثير من أصدقاء باكثير يقفون إلى جانبه وفاءً لصفحة نقية ناصعة من تاريخنا الأدبي، وسيجد باكثير، يعود إلى الحياة مجدداً، ولعل هذا خير عمل يقدمه الأستاذ العمودي لأنه سيرفع عن أستاذه الشاعر بعد موته بعض الظلم الذي وقع عليه في حياته. وقد كتب إليّ الأستاذ د. عبده بدوي في مجال حديثه عن ضرورة إصدار ديوان باكثير كاملاً يقول: «إن صورة باكثير لن تتم إلا حين تظهر كل خطوطها وألوانها وظلالها، فمن حقه ما دام قد كتب بأصالة أن «يتواجد» في ضمير أمته بعمق. «فطاقة» باكثير الحقة - من وجهة نظري

ـ تتواجد في «الشعر»، والشعر هو الذي دفعه إلى «المسرح» و«الرواية»، لذلك فالشعر هو أهم مصادر «الطاقة» عند باكثير، فهو الذي ولد «نبوغه» في كل ما كتب، وهو الذي يعطيه ـ وهو في جوار ربه ـ طاقة على التجول في العديد من العصور، ومن حق باكثير أن يبقى، ذلك لأننا إذا نفيناه مرةً أخرى ـ كما نفيناه من قبل نكون قد حكمنا على أمتنا بالبوار، ونكون قد سلمنا رقبة الحرف العربي إلى المقصلة».

٢

ويبقى الآن الحديث عن هذا الديوان الذي نقدمه كخطوة أولى لتقديم ديوان باكثير كاملاً في المستقبل القريب إن شاء الله. وهذا الديوان يعد خطوة باكثير الأولى في عالم الشعر. ولا شك أن الخطوة الأولى في حياة كل شاعر يشوبها بعض الاهتزاز حتى تثبت بتعدد التجارب. ومع ذلك سنجد شاعرنا قد بدأ ناضجاً في خطوته الأولى إلى حد كبير.

وقصة عثوري على هذا الديوان تعود أولاً إلى اهتمامي به منذ سنوات كشاعر فذ، وككاتب مسرحي كبير اجتذبني إليه التزامه العربي الإسلامي الأصيل، فمنذ ذلك العهد أخذت على عاتقي البحث والتنقيب في تتبع آثاره المطبوع منها والمخطوط. وقد لاحت لي الفرصة في صيف ١٩٨٠م عندما سافرت إلى «سيئون» بجنوب اليمن لزيارة أسرة شاعرنا، وللسؤال عن آثاره، والالتقاء بأصدقاء صباه وشبابه خلال الفترة التي أمضاها في حضرموت. وبالفعل التقيت بالكثير من أفراد أسرته الذين كانوا مثالاً في الفضيلة والتواضع والكرم، ويجيء في مقدمتهم أخوه الأستاذ عمر أحمد باكثير الذي أمدني بالكثير من المعلومات القيّمة حول شاعرنا وشعره في حضرموت، وقدم لي صورةً من ديوان مخطوط يضم معظم شعر باكثير في حضرموت وأندونيسيا وسنغافورا.

فإذا عرفنا أن شاعرية باكثير قد أشرقت في حضرموت، وهو في سن الثالثة عشرة، فنعرف أن معظم شعره في هذا الديوان قد كان في حضرموت، وأن شعره في أندونيسيا وسنغافورا يعود فقط إلى الفترة من شعبان ١٣٤٥هـ الموافق مارس

١٩٢٧م إلى شوال ١٣٤٦هـ الموافق إبريل ١٩٢٨م. وقد أمضى هذه الفترة في زيارة أندونيسيا حيث كانت تقيم والدته بعد أن توقف قليلاً في سنغافورا.

* * *

ويقع مخطوط الديوان في ١٤٠ صفحة من الحجم المتوسط، ويتكون من ثلاثة كراريس الكراسة الأولى تقع في ٨٠ صفحة وقد كتبها شاعرنا علي أحمد باكثير نفسه بخط أنيق جميل أما بقية الديوان التي تقع في ٦٠ صفحة من كراستين صغيرتين فقد كانت بخط أخيه عمر.

والجزء المخطوط بخط الشاعر قد جاء مبوباً إلى أربعة أبواب، وهي على التوالي «باب الأدب» و«باب الوصف» و«باب النسيب»، و«باب الرثاء». ويبدو أنه قد أعده على هذه الصورة للتعبير عن مرحلة معينة في حياته. أما الملحق الذي أضافه إليه أخوه عمر فمعظمه ينتمي إلى «باب الاجتماعيات» و«باب الرثاء»، وقد جُمعت على غير منهج معين، وأغلب الظن أنه قد جمعها بعد مغادرة الشاعر لحضرموت سنة ١٩٣٢م خوفاً عليها من الضياع، وضمها إلى الديوان الذي خطه شاعرنا بيده.

ومن هنا وجدت نفسي مضطراً أن أعيد ترتيب قصائد الديوان، وأضيف إليه أبواباً جديدة، لأن هذا الشعر كله يعود إلى مرحلة واحدة، وهي مرحلة شعره في حضرموت، ثم رأيت أن هذا الجهد يقتضي أن أستكمله بجهدٍ آخر أجمع كل قصائد شاعرنا التي تنتمي إلى هذه المرحلة، حتى يخرج الديوان مستوعباً معظم ما عثرت عليه من شعر باكثير في حضرموت، أي شعره قبل سنة ١٩٣٢م، وهو تاريخ رحيله عن حضرموت.

وبالفعل كانت لدي مجموعة من القصائد حصلت على بعضها من صديقه وابن عمه الشاعر عمر بن محمد باكثير، وكان قد ضمنها كتاباً مخطوطاً له بعنوان «مع علي أحمد باكثير». أما الجزء الآخر فقد حصلت عليه من صديقي الدكتور أحمد عبدالله السومحي الذي كانت له قصة «جهاد» رائعة مع شعر باكثير حين كان

يُحَضِّر لرسالة الماجستير عن «شعر باكثير الوطني والإسلامي» - وقد صدرت في كتاب -. المهم أن د. السومحي قد أتيح له زيارة مكتبة شاعرنا والاطلاع على ملفات شعره، وقد سمح له الأستاذ عمر العمودي زوج ربيبة باكثير بنقل بعض القصائد، وقد كان من حظنا - أو من حظ باكثير نفسه على الأرجح!! - أن معظم القصائد التي استطاع الصديق د. السومحي أن ينقلها تنتمي إلى المرحلة التي نحن بصددها، أي مرحلة شعره في حضرموت. وقد عجبت من أن هذه القصائد والمقطوعات التي يبلغ مجموعها معاً سبع قصائد ومقطوعة لم تكن مثبتة بالديوان المخطوط الذي حصلت عليه. وعندما حدثت د. السومحي بذلك، ودفعت له بنسخة الديوان التي معي، حدثني بما أثار دهشتي. إذ قال لي أن الكثير من قصائد هذا الديوان توجد في مكتبة شاعرنا على شكل ديوانين الأول بعنوان «أزهار الربى في شعر الصبا» ويضم شعره في حضرموت فقط، والثاني بعنوان «باكورة الشعر» ويضم شعره في العام الذي قضاه في أندونيسيا مروراً بسنغافورا في الفترة من مارس ١٩٢٧م إلى إبريل ١٩٢٨م.

* * *

وأغلب الظن أنه عندما وصل إلى مصر كان يفكر في نشر شعره، ولذلك وضع له هذه العناوين وقسمه إلى مراحل بدليل أننا نجده يضع شعره في عدن تحت عنوان «عدنيات» وشعره في الحجاز بعنوان «حجازيات» وقد كان شعر كل مرحلة من هذه المراحل من الكثرة بحيث كان يفكر أن يصدر شعر كل مرحلة في ديوان، لهذا أعتقد أنه قد فصل شعره في اندونيسيا عن شعره في حضرموت عندما وصل إلى مصر. وليس من تفسير لوجود نسختين بخطه من هذا الديوان إلا أنه آثر أن يحتفظ بنسخة في حضرموت حفظاً لها من الضياع، وخاصة أن هذا كان ديوانه الأول. وإضافة إلى هذا فقد اكتشفت أن مجموعة من قصائده بخطه محفوظة لدى مكتبة الحرم بمكة المكرمة، وليس هذا عجيب حين نعلم انه أقام بمكة فترة قبيل الرحيل إلى مصر.

ثم نزلت ستارة الإهمال على هذا الشعر كله حين التحق بكلية الآداب،

وتغيرت مفاهيمه واتجاهاته الفنية، وبدأ في مصر مرحلة جديدة تماماً من حياته الأدبية.

وقد رأيت أن من الأفضل أن نعطي هذا الديوان العنوان الذي وضعه له باكثير نفسه منذ أكثر من نصف قرن وهو «أزهار الربى في شعر الصبا». ولاحظت أن ما هو موجود في القاهرة تحت عنوان «باكورة الشعر» يعد جزءاً لا يتجزأ من هذا الديوان، ويقع تحت «باب النسيب».

ومن هنا نجد أن معظم شعر الغزل كان من نتاج العام الذي أمضاه في أندونيسيا، والأيام التي توقف فيها في سنغافورا، وكان ذلك لطبيعة التناقض بين الطبيعة الخضراء في الشرق الأقصى مع الطبيعة الصحراوية في حضرموت التي تجاور الربع الخالي، إضافة لوضع المرأة في حضرموت المضروب من حولها حجاب، والواقعة في دائرة من التقاليد الصارمة التي تتنافى حتى مع الحقوق التي أقرًّها لها الإسلام!!

ثم تكون الأبواب الجديدة التي أضفتها إلى الديوان الأصلي ثلاثة أبواب اقتضتها طبيعة القصائد الأخرى التي حصلت عليها إضافة إلى الجزء الذي خطه أخوه عمر. وهي «باب الاجتماعيات» و«باب الأخوانيات» و«الاستيحاء والتشطير»، وقد رأيت أنه من الأنسب إحالة بعض القصائد من الأبواب الأربعة الأولى الثابتة إلى الأبواب المناسبة لها فمن ذلك مثلاً أنه وضع بعض قصائد «الأخوانيات» في «باب الوصف». أما «باب الاجتماعيات» فقد أنشأته لأن معظم القصائد في الجزء الذي بخط أخيه عمر تنتمي إلى هذا الباب. أما التشطيرات والأبيات التي يستوحي فيها بعض المعاني لقصائد الآخرين فقد كانت موزعة في الديوان الذي بخطه فجمعتها وأضفت إليها ما حصلت عليه من مصادر أخرى في باب خاص بها. وعلى هذا فالديوان يتكون من سبعة أبواب الأربعة الأبواب الأولى تركتها على ترتيبها كما رتبها الشاعر نفسه ثم يكون الترتيب للأبواب كلها كالتالي: «باب الأدب»، «باب الوصف»، «باب النسيب»، «باب الرثاء»، «باب الأخوانيات»، «باب الاجتماعيات»، «باب الاستيحاء والتشطير». ولما كان هذا

التبويب قد جعلني أنقل بعض القصائد من أبواب ثابتة إلى أبواب مضافة فقد ارتأيت أنه من الأفضل أن أجعل ترتيب القصائد في كل باب ترتيباً أبجدياً، ذلك لأن ترتيبها حسب تواريخها قد يختل عند تنسيقها، فالكثير من هده القصائد لا يعرف تاريخها.

* * *

وكانت الخطوة التي قمت بها بعد هذا كله أن رأيت ضرورة شرح بعض الألفاظ والتعريف بالكثير من الأعلام والمواقع والبلدان وشرح بعض المواقف التي تتصل بأحداث داخلية في حضرموت أو بأحداث شخصية في حياة الشاعر، ورأيت أنه من الضروري القيام بهذا الجهد لأن ظهور الديوان عار كما خرج من قريحة صاحبه قبل نصف قرن، سيجد فيه القارىء العربي الكثير من الغموض، وسيطرح حوله الكثير من التساؤلات. ومن ثم فقد قمت بتعريف الأعلام وشرح الألفاظ والمواقع والتعليق على ما ارتأيت أنه يستحق التعليق من الأبيات وذلك في كل قصائد الديوان[1] ولأن أكثر قصائد أبواب «الأخوانيات»، «الاجتماعيات» و«الرثاء» موجهة إلى أعلام حضرمية يمنية لا يعرف القارىء العربي عنها شيئاً، ومن حقه أن يعرف لأنهم من ذوي الثقل الأدبي أو الفكري في حضرموت ثم إن التعرف عليهم يساعد في التعرف على البيئة الثقافية في حضرموت في ذلك الوقت. إضافة إلى التعريف بالأعلام العربية التي ترد أثناء القصائد تعريفاً مختصراً، ثم قمت بذكر مؤلفي «الكتب» التي كثيراً ما تجيء الإشارة إليها تصريحاً

(١) باستثناء قصيدة واحدة من «باب الرثاء» هي قصيدة «المؤبنة الكبرى» كانت غير مشروحة في الديوان ولكني وجدتها مشروحة الألفاظ والأعلام ضمن كتاب صدر في سنغافورا سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٩) ضم مرثيات شعراء حضرموت في سلطانهم منصور بن غالب الكثيري، وقد علمت أن شاعرنا علي أحمد باكثير قد قام بجمع هذه القصائد وشرحها وتقديمها في كتاب بتكليف من السلطان علي بن منصور. وسيجد القارىء في الشروح التي وضعها شاعرنا في حواشي قصيدته إسهاباً في الحديث عن شاعر اليمن في القرن العاشر الهجري عبد الصمد باكثير وعن المرحلة التاريخية التي عاش فيها، وسنجده يستغل هذه المناسبة لتوجيه دعوة إلى السلطان لطبع ديوان الشاعر، وكان شاعرنا مولعاً بديوان عبد الصمد باكثير وقد كتب في مخطوطته المحفوظة في حضرموت الكثير من الشروح والتعليقات.

أو تلميحاً في الكثير من قصائد الديوان ليتعرف القارىء والدارس على قراءات باكثير في هذه الفترة ثم ليتعرف أيضاً على المناخ الأدبي والفكري في حضرموت والكتب السائدة فيه.

* * *

وإذا ما أردنا أن نتعرف على الفترة التي كُتب فيها الديوان، فإننا لا نستطيع إلا أن نحدد فترةً تقريبية من خلال أقدم قصيدة وأحدث قصيدة مؤرَّخة، ذلك لأن بعض القصائد قد جاءت غفلاً من التاريخ، ومن القصائد المؤرَّخة نجد أن أقدم قصيدة بتاريخ محرم ١٣٤٠ هـ الموافق أكتوبر ١٩٢١م، وهي القصيدة التي يمدح بها والده، ومطلعها:

إذا جُنَّ ليل وادلهمت غياهبه أبيت وفي ماطر الدمع ساكبه

ومن الطبيعي أن يبدأ هذه القصيدة بالنسيب في وقت بدأ فيه يتلمس طريقه نحو الشعر من خلال الأقدمين.

ونعتقد أن أحدث قصيدة في الديوان، قصيدة «من حضرموت إلى لوزان» التي يهديها إلى الأمير شكيب أرسلان، وقد نشرت في مجلة «الفتح» في ٥ صفر ١٣٥١هـ الموافق ٩ يونيو ١٩٣٢م ومطلعها:

تحية لعميد العرب حاميها من (حضرموت) إلى (لوزان) أهديها
من (حضرموت) إلى (لوزان) أبعثها يعطر الكون بالأنفاس جاديها

وما بين أقدم قصيدة وأحدث قصيدة كانت له خطوات ما بين التقليد والتطور.

ونلاحظ أن أطول قصائد الديوان من بابي «الاجتماعيات» و«الرثاء». ولعل قصيدة «المؤبنة الكبرى» التي يرثي بها السلطان منصور الكثيري أطول قصيدة في الديوان، وتقع في مائة وثلاثة أبيات تليها قصيدة يهنىء بها الأستاذ عيدروس بن محمد بن سالم السقاف بمناسبة عودته من المهجر، وتقع في تسعة وتسعين بيتاً، ومثلها قصيدة «دمعان في الأجفان يزدحمان» التي يهنىء فيها أخاه الأستاذ عمر بعودته من المهجر أيضاً، وتقع في مئة بيت.

ونعتقد أن هذا الديوان يضم شعره في الفترة ما بين ١٩٢١ - ١٩٣٢م حسب ما تقول به أقدم قصيدة وأحدث قصيدة، ولكني أرى أيضاً أن معظم شعر هذا الديوان من نتاج فترة ما قبل زواجه بزوجه الثانية التي أحبها حباً عظيماً، ودليلنا على ذلك في أننا لا نجد أية إشارة إلى زواجه* ولكننا نجد اسم «نور»، وهو اسم زوجه المحبوبة يتردد في بعض القصائد كما نجد في مطلع قصيدة «ليتني يوسف وانت زليخا»، كما نجد التلميح إلى هذا الحب العظيم في مقطوعة «كبرها سريعاً» في قوله:

بفؤادي بنت تسع حوت الحسن البديعا
وعدوني بلقاها رب كبِّرها سريعا

والذي يعرف قصة حب باكثير لهذه الفتاة وانتظاره الطويل للزواج منها والموعدة التي وعده إياها أهلها، يدرك أن تاريخ النظم يعود إلى ما قبل ١٩٢٠ تقريباً.

وعلى هذا لا نزعم أن الديوان الذي بين أيدينا يضم كل شعر شاعرنا في فترة ما قبل مغادرته حضرموت. فإلى جانب غياب قصائده عن زواجه وزوجه في حضرموت، فقد عُرف شاعرنا في هذه المدة بالغزارة، بل كان أغزر أبناء جيله. ولعل ظهور هذا الديوان يحث الذين يحتفظون بشيء من شعر باكثير إلى إظهاره والتعاون معنا لإخراج شعره كاملاً، وهو العمل الأكبر والأهم والأشمل. ولن يتم هذا إلا إذا تحرك تلميذه وزوج ربيبته الأستاذ عمر العمودي في القاهرة، وبهذه الحركة نستطيع أن نقول أن باكثير سيعود إلى الحياة مجدداً، سيعود لاحتلال «عرشه» بين شعراء العربية الكبار، ونستطيع أن نقول أيضاً أن حلقة مفقودة من تاريخ الشعر العربي المعاصر ستعود إليه.. حلقة كبيرة وهامة اسمها «شعر علي أحمد باكثير».

* هناك من أصدقائه من يقول أنه قد حرق بعض قصائده الغزلية في زوجه الراحلة، ولكننا لم نجد لهذا تفسيراً مقنعاً ولا دليلاً مقبولاً.

٣

والآن نستطيع أن نتوقف وقفة فنية حين نتجوَّل في فراديس هذا الديوان لذي يُعتبر باكورة باكثير الشعرية، والاندفاعة الأولى لطاقته الإبداعية التي تؤكد أن بواكيره كانت ناضجة، وأن تمكنه من العربية يستند إلى خلفية عريضة وموغلة في التراث، وإلى وعي عميق باللغة، وتفهم ناضج لإشكالاتها. ولم يكن هذا إلا نتاجاً لعبقريته الشعرية التي تميزت بعاطفة مشبوبة، وحس مرهف، وحدس لماح، وبصيرة ذكية حادة.

وأهم ما في هذا الديوان أنه يقدم للدارسين القاعدة الأولى التي انطلق منها الشاعر، مما يجعل دراسته من خلال مراحل تطوره أكثر موضوعية وإمتاعاً، ذلك لأن الشعراء في حياتهم لا يخرجون إلى الناس إلا جيد شعرهم، ولعل شاعرنا نفسه لو امتد به العمر لما أخرج من شعر هذا الديوان إلا النزر اليسير، أما الآن أصبح هذا كله ملكاً للتراث، والأمانة العلمية تقتضي أن نخرجه إلى الناس كما تركه مؤلفه في زمانه ليتعرف القارىء والناقد على اللقطة الأولى لشاعرنا التي اندثرت تحت غبار نصف قرن من السنين أو أكثر.

* * *

يقف بنا هذا الديوان أول ما يقف على ثقافة باكثير العربية الخالصة في حضرموت، هذه الثقافة التي تظل بها قصائد الديوان تؤكد بأن الشاعر قد أوغل في أدب الأقدمين، وألم بأطراف من أدب المحدثين، ذلك لأن هذا الديوان يزخر بعشرات الأعلام وبالكتب والحوادث التاريخية والسير الأدبية بصور مباشرة أو غير

مباشرة أو بالتلميح كما هو الحال بالنسبة لبعض القصص القرآنية أو الشخصيات القرآنية، وقد حاولنا قدر الإمكان إيضاح هذا كله في الهوامش. المهم أن قراءاته تفرض نفسها عليه في الكثير من القصائد، وتظهر - في صور متفقة مع القصيدة، لتدلل على ثقافته في هذه الفترة الباكرة من حياته - وهي ثقافة عميقة وأصيلة بالنسبة لسنه - وكان في هذا كله ابن البيئة الأدبية في حضرموت التي لا تتعدى دائرة الثقافة فيها حدود «الشعر» الفن الأدبي الأول والوحيد تقريباً، والتعمق في دراسة «الأدب العربي القديم» عبر العصور، إلى جانب الدراسات «اللغوية» و«النحوية» و«الفقهية». ومع ذلك فإن باكثير - كما نعلم - قد حاول أن يوسع دائرة الثقافة والتعليم في حضرموت - في زمنه - حين أدخل العلوم الإنسانية والآداب الحديثة، واهتم بها ليصل الثقافة القديمة بالعصر الحديث. كان ذلك أثناء وجوده كعنصر ثقافي مؤثر في بلده، ومن خلال إدارته لمدرسة النهضة العلمية في سيئون فترة من الزمن.

فيكشف لنا الديوان أنه قد قرأ في حضرموت بعض العلوم الحديثة كعلم النفس، كما تدلل بعض القصائد، وعلى نحو ما نجد في حديثه عن دور المرض النفسي الذي مُني به أخوه محمد ومات به، في الوقت الذي كان مجتمعه ينسب مثل هذه الأدواء إلى الجن، فنجده يقول:

الجن أحقر أن يروع فتى ندا ... ماه الأماثل، والكتاب سلافه

إلى أن يقول:

داء على الطب القديم تعقدت ... أسبابه فتباينت أوصافه
حتى أتى الطب الحديث فجدّ في ... تحليله حتى انجلت أسدافه
وأبان (علم النفس) خافي أمره ... من بعد ما أعيى النهى استعرافه

* * *

وفي ثقافته الشعرية القديمة نجد ولوعه «بأبي تمام» و«البحتري» و«المتنبي»، على أن الأخير ظل أثيراً لديه في هذه الفترة. لكننا سنجد في هذا الديوان ما يدلل

على ثقافته العربية الحديثة، وعلى المقربين لديه من الأدباء والشعراء، فنلمس غرامه بالمنفلوطي من خلال قصيدتين في هذا الديوان الأولى من نظمه الباكر، ويذكر أنه كتبها على ظهر كتاب النظرات، أما الثانية فقد نظمها على صورة المنفلوطي بعد وفاته، لذلك نجده يتحدث عنه بإعجاب وبحب وأسى، فقد كان يتمنى أن يراه، وأن يفتديه على نحو ما يقول:

كم تمنيت اللقاء ولـ — ـكن الردى أقصاه بالخطف
عصفت به ريح المنون فيا — لله ما لاقى من العصف
لو يفتدى من حتفه أحد — لفديته من ذلك الحتف

ثم نجده في صباه يؤثر شعر «حافظ ابراهيم» على شعر «شوقي» حتى ليروي أنه حين وصله ديوان حافظ من القاهرة إلى سيئون أقام وليمة لأصحابه احتفاءً بهذه المناسبة، ونظم قصيدة نجدها في هذا الديوان بعنوان «أهلاً» مطلعها:

أهلاً بديوان «حافظ» — يا ليتني لك حافظ

ثم يؤثر بعد ذلك شعر «شوقي» على شعر «حافظ» على نحو ما يحدثنا في كتابه «فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية». وقد رثاهما أثناء وجوده في «عدن» بقصيدتين رائعتين. ولن نفقد أثر «شوقي» و«حافظ» في هذا الديوان، وإن كنت أعتقد أن أثر حافظ أكثر من أثر شوقي، وقد ورد ذكره أو الإشارة إليه في أكثر من قصيدة، وقد أثبتنا هذا في الهوامش. فنجده مثلاً في قصيدة «من سيئون إلى تريم» في باب الأخوانيات يرمز إلى «حافظ ابراهيم» بشاعر مصر حين يقول:

وديوان (لشاعر مصر) يتلى — علينا فيه طب للهموم
نظام لا يماثله نظام — شفاء للقلوب من الكلوم

وما يؤكد على أنه يقصد به «حافظ ابراهيم» نجد أن القصيدة كلها تبدو وكأنه يعارض بها قصيدة لحافظ ابراهيم يقول فيها:

وإخوان مساميح عليهم — جلابيب من الذوق السليم
أحنّ لهم ودونهمو فلاة — كأن فسيحها صدر الحليم

كأن ببطنها أحشاء صب — قد التهبت من الشوق القديم
دعوتهم إلى أنس فوافوا — موافاة الكريم إلى الكريم

وانظر إلى قصيدة شاعرنا، وتأمل معانيها ومناسبتها فستجد أن صلةً ما بينها وبين قصيدة «حافظ».

* * *

وقد جعله تمكنه من اللغة واستيعابه للتراث العربي القديم يتحرك على أرض خصبة بتقاليد وأساليب القصيدة الغنائية القديمة، فجاء شعره محكم البناء، يتميز بجزالة اللفظ، ومتانة العبارة، فنجد الكثير من ألفاظ وتراكيب الشعر العربي القديم تتسرب إلى قصائده كقوله مثلاً في «قصيدة الغد»:

لست أنسى منازلاً بكثيب — ومحلاً بين اللوى والبراق

وهذا في دائرة التأثر بقول امرىء القيس في قصيدته اللامية الشهيرة:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل — بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وسنجد امرأ القيس مسيطراً عليه في أكثر من قصيدة وموحياً إليه بأكثر من معنى.

وتأتي تشبيهاته واستعاراته ووسائله في خلق الصور الشعرية من التراث العربي القديم الجاهلي والإسلامي، فالسفر والركوب يرتبطان عنده بالعير والخيل، وقد يأتي طرح هذه الصور والأسماء مجازياً مثلما نجد في مقطوعة بعنوان «في حال مرض» فهو يريد أن يعبر عن شدّة مرضه وعدم قدرته على الحركة، فيقول:

أصبحت لا أستطيع «العير» أركبه — وقد أكون وعاتي «الخيل» مركوبي

وعندما يريد أن يعبر عن انبهاره بشعر «حافظ ابراهيم» وبرقته، فهذا الإعجاب لا يستدعي في ذهنه صورةً معاصرة وإنما نجد الجاحظ يبرز أمامه

كمعادل من الأقدمين لهذا الشاعر في المحدثين، فيقول:

شعـر أرق من العتـ ... ـب في رسائل «جاحظ»

وحين يريد أن يعبر بدقة عن رقة شعر «حافظ» وغنائيته يستدعي صوت «إسحاق الموصلي» من عصره ليربطه بسحر الغناء في شعر «حافظ» برغم أن الصورة التي يحملها عن صوت إسحاق ليست صورة سمعية بل هي صورة مقروءة:

كأنه صوت «إسحا ... ق» في غناء «ملاحظ»

ويأتي أسلوب القسم عنده في دائرة التأثر بالأسلوب القرآني إلا أن القسم بمظاهر الكون يأتي في أعقاب القسم بالله أولاً:

فوالله والإسلام والعلم والحجى ... وبرد التقى والنجم والفجر والعصر
لشخصك مطبوع على صيب الندى ... كما أنا مطبوع على جيد الشعر

وقد يدور باكثير بأبياته في ظل المحور المعنوي لآية قرآنية أو حديث نبوي أو قول مأثور أو قصيدة قديمة فيعيد صياغة معناها في تصدير وتعجيز أو في أبيات خالصة من عنده كما فعل بالنسبة لأبي فراس الحمداني وابن المعتز وغيرهما. وكثيراً ما يلجأ إلى «التشطير» وذلك حين يأخذ شطراً من بيت لقصيدة قديمة، ويستكمل البيت بشطر من عنده كما في قوله:

(وما حب الديار شغفن قلبي) ... ولكن حب من فيها مقيم

ومن المعروف أن الشطر الأول مأخوذ عن بيت عنترة الشهير:

وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديار

ونجده يقتدي بامرىء القيس - الذي يلتقي معه في الانتساب إلى كنده - ويسير في دروبه، فقد أحب في امرىء القيس سعيه إلى المجد ورفضه للضيم وإصراره على إحقاق الحق، ثم يكون وراء هذا الإعجاب بهذه العصامية إحساسه

بأن الدماء العربية الأصيلة التي تجري في عروقه استمرار لدماء الشاعر العربي القديم، ولشيمه الخلقية، لهذا نجده ينشىء مقطوعة من ستة أبيات بعنوان «منهاج امرىء القيس» يؤكد فيها بأنه سيسعى إلى المجد كما سعى إليه امرؤ القيس:

ومن يك من آل امرىء القيس فليكن ... له المجد من تيجان آبائه تاجا
ويقفُه في المسعى لمجدٍ مؤثل ... وأكرم بمنهاج امرىء القيس منهاجا
سأسعى فإما أن أُوسَّد أو أُرى ... سراجاً منيراً في المكارم وهاجا

ولعل «المنهاج» الذي يقصده باكثير ويجتذبه هو ما حدده امرؤ القيس في هذين البيتين:

بكا صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنًّا لاحقان بقيصرا
فقلت له: لا تبك عيناك إنما ... نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

وقد يقوده سيره المبكر في دروب امرىء القيس إلى ترسم خطى القصيدة الجاهلية على نحو ما نجد في قصيدة بعنوان «لمن طلل؟» - وهي من أوائل نظمه - التي يستهلها بقوله:

لمن طلل تحاكيه الوشوم ... عفت منه المعالم والرسوم
يحاكي مصحفاً من عهد عاد ... بخط الحميري له رقوم

وهذا المعنى لا يبعد كثيراً عن أثر بيت امرىء القيس:

لمن طلل أبصرته فشجاني ... كخط زبور في عسيب يمانِ

وأمام قصيدة «لمن طلل؟» لشاعرنا نجد أنفسنا أمام محاكاة خالصة لأغراض القصيدة الجاهلية، فهو يبدأها بالنسيب والبكاء على الأطلال وتذكر المحبوب ثم بالفخر والحديث عن اللقاء والفراق والحياة والموت. وهذا ما يجعلنا نلاحظ على بعض قصائد شاعرنا افتقارها إلى «وحدة الموضوع»، وهذا ما يأخذه النقد الحديث على الشعر العربي القديم.

* * *

ومن ضمن موروثات القصيدة القديمة في هذا الديوان، سنجد أن «الفخر» يشكل ملمحاً بارزاً في شعر باكثير المبكر في هذا الديوان، وسنجد الفخر يبرز عنده في القصائد التي يتعرض فيها للآمال الكبيرة أو الهموم الكبيرة أو في أعقاب الحديث عن الأشواق وغياب الحبيب عن الديار على نحو ما يقول في قصيدة «لمن طلل؟»:

ولي في كل مكرمة محل　　رفيع دون رتبته النجوم
وفي العلياء لي باع طويل　　ومن ينكر فذاك هو اللئيم
ورثت المجد من سادات قوم　　فمجدي يا فتى مجد قديم
ومن يجحد علو مقام شخص　　تيقن فضله فهو الظلوم

إلى أن يقول في أبيات حكمية:

ومن لا يكترث بدخول قوم　　ونخرج غيرهم فهو الحكيم
ورب محب شيء كان فيه　　منيته، ففي العسل السموم

ومن أندونيسيا عندما تجتاحه الأشواق إلى وطنه، وتؤرقه هموم هذا الوطن، وتوجع قلبه وجسمه في نهاره وليله، على نحو ما نجد في قصيدته «إلى سيئون» التي يعبر فيها عن إحساسه بالغربة:

ويسئمني إذا ما بان صبح　　ويوحشني إذا اعتكر الظلام
أحس إذا اضطجعت كأن جسمي　　تدب به العقارب والهوام

لهذا فالليل يذكره بالظلم في بلاده، ويرى في ظلامه الذي يحيط بالهلال الأوهام التي يدين بها الناس، فيتساءل:

فهل لظلام ذا الليل انتهاء؟　　وهل للظلم في بلدي ختام؟

وبعد أن يتحدث عن «المجد» الذي عليه أن يبنيه لقومه، ويفخر بنسبه العربي الأصيل الذي ينتهي إلى بني كندة التي ينتسب إليها العديد من العظماء الذين عرفتهم الجاهلية والإسلام «كامرىء القيس» و«ابن خلدون» و«يعقوب الكندي» وغيرهم حين يقول:

من «آل أبي كثير» من سلالا　　ت أقيال لهم مجد قدام
فهم في جاهليتهم ملوك　　وفي الإسلام أعلام عظام
وحسبك «بابن خلدون» حكيماً　　له في الشرق والغرب احترام
وعن «يعقوب الكندي» فاسأل　　تخبرك التواريخ الضخام

ولكنه يدرك أن هذا كله لن يغنيه عن نفسه شيئاً ما لم تتقد في نفسه «العزيمة»، لذلك نجده يؤكد في النهاية على «عصاميته»:

ولي بالانتماء إلى علاهم　　مزيد عُلاً - على أني «عصام»

* * *

وفي سبيل التأكيد على المعنى يلجأ إلى حسن الاقتباس والتضمين ليس بالكلمات فقط، ولكن بالمواقف أيضاً التي تدلل على سرعة البديهة، فنجده في قصيدة «ذكرى حريضة» يتحدث عن زيارته لهذه البلدة، ووقوفه على ضريح العلامة أحمد بن حسن العطاس، ويتمنى أن لو رآه في حياته، ولكن إن فاتته لقياه فلم يفته زيارة مكتبته التي لثم كتبها:

فألثم كتبها سِفراً فسِفراً　　بشوق والتياع واحترام
(لعلي أن أمس بِحر وجهي　　مكاناً مسّهُ) كف الإمام

وشاعرنا في هذا يُضمِّن قصة الإمام السبكي عندما زار دار الحديث التي كان يُدرِّس فيها الإمام النووي في الشام فجعل يمرغ وجهه على البسط، ويقول:

وفي دار الحديث لطيف معنى　　إلى بسط لها أصبو وآوي
لعلي أن أمس بِحر وجهي　　مكاناً مسّه قدم النواوي

كما نجد حسن التضمين يواتيه موفقاً في قصيدة «من سيئون إلى تريم» التي يهديها إلى صديقه الشاعر محمد حسن بن شهاب حين يقول في وصف زيارته له:

أتينا بيته (فحنا علينا　　حنو المرضعات على الفطيم)

إلى أن يقول:

ودارت بيننا كاسات شاي   (ألَذُّ من المدامة للنديم)

وهذا التضمين في هذين البيتين مأخوذ عن الشاعر العراقي القديم «أبي نصر المنذري» من قصيدة ألقاها في مجلس أبي العلاء المعري يقول فيها:

نزلنا دوحه فحنا علينا   حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً   ألذّ من المدامة للنديم

***

ويكثر عنده التوكيد والجمل الشرطية والتمسك بالمقدمة وهي ميراث تراثي حاول أن يوظفه شاعرنا بصورة معاصرة، لكننا نجد بعض القصائد في هذا الديوان تجيء متفقة تماماً مع أغراض القصيدة الجاهلية مثل «قصيدة الغد» التي يبدأها بالنسيب ثم بالوقوف على الأطلال، ثم بعدد من التساؤلات الوجودية حول الكون والحياة. فمطلع القصيدة يقول:

أتـراهـا تسرني بتـلاقي؟   بعد طول البعاد والافتراق

ويستغرق هذا النسيب ثمانية عشر بيتاً ثم يتحدث عن الأطلال، وعن منازل بكثيب، وعن محل بين اللوى والبراق في عشرة أبيات أخرى، وبعد أن يتحدث عن أيام الأنس والبهجة بين تلك الأطلال يعود ويتساءل في المقطع الثالث من القصيدة:

هل لذاك الزمان عَوْدٌ إلينا   بعدما شتتته أيدي الفراق؟
هل يعود السرور والأنس والبشـ   ـر، لهذا المتيم المشتاق
ليت شعري هل الزمان معيد   زمن الأنس والصفا والوفاق؟

ثم يغرق في قضايا الوجود والعدم والحياة والموت من خلال قضية الغيب أو المجهول الذي يعيش فيه الإنسان باستمرار دون أن يدري ما الذي سيحدث له في

غده. وهذا القلق الذي نحسه في القصيدة يجعلنا نقول أن شاعرنا - إلى هنا - لم يخرج عن موروث القصيدة الجاهلية. ذلك لأن الشاعر الجاهلي كان في هذا يعبر عن موقفه من الحياة والكون، فلم يكن يشعر بأي اطمئنان إزاء الحياة، ولم تكن عنده عقيدة تفسر له هذا التناقض، وتحد من هذا القلق، حتى جاء الإسلام، وفسر له العديد من الظواهر والمظاهر التي كان يقف أمامها حائراً متسائلاً. وعلى هذا نجد شاعرنا قد استغل الموروث الجاهلي شكلاً ومضموناً طوال القصيدة ليؤكد في المقطع الأخير على الحل الذي وضعه الإسلام لذلك «القلق» وتلك الحيرة التي كان يعيشها الشاعر الجاهلي، فيقول مفسراً ذلك المجهول:

فتح المرء كل باب سوى با   ب غدٍ فهو محكم الإغلاق
ذاك أمر بعلمه انفرد اللّـ   ـهُ إلهي مقسم الأرزاق
جل ربي، وأين قدرة مخلو   قٍ ضعيفٍ من قدرة الخلاق؟

***

وإضافة إلى ذلك كله يبرز بوضوح تأثره في هذه المرحلة المبكرة من حياته بتراث الشعر الغرامي والخمري. «والجديد» انه أحسن توظيف هذا الموروث الثري للحديث عن عادات وتقاليد في مجتمعه لها هوى في نفسه. من هذه العادات غرام أهل حضرموت خاصة المناطق الداخلية منها كمدن (سيئون) و(تريم) و(شبام) ونواحيها بشرب «الشاي». فإدمانهم شربه يوازي تماماً إدمان شرب الخمر!! وكما أن للخمر مجلسها وحانها وساقيها ومغنيها فشراب الشاي في حضرموت يعمر دائماً مجالس الأدب والطرب والأسمار. فهو «المزاج» المرافق لكل إنسان هناك. وعدة الشاي» تأتي دائماً في المقام الأول لأن المجلس يحلو بها ويطول. لهذا نرى (باكثير) يستعير صفات الخمر ومجالسها وتستدعي عنده جلسة شراب الشاي بين الأهل والأصدقاء نشوة الخمر ومتعة الشعر والغناء، وقد ارتبطت مجالس الخمر - مع الفارق - بهذه الأغراض من بعض العصور كما نجد عند«أبي نواس» مثلا.

على مائدة الشاي:

ويهتم في مثل هذ القصائد خاصة بمحسنات اللفظ مثل «حسن التقسيم» و«السجع» و«الجناس» و«تكرار الحروف» ويأتي تكرار الحروف في الكلمات التي تأتي في مجال الكناية عن «الشاي» مثل «بنت الكروم»، «الكأس»، «الكوب»، «حمرة»، «وجد»، «نديم».

واهتمام باكثير بمحسنات اللفظ يأتي في دائرة اهتمامه بالإيقاع الموسيقي، ثم إن الاهتمام بالإيقاع والرنين يدخل في نطاق تأثره بتراث الشعر العربي القديم الذي يهتم «بالصوت»، ويتوجه إلى «الأذن» لأن أساسه «السماع» لا القراءة. ومن هنا نجد اهتمامه ببعض الحروف التي تحدث هذا التأثير كحرفي «الراء» و«الواو» لوجود صلة بين هذين الحرفين وحالة السكر إضافة لكونهما حرفين أساسيين لصفات خمرية وكنايات عن الشاي مثل «خمر» «كروم»، «وجد».

وبما أن العلاقة دائماً بين الشارب والمشروب تكون حميمة وتتحول مع الإدمان إلى حب وعشق لا يعادله حب سواه لأنها الفضاء الذي يرمي فيه بهمومه، يقول:

«شراب الشاي خير لي ... من الدنيا وما فيها
تقي القلب أنواع الـ ... ـملاهي غير شاهيها
إذا أقبلت (كأس) ... كخود في تهاديها
تولى الهم من نفسي ... ودانت لي أمانيها!»

فالشاي عنده يحمل مواصفات الخمر ويحدث آثارها وهو المعادل (الحلال) للخمر (الحرام):

«روح فؤادي بكأس شاي ... مزاجه زانه اعتدال
وليس في الشاي يا (نديمي) ... عيب سوى أنه حلال»

لذلك نرى (عدة الشاي) ترافقه في الرحلات، وجلسات الأصدقاء.
فيقول في قصيدة «تحت ظلال النخيل»:

«يا رعى الله يوماً ... تحت ظل النخيل
قد قضيناه من ... أنس بخير مقيل
بيننا عدة الشا ... ي شفاء العليل
أشرقت أكؤس منـ ... ـها بنور جميل
ما لها في سوى أفـ ... ـواهنا من أفول!»

وعندما يدعوه صديقه الشاعر (صالح الحامد) إلى وليمة ثم يتأخر في تقديم الشاي بعد الغداء يكتب له «باكثير» هذه الأبيات تحت عنوان «المأكل الصالحي»:

«أكلنا أكلنا إلى أن شبعنا ... من المأكل الصالحي اللذيذ
ولكننا نشتهي أكؤساً ... من الشاي تفضح كل نبيذ

ومن خلال هذا كله يؤكد أن نشوة شرب الشاي تفوق نشوة الخمر، وبالتالي فهو يستعير «الألفاظ الخمرية» ويسمو بها من خلال التعبير المجازي للدلالة على «الوجد» كأقصى حالات الحب الذي يملأ «الروح» لا «البطن» كقوله:

«من المأوى أزف إلى (تريم) ... تحيات أرق من النسيم
تحيات يشف الوجد منها ... شفوف الكأس من بنت الكروم»

فباكثير في هذين البيتين يستخدم الكلمات ذات الدلالة والإيحاء، فكلمة (أزف) لا يمكن أن تحل محلها كلمة أخرى مثل (أقدم) وإلا لتغير المعنى تماماً. لأن كلمة (أزف) بما تحمل من «حرارة العاطفة» و«الإيقاع» و«الحركة» توحي بالدفقة الشعورية التي يريد أن يعبر عنها باكثير نحو مدينة (تريم)، ثم إن هناك الصلة الوجدانية بين الكلمات - إذا صح التعبير - بين «الرقة» و«الشفافية» و«النسيم» ثم يصل في النهاية «بالوجد» إلى حالة «السكر الروحي» من خلال «الكأس» و«بنت الكروم»، وهذه «الصورة» تستدعي لديه ميل التأكيد على المعنى من خلال تكرار كلمة (تحيات) بشكل يحقق التوازن الموسيقي في بداية الشطر الثاني من البيت الأول، وبداية الشطر الأول من البيت الثاني. ثم يكرر إضافة إلى حرفي «الراء»

و«الواو» حروفاً أخرى أثيرة لديه مثل «الباء» و«الفاء» و«الميم» ليحقق «النشوة الموسيقية!»، وليملأ الأذن «بالرنين» الذي تحدثه كلمات معينة تجمع بينها محسنات بديعية كالجناس في «أزف» و«شفوف» و«تريم» و«نسيم» إضافة لاجتماع حروف «الراء» و«الواو» و«الفاء» معا في كلمة «الكروم». وكل هذا يأتي في مجال تحقيق الصورة التعبيرية والإيقاع الموسيقي لحالة «الوجد» وجوها النفسي.

استعارات خمرية لوصف الشاي:

وتحت عنوان «هات اسقني» نرى هذه الأبيات الثلاثة:

هات اسقني من ذلك الكوب   من بارد الماء خير مشروب
ولست ظمآناً ولكنما   تقبيل ذاك الكوب مطلوبي
أعجبني تشريبه حمرة   كأنه وجنة محبوبي

والألفاظ هنا تحدد اتجاه العاطفة نحو معشوق إنساني، فهو يستخدم «الكوب» وليس «الكأس»، لأن «الكوب» يدل على الشاي، و«الكأس» تدل على الخمر، وقد رأيناه يستخدم «الكأس» في مجال الحديث عن الشاي. أما «الكوب» فهو يؤكد توجه العاطفة لإنسان لا لخمر، لهذا نرى «الكوب» يتحول إلى كناية عن شفتي الحبيبة اللتين يتمنى تقبيلهما. ويستخدم الطباق بين كلمتي «ظمآن» و«مشروب» ويضع بينهما عبارة «بارد الماء» لتحقيق الإحساس بالحرقة والشعور باللهفة والاشتياق.

وإذا كان «الكوب» يرتبط بالشاي «فالحمرة» تدل عليه، فتذكره بوجنة الحبيبة ثم يكرر «الكوب» مرتين، ويطغى حرف «الواو» من الأبيات على حرف «الراء» إمعاناً في الإيحاء بالمعنى، وتحقيقاً للتشبع الموسيقي، وسيطرة إيقاعه على الجو العام في كل شطر من القصيدة.

* * *

و«الفراق» و«الأسى» و«الاشتياق» هي الصور الحاضرة عند شاعرنا أما

اللقاء فالحديث عنه يتم باستدعاء صور من الماضي من خلال التذكر أو التمني كأن يقول:

رعى الله الليلات اللواتي   بها انقشعت عن القلب الهموم
إذ المحبوب ثاوٍ في حمانا   وإذ رقت لنا فيها الكروم
وإذ نلنا الأماني بالتلاقي   وإذ كل السرور بنا مقيم

وهكذا نجد تجاربه السعيدة في الحب تخرج دائماً في إطار من الماضي، فهو حزين معذب، وما أكثر القصائد التي يتحدث فيها عن الحبيب الذي أطال تعذيبه وباعد بينه وبين اللقاء كما نجد في قصيدتي «في واقعة حال» و«نجوى عاشق»، وإذا ما نعم باللقاء فإنه ينعم به في جو مشوب بالمخاوف كما نعم خلسة في قصيدة «مناجاة الحبيبين» لكنه يمضي بعد ذلك مكثراً من التحسر على الذكرى التي مضت والأيام التي انقضت على نحو ما نجد في قصيدة «في غفلة الزمان» أو قصيدة «زفرة غرام» التي يفتتحها بحدة تقول:

أسيوف في فؤادي تقطع   أم سعير ضمنتها الأضلع؟
آه ما أوجع قلبي، ما الذي   بي؟ وما طبي؟ وماذا أصنع؟

وعلى أية حال فإننا نجد معظم القصائد الغزلية في باب النسيب، كما سبق القول من نتاج العام الذي أمضاه في أندونيسيا وسنجد الفرق واضحاً بين قصائد النسيب في حضرموت وقصائد الغزل في أندونيسيا. وإذا عرفنا ان النسيب يتحدث عن الحب وعن الطلل، ويجمع بين البهجة والحزن فإن الغزل لا يتحدث إلا عن البهجة والاستمتاع، ويتركز أكثر ما يتركز في الصور الحسية. إلا أننا نجد شاعرنا حتى في قصائده الغزلية يتحدث عن «الطلل» ولكن ليس ذلك «الطلل» الذي تحدث عنه الشاعر الجاهلي إنه ليس طللاً مادياً، وإنما هو طلل «معنوي» وبذلك فلا تخلو القصيدة الغزلية عند باكثير من نغمة حزينة، تعبر عن الأسى والفراق واللوعة. مع الملاحظة أن قصائده الغزلية في أندونيسيا تشكل تطوراً فنياً عنده، لأننا سنجدها تتلوَّن بلون التجربة والحياة والطبيعة بل والمرأة هناك، لذلك

نجده يتخلص من «المقدمة» ويحافظ على الوحدة الموضوعية والتواصل الشعوري في القصيدة، وبالتالي يكثر عنده الحديث عن الصور الحسية. إلا أنه في النهاية يؤكد نقاء مذهبه ونفسه على نحو ما نجد في آخر قصيدة «بنات عُبَّاد المسيح»:

خذها إليك خواطراً من شاعر ... لم تخطر الفحشاء منه ببال
يهوى الجمال ولا يرى في وصفه ... بأساً برغم معاطس العذال
ويرى الجمال ووصفه عوناً له ... في هذه الدنيا على الأثقال

إلى أن يقول:

فالعيش لولا «الحسن» ليس بسائغٍ ... والعيش لولا «الشعر» ليس بحالي

وعلى هذا نجده ينطلق دائماً في شعره الغزلي من منطلق أخلاقي - وقد رافقه هذا طوال حياته - كما نلحظ أيضاً في قصائد هذا الديوان ظاهرة الوفاء لمحبوبة واحدة. ولما كانت معظم قصائد الغزل من نتاج العام الذي أمضاه في أندونيسيا فإننا نعتقد أنه يتوجه بهذا «الوفاء» إلى الحبيبة في حضرموت، هذه الحبيبة هي زوجه الثانية التي وعد بالزواج منها منذ صباها على نحو ما يؤكد في هذين البيتين:

بفؤادي بنت تسع ... حوت الحسن البديعا
وعدوني بلقاها ... ربِّ كبِّرها سريعا

وقد وقفت في وجه هذا الزواج بعض العقبات، فكان زواجه الأول ثم الانفصال، ولم يستطع الزواج من الحبيبة إلا بعد عودته من رحلة أندونيسيا، من هنا نجد تفسير «الوفاء» للحبيبة في حضرموت في غزليات أندونيسيا كأن يقول في قصيدة «نفثات حب» عن تعلق فتاة أندونيسية به:

رأت عربياً فاستخف بها الهوى ... رآها فحلت منه بالمنزل الرحب
ولولا هوى حسناء من نسل يعرب ... لقد ملكت عينا مدورية قلبي

ومن قصيدة قصصية تقع في أكثر من ستين بيتاً - ولعلها من أطول قصائد باب النسيب - بعنوان «خيال الحبيب أو الحب الثابت» ومن موضوعها نفهم أنه

قالها في أندونيسيا لأنه يتحدث عن تقاليد وعادات وعن قصور وعن طبيعة خلابة وهذا كله لا يوجد في حضرموت. وموضوعها يدور حول فتاة ثرية تستدعيه إلى قصرها لتصارحه بحبها، لكنه يعتذر لأن غيرها قد ملكت قلبه:

فصارحتها لا تطلبي غير ممكن ... فؤادي قد ملكته لخليل
ولست بساليه لأعشق غيره ... وما شئت يا أختي عليّ فقولي
يسوء «عليًّا» أن يجيء مؤمل ... فيرجع منه لم يفز بفتيل
ولو تطلبين المال أعطاك كله ... لكنه للقلب غير بذول!

وشاعرنا في هذه القصيدة القصصية كان يسير في دروب القصيدة العربية القديمة من حيث الشكل، لأنه يعبر في مضمونها عن قيم خلقية نبيلة، ويرسم صورة رائعة للمرأة يصدم بها واقع مجتمعه الذي يتناقض مع هذه الصورة. ويقدم المرأة من خلال المنظور الذي قدمها من خلاله «وضاح اليمن» في قصيدته الغزلية الحوارية المشهورة التي أدارها بينه وبين حبيبته «روضة»، فإذا كان وضاح اليمن يتحدى القبيلة ويخترق التقاليد ويسخر من الأب والأخوة في سبيل الوصول إلى الحبيبة الحبيسة في قصرها، ويبدي استعداده لعبور البحر وتسلق القصر، فإن باكثير يجيء بقصيدته وكأنه يعارض بها قصيدة وضاح - من حيث المضمون - لأنها تأتي داخل دائرة كبيرة من الشرف والعفة والمحافظة على التقاليد النبيلة والقيم الخلقية الرفيعة التي يتميز بها العربي الأصيل، لهذا فالبطل المحب عند شاعرنا ليس عنترياً، لأنه يحكِّم عقله وليس عضله، فيستمد قوته من قيمه الخلقية، ومن احترامه للتقاليد الأسرية، وتقديسه للعفة وحرصه على الوفاء، لذلك فهو لا يتسلق جدار الحبيبة بل يعبر لها من الباب أو على الأصح إن الحبيبة هي التي تعبر إليه، وتصارحه بحبها، فإذا ما وجدت أن غيرها قد احتلت قلبه أعلنت له احترامها لوفائه.

وهنا نجد باكثير - في هذه المرحلة الباكرة - لا يضع الفتاة في دائرة النظرة الضيقة المتخلفة للمرأة وإنما يضعها في دورها الإنساني اللائق بها. وذلك بمقابل

الصورة السلبية التي يرسمها «وضاح» للمرأة حين يجعل نداء الغريزة ناراً تضطرم بها جنبات كل بيت.

***

وما بين «الحب» و«الموت» كانت رحلة هذا الديوان. ذلك لأننا نجده في باب النسيب وفي غزلياته يتحدث عن البعد والفراق أكثر مما يتحدث عن القرب واللقاء، ويتحدث بأسى ولوعة وحرقة أكثر مما يتحدث بسعادة وفرح وبهجة. لذلك نستشعر عنده الخوف المستمر من فقدان الحبيب بالحياة قبل فقدانه بالموت، لأن الفقدان بالحياة أصعب من الفقدان بالموت، ومن هنا نجد أن موقف الوداع عنده أصعب المواقف، حين يقول:

نودعهم والدمع خاف فلم يزل   به الشجو والتذكار حتى تدفقا!
نعانقهم نبغي السلو وإنما   سعرنا به جمراً من الشوق محرقا
فلو كان ما أبقى الوداع من الأسى   على الطود كاد الطود أن يتشققا
فعطفاً أهيل الود إن اصطبارنا   قليل وإن القلب خاف وأشفقا

وإن كان يضع في البداية الحد الفاصل بين الوداع بالحياة والوداع بالموت حين يقول:

وداع ولكن بعده ألف ملتقى   وما ضرَّ بَيْنٌ يعقب الوصل واللقا

ومع ذلك فسنجد حديثه عن «الموت» في «باب الرثاء» يطول، وسنجد أن خواطره تسترسل وتتداعى في سهولة ويسر. ولا شك أن وراء هذه الاستجابة السريعة للرثاء في نفسه كثرة ما رزأه به الموت منذ صباه وشبابه الباكر في العديد من أفراد أسرته تجيء في مقدمتهم وفاة والده ثم وفاة أخويه عبد القادر ومحمد في ريعان الشباب.

وفي شعر الرثاء يحتشد باكثير عاطفياً ووجدانياً ويتحول إلى عازف حزين يتفاعل مع مقطوعاته، وتلتمع في مراثيه الكثير من الأبيات الحكمية والفلسفية حول الحياة والموت، كأن يقول في مرثية والده:

والعيش أضيق ضيِّق لكن إذا   ما حلّت الآمال فيه توسّعا
ولقد سئمت العيش في الدنيا وما   جاوزت بعد ثلاث عشر وأربعا
عِلماً بأن سرورها لا ينتهي   إلا إلى حزن يهدّ الأضلعا

أو أن نجده يشكو الدهر وغائلات الزمان التي بدت له وكأنها تتقصده على نحو ما نجد في رثائه لشقيقه الأكبر عبد القادر:

زمان السوء هلا نمت عني   قليلاً، ما مرادك باهتضامي؟
أبن لي ما مرادك من دموعي؟   لعلك شئت تكثير الغمام!
أترميني بسهم بعد سهمٍ؟   لقد ذاب الفؤاد من السهام
أخذت أبي فكان الصبر درعي   وهذا اليوم تفقدني همامي

إلى أن يقول في قلق ووجل وانكسار:

أخي رحماك! لا تبعد فمن لي   سواك؟ إذا الزمان حنى عظامي

ثم نجده في هذا الديوان يرثي طائفة كبيرة من الرجال المؤثرين في الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية في حضرموت، ويعبر في هذه المراثي عن الكثير من آرائه، وعن الكثير من القضايا الوطنية على نحو ما يتحدث في رثائه للسيد الفاضل عبدالله بن حسين بن محسن السقاف، ويتخذ من الموت مدخلاً حسناً للحديث عن بعض الخرافات والاعتقادات الباطلة كالاعتقاد في تلبية الأولياء والصالحين بعد موتهم لطلبات الأحياء أو التوسل بهم، ويتخذ همزة الوصل إلى هذا الحديث من قوله:

أوليت للرجل العظيم إذا ثوى   يوماً إلى نفع البلاد وصولا

ثم يدخل إلى نقده بذكاء حين يقول:

هيهات أن يعنى الذي تحت الثرى   بشؤون من هم فوقه تخييلا
كيف اطلابك حاجة من ميت   هيهات، كان بما لقي مشغولا

وإذا سألت الحي ذاك فلم يجب   فالميت أعجز أن يجيب سؤولا

وقد يتخذ من قصيدة الرثاء وسيلةً للحديث عن بعض القضايا الإسلامية على نحو ما نجد في رثائه للأستاذ محمد بن عقيل بن يحيى - وقد أوضحت هذا في هامش القصيدة - ووسيلة أيضاً للحديث عن القضايا الوطنية والاسلامية، فهو يعبر من البكاء على الفقيد إلى البكاء على حال شعبه وأمته، ويوصي الراحل ويقول له:

فإذا قدمت على الرسول   قل السلام على أبينا
واشرح له حال (الحضا   رم) بعد حال المسلمينا

ثم يدعوه إلى رسم صورة واضحة لواقعنا المرير:

قل يا أبانا إننا   صرنا نخاف المشركينا
إن الشجاعة قد خبت   نيرانها في المسلمينا
صاروا أيادي بعدكم   جبناء حمقى جاهلينا

***

ويبقى شعر الرثاء عند باكثير ليس شعر مناسبات كما جرت العادة، وإنما يتحول إلى وسيلة فنية يتحول فيها الشاعر إلى عازف - يمتاز بصدقه الفني - على أوركسترا القصيدة، حيث يجد المجال واسعاً لإبراز طاقته الشعرية وللإفضاء بهمومه الكبيرة. وبهذا يظل لشعر الرثاء عند باكثير أهمية ليس في هذا الديوان فحسب بل طوال حياته لأنه يحقق من خلاله هذه الأغراض جميعاً.

ولا غرابة في أن يجد باكثير نفسه في قصيدة الرثاء. فقد عانى منذ صباه تجربة الفراق حين ابتعد عن أمه وأُرسل إلى وطنه، وفي حضرموت رأى مآسي الغربة والهجرات الطويلة التي اشتهر بها الحضارمة في جزر الهند الشرقية والملايو. وقد التقى «بالموت» قبل أن يلتقي «بالحب»، وعندما التقى «بالحب» كان في طريقه إلى «الموت»، فوجد نفسه يغادر وطنه سابحاً في بحر من الدموع. ثم عاش - بعد ذلك - حياته كلها تحت وطأة الاغتراب في الزمان حين افتقد بين معاصريه «قيماً»

أفنى من أجلها عمره. ذلك لأنه منذ صباه قد عرف «طريقه»، وسار عليه وهو دون العشرين، وتحدث عنه في مقطوعة بعنوان «أنا والحق» نظمها في هذه السن، تقول:

مبدأي ثابت وقلبي شجاع   ويراعي حر وفكري طليق
لا أقول الذي اعتقادي سواه   وبمثلي أوهامهم لا تليق
وأطيق احتمال كل أذىً في الـ   ـحق، لكن لكتمه لا أطيق
قلبي الآن خافق وسيبقى   ينصر الحق ما استمر الخفوق

وقد «التزم» طوال حياته بهذا «المبدأ»، وسار يزرع «الورود»، ويدوس على «الأشواك» بصبرٍ وثبات، وبتصميم وعزم وإصرار حتى توفاه الله واختاره إلى جواره.

محمد أبو بكر حميد

جدة: في ٢٧ صفر ١٤٠٦هـ

الموافق ١٠ نوفمبر ١٩٨٥م

الدّيوان

بَابُ الأدَب

يا بني النهضة[1]

وهي من أوائل نظمه

لا ينال العلم إلا بالنصب ... ومقاساة عناء وتعب
وامتطاء الجد في تحصيله ... وسهاد الليل مَعْ صدق الطلب
وبتحصيل له والبحث عنـ ... ـه ولو بالصين أو أقصى حلب
وبإنفاق الدنانير فمن ... يعرف المطلوب يحقر ما وهب
قل لمن رام العُلى عفواً بلا ... ما اكتساب إنّ هذا لعجب
يا بني «النهضة» جدوا في العلى ... لا يكون الشيء من غير سبب
ذلّلوا كل جموح في العلى ... باجتهاد مستمر ودأب
كل أمر كسبه مُستصعب ... فبجدٍ واجتهادٍ يُكتسب
وافتخار المرء بالأخلاق والـ ... ـعلم أحرى لا بمال ونسب
والفتى من قوله هأنذا ... لا الذي يسمو بجد أو بأب
فاطلبوا العلم الذي ينفعكم ... فهو أحلى من مدام وضرب
وهو فخر وجمال وكما ... ل وفضل ورشاد وحسب
والزموا الدرس بتحقيق فمن ... يبتغ العلم على الدرس أكب
واغنموا غض شباب وسوا ... د شعور قبل أن يبدو لهب
قبل أن يشتعل الشيبُ بها ... كاشتعال النار في جزل الحطب
والزموا الآداب إخواني فلا ... خير في علم بلا حُسن أدب
وتحلوا بالفضا ... ئل». عن كل خصال تُجْتَنَب
واتقوا الله آله في أعمالكم ... والنوايا ترتقوا أعلى الرتب

---

(١) يخاطب بها طلاب مدرسة النهضة العلمية بسيثون.

وأحبـوا من أردتم حشركم		معه فالمرء مع من قد أحب
وصلاة الله تغشى المصطفى		أفضل الأعجام طراً والعرب
وكـذا آل وأصحـاب لـه		ما بدا نجم وما نجم غرب

استعطاف أب على ابنه

عـطفاً عـلى ابنـك أنـه		عـلقٌ نـفـيس طـيـبُ
ولـئـن أسـاء فـإنَّـه		لجميـلِ عفـوك يـطلبُ
نـزق الشباب هفا به		فـنظيره لا يـعتـبُ
أي امـرىء في عـنـفـوا		ن شـبابـه لا يلعب؟
فـارفـق بـه فـأحـقُّ من		يحنو عـلى الـولـد الأبُ

إلى الشيخ عبدالله فرحات المغنّي

فرحات إنك للورى فرحات … لك في الغنا بفنونه آيات
يمتدُّ صوتك بالغناء كأنما … لك غير صوت واحد أصوات
فاذا شدوت فكل حي ميت … طرباً فما تبدو له حركات
وإذا تلوت لنا النسيب فكلنا … مُهجٌ بها تتصاعد الزفرات
كم عاشق كتم الهوى في قلبه … فضحتهُ منك لدى الورى النغمات
وكذا الغناء يذيع أسرار الهوى … ويبث ما ضنت به اللوعات
يغدو به السر المُكتمُ ذائعاً … ومعارفاً تضحى به النكِراتُ
فرحات جئت إلى الحِمى فملأته … أُنْساً تطيب بصفوه الأوقاتُ
غنيتنا من دون عود مطرب … فاستأسرت ألبابنا النشوات
حتى كأنّا قد تساقينا طلاً … مُلئت بها الأقداح والكاسات
قسماً بمن أعطاك صوتاً دونه … في لطفه الأنداء والنسمات
لو كنت قارنت الغناء بمزهر … لاستيقظت من نومها الأموات!!

منهاج امرىء القيس

أنا النَهر الليليُّ فيما أرومُه … من المجد لا آلو ابتكاراً وإدلاجا
إذا راحت الأصحاب في غَفلاتهم … قضيتُ لنفسي من شؤون العُلا حاجَا
أضن بعُمري أن يضيع نفيسُه … لكسب حطام لا يُحسِّب محتاجا
ومن يك من آل امرىء القيس فليكن … له المجد من تيجان آبائه تاجا
ويقفُه في المسعى لمجد مؤثلٍ … وأكرم بمنهاج امرىء القيس منهاجا
سأسعى فإما أن أُوسّد أو أرى … سراجاً منيراً في المكارم وهّاجا

حرية الانتقاد

ألا لا تذموا الانتقاد فانه هو الرشد يهدي كل من ضله الرشد
ولا يبلغ العرفان أوج تمامه لدى أمة حتى يشيع بها النقد

نصيحة على لسان تلميذ

سنة ١٣٤٠ هـ

أيها الإخوان إني ناصح لكم فاستمعوا ما أنثر
كِلمٌ أرسلتها نصحاً لكم وإذا شئتم فقولوا درر!
إن هذا الدين نصح كله مثلما قص علينا الخبر
اطلبوا العلم الذي ينفعكم لا يني، لا ينثني، لا يفتر
شمّروا عن ساعد الجدِّ له حصلوه باجتهاد واصبروا
فتشوا لن تجدوا من عالم كان في تحصيله لا يسهر
لا تظنوا العلم سهلاً إنه في التعاصي فوق ما يصوَّر[1]
لا تظنوه زهيداً قدره إنه فضل الإله الأكبر
إنه نقطة بيكار الحجى إنه لهو العلى والمفخر[2]
سلّم العز، ومرقاة العلى وقوي الدين، به ينتصر
ما ترقت أُمة إلا به يهتدي الأعمى به والمبصر
كبروا الهمة في تحصيله إطمعوا لا تقنعوا واستكثروا
والزموا الدرس بتحقيق وبحـ ـث فبالسقيا يطيب الثمر
وعلى الأخلاق شبّوا إنها مظهر العلم، ونعم المظهرُ
وتحلوا بخلال المصطفى إنها الكنز النفيس الأفخر
اجعلوا نصبكمُ تاريخه وادرسوا أعماله واستظهروا
واقتفوا آثاره ما اسطعتم إنه بدر الصلاح النيِّر
صلوات الله تغشاه مع الـ آل والصحب ومن يدّكرٍ

(١) التعاصي من استعصى الشيء.
(٢) البيكار: هو آلة ذات ساقين لرسم الدوائر، والمعنى هنا للدلالة على أهمية الشاعر ومكانته الاجتماعية في بلاده.

حكمة مبتكرة

لا تخف سرك من يرجو إذاعته   فربّ سرّاً إذا أخفيته ظهرا

***

حسب بطن المرء ما قد   قاله خير الخيار
كوز ماء ورغيف   وعلى الدنيا البوار

***

عبد الأنام المال حتى أنهم   في كسبه ارتكبوا الحرام وجاروا
ومحوا من الدينار نقطة ذاله   حبًّا لذاك وأصله ذي نار

***

أن يصبر المرء خير   من أن يكون جزوعا
فلا تكن من قضاء   قضاه ربي هلوعا

***

قصيدة الغد

أتراها تسرني بتلاقي؟   بعد طول البعاد والافتراق
طفلة كالظبا سوى أنها لا   تتغذى بالشث والطُّباق(١)
وسوى أن خصر هذي رقيق   وخصور الظباء غير رقاق
طلعت في أفق الوسامة بدراً   في البها والجمال والإشراق
ورمتني بأسهمٍ من لحاظٍ   فاعلاتٍ فعل الرماح الدقاق
لفتت ظبية ومالت قضيباً   جلّ صنع المهيمن الخلاق
مَنْ لصبٍ متيم بهواها   مُستهامٍ بحبّها مشتاق
جسمه في ضنى، ونار هواه   في اضطرام وقلبه في احتراق
ودموع العيون ذات انهمال   وعيون الدموع في اغريراق
جفنه كالمريض فهو يرى حلـ   ـو كراه كالصاب مُرّ المذاق
لا يذوق الإغفاء إلا كما يشـ   ـرب ذاك المريض خوف الزهاق
يرقب النجم أين يهوي كأن الـ   ـنجم نار في قلبه الخفاق
وهلال السماء يتخذ السحـ   ـب نقابا من أعين الفُساق
كفتاة في الروض تخفى وتبدو   من خلال الغصون والأوراق
أو كرأس تنجاب عنه شعور   حين تجري فيه يد الحلّاق
والثريا كأنها ركمة من   لؤلؤ غير كامل الإشراق
ونجوم السماء مضطربات   حاكيات للزئبق الرقراق
والبكا والنُحول والسُهد والصُفـ   ـرة هذي علائم العشاق

***

(١) الشث والطباق: أنواع من النبات.

لست أنسى منـازلاً بكثيبٍ   ومحلا بين اللوى والـبُراق
حيث جـو الهناء زايله الغيـ   ـمُ وحيث السرور وحيث التلاقي
حيث حُجْبُ العناء والهمُّ قد مزّ   قهـا الأُنس باللقـا والعنـاق
حيث دارت مـا بيننا كؤوس الـ   ـخمر وجاد الـزمان بـالاتفاق
حيث صبح الرضى تنفس حيناً   وغصـون النعيم في إيـراق
حيث نلهو في غبطة وأمـانٍ   بـالغواني النـواعس الأحداق
وعلينـا من العفـاف رقيب   يقتضي منع مُقْتضى الأشواق
ليس ما بيننا سوى الضمُّ واللثـ   ـمُ وطيب الحديث والاعتناق
ما تذكرت ذلك العيش إلاّ   وجـرى مدمعي من الآمـاق
جاد تلك الربوع من غير غيث   صـوب غيث مجلل غيـداق

* * *

هل لذاك الزمانِ عَودٌ إلينا   بعد ما شتّتته أيدي الفراق؟
هل يعود السرور والأنس والبشـ   ـر، لهذا المتيـم المشتـاق؟
ليت شعري، هل الزمانُ معيدٌ   زمن الأنس والصَفا والوفاق؟
ليس عندي علم بمستقبل الأشـ   ـياء بل ذاك في يدي الخلاق!
لست أدري ما في غدٍ إنه أمـ   ـر وراء العقول والأطواق
هو بحر يجود بالدرِّ طوراً   وهو طوراً يبيد بالإغراق
ناظر ما نرومُ من آمال   نظر الزاهدين للأسواق
هو سر أمامه ساقطاتٌ   عاليات الرؤوس والأعناق
خاضعات وشاهدات بأن قد   عجزت عن صعود تلك المراقي
لو (أبو يوسف) درى أن سيأتي   ما أصابته شدة الإقلاق(١)
لست تدري أفي غد أنت مُثرٍ   في اغتباط، أم أنت في إملاق

(١) أبو يوسف يعني به نبي الله يعقوب، أي أنه لو كان يعلم أن ابنه المفقود سيعـود إليه لمـا ابيضت عيناه من الحزن، وقصته معروفة في القرآن الكريم.

أيها الحي هل أنت غداً حي   أم يلاقيك من حمام مُلاقي
أيها العاشق الكئيب أتحظى   بلقاً أم تموت في الافتراق
أيها البنت أنتِ في عصمة الزو   ج غداً أم يحلها بطلاق
أيها الزوج أنت مع أبنا   ك غداً في تلاؤم أو شقاق
أبغيث تصيبنا أم بعيث   يا مديم الإرعاد والإبراق
ساقي الكأس هل غداً أنت مسـ   ـقيٌّ بكأس الحمام أم أنت ساقي؟
حامل تاج هل ترى تحمل التا   ج غداً أم تُرى على الأعناق؟
أيها المتقي المهالك تدري   أبقتل تموت أم بسياق؟
من وقاه الإله يأمن ومن لم   يقَيْنهُ فما له من واقِ
والورى لاكتشاف ما في غدٍ في   غاية الارتياد والاشتياق
شغفوا باكتناهه فاستعانوا   بعلوم النجوم والأوفاق
وترامو على المُنَجِّم والعـ   ـرَّاف شوقاً لكشفه والرواقي
عظموهم مهابة ورجاءً   وحبوهم بأنفس الأعلاق
ولكم قد تقحموا من أمورٍ   ولكم قد تحملوا من مشاق
لكن الأمر جل عن أن يروه   بارتقاء إلى السما واستراق

* * *

ذلل المرء كل صعب وأمضى   كل أمر، وجال في الآفاق
ودرى كل ما حوته السما من   عجب، والبحور من أعماق
وتراه أمام باب غد ملـ   ـقى ذليلاً مصفداً بوثاق
فتح المرء كل باب سوى با   ب غد محكم الإغلاق
ذاك أمر بعلْمِـهِ انفرد اللـّ   ـهُ إلهي مقسم الأرزاق
جل ربي، وأين قدرة مخلو   قٍ ضعيفٍ من قدرة الخلاق

شديد الضغن

يا رُبَّ ذي حسدٍ شديـ ـدُ الضغن جد عميقه
مما رثيت لما به لم أُجزه بعقوقه
فأنا الشجاة بحلقه وأنا القذى في موقه

إنما مالك

كل شيء غير خلاّ ق الورى لا شكّ هالكْ
فالزم الطاعات واعمل لغد يوم سؤالك
وهب المال تجده ذُخرةً يوم مآلك
إن خير المال ما أُنـ ـفِق في خير المسالك
خير دنيا المرء ما لم يُفتتن المرءُ بذلك
إنما مالك ما أفـ ـنيت في إصلاح حالك
والذي خلفته بعـ ـد الفنا ليس بمالك

حسودي

حسودي لا يريد سوى اتضاعي   وكـوني لا أرى رجلاً نبيـلا
عجبت لـه يريـد يـرى قبيحاً   ويكـره أن يـرى شيئـاً جميـلا

* * *

تدل على فضلي عداوةُ حاسدي   فـما حاسـد إلا لأهـل المكـارم

الظن

لا تسيئـوا ظنكم أو تحسنوا   واكشفوا عن مبهم الأمر اللثاما
ليس حُسن الظنِ إلا مزلقا   وبسوء الظن تجنـون الأثاما
فـاذا أبهـم أمـر بيـنكـم   فافحصوه واجعلوا العلم إماما

* * *

إذا مـا كنت ذا خَلْقٍ قبيـح   فحسٌن ذاك بـالخُلُق الكـريم
فحُسن الخلقِ في خَلقٍ قبيـح   كمثـل البـدر في الليـل البهيم

مدرسة النهضة

وله هذه القصيدة قالها عندما تأسس بيت مدرسة النهضة العلمية[1] بسيئون وهي من أوائل نظمه:

قف في الرياض الزُهر باطمئنان ... وانظر هناك تعانق الأغصانِ
وامش الهوينا في حدائقها التي ... حفت بمثل الدُّرِ والعقيان
تلك الحدائق لا انحصار لحُسنها ... فاقت جميع حدائق الأوطان
تلك الحدائق ماؤها عذبِ وصا ... في اللون والحصباء من مرجان
والطيرِ في أرجائها تتجاذب الأ ... رواح بالنغمات والألحان
فحمامها يشدو على أغصانها ... وهزارها يحدو على الأفنان
أشجارها فتحتْ جفون زهورها ... ودنت قطوف ثمارها للجاني
ما بين أصفر فاقع في جنب أبيـ ... ـضَ ناصع بإزاء أحمر قاني
فهناك تلقى سادة سادوا الورى ... بالحلم والأخلاق والعرفان
فاقرْ السلام عليهمُ إن جئتهم ... مني وسلهم تُعط كل أماني
فهمو جبالٌ رُسخٌ في الجود والـ ... إكرام والإسلام والإيمان
نالوا المكارم والمعارف والندى ... أمداحهم تتلى مدى الأزمان
منهم عماد الدين (سقاف) العلا ... باني كيان الجود ذي الأركان
بدر الهدى غيث الندى بحر الجدى ... جالي صدى الأخلاق عالي الشان

---

(١) تأسست مدرسة النهضة العلمية في سيئون سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) بجهود أهل العلم والفضل من البلاد، كان في مقدمتهم الثلاثة الذين يذكرهم شاعرنا في هذه القصيدة، وهم: سقاف بن محمد ابن عبدالرحمن السقاف منشيء فكرة تأسيس المدرسة والباذل في سبيلها الكثير من ماله، وأبو بكر بن طه بن عبد القادر السقاف صاحب الأعمال الكبيرة في ترقية المدرسة وإعلاء شأنها، والثالث والده المحسن الشهير أحمد بن محمد باكثير الذي يرجع إليه الفضل في جميع أوقافها الجارية.

وكذاك بدر الدين لا تعدل به ... أحداً فما للبدر بدر ثاني
أعني (أبا بكر) المهاب المرتجى ... سيف الإله على العدو الشاني
وكذاك محمود المساعي (أحمد) ... غيث الندى والبر والإحسان
جم الفخار «أبو كثير» سيد الأ ... مناء (عامِر) هذه الأزمان
عيّ القريض عن امتداح ثلاثة ... أغضى حياءً منهم القمران
شادوا المعالي وابتنوا أركانها ... بالجد والتشمير والإتقان
بذلوا لمدرسة العلوم نفوسهم ... فغدوا كواكب «نهضة» الفتيان
رفعوا بها للعلم قصراً في الحِمى ... قد كان فيه مضعضع البنيان
فجزاهم المولى على مسعاتهم ... في مستقر الخلد بالرضوان

* * *

جِدّوا تلامذة المعالي فالعلى ... لا تجتنى بتكاسل وتواني
والعلم لا يزكو لغير مجاهد ... جلد على أعبائه سهران
يسعى إليه بهمة تعلو على الـ ... ـجوزاء والمريخ والسرطان
وأبرّ من صحب الكريم، علومه ... في كل آونةٍ وكل مكان
من لم يكن حلف العلوم فإنما ... هو جلمد في صورة الإنسان
فدعوا التواني انه ليس من ... شيم الرجال الكمل الأعيان
وتواضعوا لا تكسلوا فالعلم حر ... ب للفتى المتكَبر الكسلان
وتعاونوا في البر والتقوى ولا ... تتعاونوا في الإثم والعدوان
لتصير مدرسة العلا تزرى غداً ... بمدارس الأمصار والبلدان
وتُكوِّنوا منكم قُوىً لبلادكم ... تعلون رتبتها إلى الميزان
تحمونها عن كل باغٍ معتدٍ ... بسلاح علم قاطع وسنان
تحيا البلاد بكم ويرغد عيشها ... في ظل عدل وارف وأمان
ثم الصلاة على النبي محمد ... خير الأنام الشافع العدناني
والآل والأصحاب والأتباع ما ... صدح الحمام على غصون البان

إلى معاوية بن أبي سفيان

معاويُ من يُحببكَ يُشفق عليك من   حساب، ومن يُبغضك يلعنك مُعلنا
ويُبصرُ فيك المُنصفون مُوفَقاً   حليماً، على أُخراه قد آثر الدُنا
فما زلت في مرجوحِ أمرينِ عند من   أحب، ومن أعطاك نِصفاً ومن شنا

بَابُ الوَصْفِ[٧]

البدر وهالته

ما أجمل البدر محفوفاً بهالته ... في منظر حسن يستأسر الرائي
كدرة ألقيت في البحر فارتسمت ... من ذاك دائرة تنداح في الماء

في واقعة حال

دارت عليهم دائرات السـوء   وأضفن مـرزوءاً إلى مـرزوء
ودهـاهمو خطب يضوضع ملكهم   ويديل محسنهم بذنب مسيء
حتى نرى حراً يسوس بلادنا   بعـدالـة وسكينـة وهـدوء

***

لست مستبطئاً عطاءك يا رحـ   ـمان يا رب يا كثير العـطاء
إن في شكرها تقدم من إحـ   ـسانكم شاغلاً عن استبطائي

***

عند غروب الشمس

غابت الشمس فاستطال شعاع   من بقايا ضيـائها في الهـواء
مثل قضيب البخار، يجمعها أصـ   ـل وتمشي الفروع في الأنحاء
أو كبحر جرى بـه «وابور»   فتبـدت طـرائق في المـاء

***

وفـتـاة جمـيلة بيـضـاء   قـد تبدت في حلة حمـراء
فهي بدر بدا عقيب غروب الـ   ـشمس وسط احمرار لون السماء

ترفق بقلبي

تــرفق بقلبي، تــرفق بــه ... فقـد بلغت حدك في عتبـه
تريد اغوائي عن ذا الهوى ... وهل يرعوي الصب عن حبه؟
تسب فتى عف في عـشقـه ... ألم ينهـك الله عن سبـه؟
فمهـلاً عـذولي إني امـرؤ ... هـواه تمـكن مـن قـلبـه
رأى العيش في موته فانبرى ... إلى الحب يركض في دربه!

القهوة والشاي

يقولون لي اشرب كأس شاي وكأس قهـ ... ـوةٍ إن كـلاً مـنهـما لشراب
فقلت لهم تلكم فتاة وذا فتى ... وبينهـما عند الإلـه حجاب!

ترفق بقلبي

تـرفق بقلبي، تـرفق بـه ... فقـد بلغت حدك في عتبه
تريد ارعوائي عن ذا الهوى ... وهل يرعوي الصب عن حبه؟
تسب فتى عف في عـشقـه ... ألم ينهـك الله عن سبـه؟
فمهـلاً عـذولي إني امـرؤ ... هــواه تمـكـن مــن قـلبـه
رأى العيش في موته فانبرى ... إلى الحب يركض في دربه!

القهوة والشاي

يقولون لي اشرب كأس شاي وكأس قهـ ... ـوةٍ إن كـلاً مـنهـما لشراب
فقلت لهم تلكم فتاة وذا فتى ... وبينهـما عند الإلـه حجاب!

ترفق بقلبي

تــرفق بقلبي، تــرفق بــه		فقـد بلغت حدك في عتبـه
تريد ارعوائي عن ذا الهوى		وهل يرعوي الصب عن حبه؟
تسب فتى عف في عشقـه		ألم ينهـك الله عن سبــه؟
فمهــلاً عــذولي إني امــرؤ		هــواه تمكـن مــن قـلبـه
رأى العيش في موته فانبرى		إلى الحب يركض في دربه!

القهوة والشاي

يقولون لي اشرب كأس شاي وكأس قهـ		ـوةٍ إن كــلاً مـنـهـما لشراب
فقلت لهم تلكم فتاة وذا فتى		وبينهـما عنـد الإلــه حجـاب!

ليلى والبدر

يا أيها البدر ما أحلاك في نظري ... بين السحائب تبدو لي وتحتجب
أذكرتني صنع ليلى إذ مررت بها ... تبدو لتجرح قلبي ثم تنتقب

هات اسقني

هات اسقني في ذلك الكوب ... من بارد الماء خير مشروب
ولست ظمآنا ولكنما ... تقبيل ذاك الكوب مطلوبي
أعجبني تشريبه حُمْرةً ... كأنه وجنة محبوبي

في حال مرض[1]

أصبحتُ لا أستطيع السير أركبه ... وقد أكون وعاتي الخيل مركوبي

وأصبح الشيء مطلوبي ولكنت وما ... قوي الدافع إلا دون مطلوبي

كأنما مسني عمّاً بليت به ... سُقم (ابن متى) تلاه ضرّ (أيوب)[2]

(1) [illegible]

(2) [illegible]

على أرماس جوهر[1]

مررت على تلك القبور (بجوهر) ... وناديت يا أهل القبور أجيبوا

أجيبوا ندا من كان فيكم أب له ... وجدٌّ وفيكم صاحب وقريب

فرجّع صوتي في نواحي فضائه ... كأن لم يكن إذ ليس ثمَّ مجيب

(١) أرماس جوهر: مقبرة جوهر موقعها في شمال سيئون، وتوجد بها مدافن آل باكثير.

في حال مرض[1]

أصبحتُ لا أستطيع العير أركبه ... وقد أكون وعاتي الخيل مركوبي
وأصبح المشي مطلوبي وكنت وما ... قوي المدافع إلا دون مطلوبي
كأنما مسني عمًّا بليت به ... سُقم (ابن متى) تلاه ضُر (أيوب)[2]

(١) سُقم ابن متى: لعله يقصد به نبي الله يونس بن متى الذي ابتلعه الحوت، والمذكورة قصته في القرآن الكريم، وربما يكون ذلك إشارة إلى قوله تعالى «فنبذناه بالعراء وهو سقيم» الآية ١٤٥، الصافات.

(٢) أما ضر أيوب فيقصد به ما أصاب أيوب من ابتلاء كما هو معروف في القرآن الكريم.

على أرماس جوهر[1]

مررت على تلك القبور (بجوهر) ... وناديت يا أهل القبور أجيبوا
أجيبوا ندا من كان فيكم أب له ... وجدٌّ وفيكم صاحب وقريب
فرجّع صوتي في نواحي فضائه ... كأن لم يكن إذ ليس ثَمَّ مجيب

(١) أرماس جوهر: مقبرة جوهر موقعها في شمال سيئون، وتوجد بها مدافن آل باكثير.

على رسم الشاعر الحضرمي أبي بكر بن شهاب[1]

صـــورة حفهـا جـــلال المعـالي وجـــلال الـعـلوم والآداب. . .
أصدقيني - بمن حكيت بمن مثْـ ـثَلتِ هل أنت صورة ابن شهاب؟
أصحيح نرى على حرمك المحـ ـدود هذا، عظيم ذاك الجناب؟

---

(١) أبـو بكر بن شهـاب (١٢٦٢ - ١٣٤١هـ /١٨٤٤ - ١٩٢٣م) ولـد في تـريم وتـوفي في حيـدر أبـاد بالهند، من كبار شعراء حضرموت ومن كبار فقهائها اشتهر برحلاته ولقاءاته بـرجال العلم والأدب في العالم الإسلامي، وبمواهبه المتعددة في مختلف ميادين العلوم والفنون. له أكثر من ثلاثين كتاباً في الرياضيات والمنطق والحساب والبديع والأسانيد والفقه بعضهـا مطبـوع، كما أن له ديواناً طبع سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م).

على ظهر كتاب «النظرات»

لمصطفى لطفي المنفلوطي[1]
وهي من أوائل نظمه :

لله در (المنفلوطي) الـــذي نفح الورى بكتابه «النظرات»
سفـر جليل مستـطاب جيد قد جاء (لطفي) فيه بالآيات
بـطوائف ولـطائف ونفـائس وعـرائس ليست بمفـترعـات
تآليف من قد خصه خلاقه بفصـاحة الألفـاظ والكلمات
شهم أديب بـالخلاق متوج ذو فـطنـة وبـلاغـة وثبـات
وقـريحـة وقـادة نـقـادة جـاءت بأنفـاس ومبتكـرات
سمح الإله به لترقية الورى والنفع (بالنظرات والعبرات)
هو بحر شعر زاخر يلقي لنا درراً من المنثـــور والأبيـات
لسن بليـغ قـولـه ومُعَـبرٌ عما حواه القلب من خطرات
حِكَمٌ يـرصع درهـا متخيراً للجزل شأن الماهر النحّـات
لا زال يـولينا نفـائس دُرِّهِ وحباه رب العرش بالخيرات

---

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٦ - ١٩٢٤م)

قلمي

قلمي أنفذُ في الجر ي من البيض البواتر
ما جرى في الطرس إلّا ملأ الطرس جواهر

ساعة وصل

بأبي غادة شمو عاً زكياً نجارها(١)
في فؤادي مقامها أبداً فهو دارها
واصلت بعدما تطا ول عني نفارها
فدعتني وقد تزحـ ـزح عنها خمارها
للتمشي على ريا ضٍ سميم عرارها
باسماتٍ زهورها دانيات ثمارها
تتهادى غصونها إذ تغنى هزارها!
فمشينا معاً يلفّ كلينا إزارها!
يميني لخصرها ولجيدي يسارها!

(١) نجارها: من نسب أصيل.

شر الطعام

شر طعام في الورى (الهريسة) فإنها دنيئة خسيسة[1]
مأكلُ من حياتُه تعيسة توجع بطنه وتُخلي كيسه
مضرة بالصحة النفيسة بالسم في أضرارها مقيسه
يغدو لها آكلها فريسه

(١) الهريسة: نوع من الأكل الشعبي المعروف في حضرموت مادته الأساسية اللحم والشعير، يطهيا معاً حتى يصبح عجينة ويؤكل بالسمن والسكر أحياناً،

الفراش

في وصف الفراش وتساقطه عليه حين المطالعة:

ألا شتت الله شمل الفراش فعسكره إن أتى الليل جاشْ
يشوشني في مطالعتي ويلزمني نائما في الفراش
فبعداً له ثم بعداً له فيا ليته مأكل للحناش
إذا ما قرأت كتاباً أتى يهرول هرولة بانتعاش
كأن الكتاب عدو له فيُمضي اليه سهاما تراش[1]
متى ضربته يدي ضربة تماوت ثم على الفور عاش
وقد رمت أهلكه جملةً فَلُبِّي مما يعانيه طاش
فأقتل هذا وأضرب ذا فذا في احتضار وذا في ارتعاش
فجئن إليَّ محاربةً عظاماً سماناً كمثل الكباش
فأصطادهن ولكنهن هن الظباء وإني (خراش)![2]
ألا قبح الله تلك الوجوه وتلك الجسوم وتلك الرياش

(١) تراش: الاندفاع بعنف.
(٢) معنى البيت تضمين لقصةٍ معروفة في التراث عن رجل يُدعى (خراش) أراد أن يصيد ظبيةً فتجمعت حوله ظباءٌ كثيرة جاءت في قول الشاعر القديم:

تفرقت الظباء على (خراشٍ) فلم يعرف (خراش) ما يصيد

أحمد وعوض

هي قصيدة قالها على لسان عمه العلامة الشيخ محمد بن محمد باكثير في شأن خادم كان له يسمى أحمد ثم أصيب بمرض فأتى بخادم آخر اسمه عوض فقال في ذلك على سبيل الفكاهة:

صبراً على هذا المضض ... فما قُضي لا ينتقض
والدهر لا ينفك يبـ ... ـلونا بأنس وجرض
وعادة الأيام بالـ ... ـصحة تأتي والمرض
عيش الفتى دين سيسـ ... ـترد يوماً ما اقترض

***

قد كان عندي خادم ... يقوم لي بالمفترض
إذا دعوته أتى ... وإن أمرته نهض
ذكي قلب وليس يخـ ... ـطي ما بقلبي من غرض
يأخذ مني النصح لا ... يضيع يوماً ما قبض
لا يُظهر السر ولو ... يشدخ رأساً أو يرض
عاهدته على الوفا ... في خدمتي فما نقض
لكنه صيّره الد ... هر لبلواه غرض
وانتاشه ريب الزما ... ن بالسقام والمرض
فبان عني ذلك الـ ... ـنَفع الأتم وانقرض
آهٍ على من بُعده ... أزعج نومي فأقض

***

عللت نفسي بالمُنى ... وقلت لي منه عوض
وجاءني بعد قليـ ... ـلٍ خادم يدعى (عوض)
حسبته ينهض لي ... بما به ذاك نهض
إذا به مستيقظاً ... (كأحمد) إذا اغتمض
وسعي ذا إذا ونى ... كسعي ذا إذا ركض
من شاب نصحاً لا كمن ... أخلص نصحاً ومحض
شتان بين ذا وذا ... هل ماثل الدرّ الخضض

***

(أحمد) يا من بعده ... أوجع قلبي وأمض
هل أنت إلا بارق ... لاح قليلاً وومض
أو طائر حلق في الـ ... ـجو قليلاً فانخفض
أو زهر يد الزما ... ن اقتطفته وهو غضّ
منَّ الله عليك بالـ ... ـشفا ووقاك المرض
كيما تعود للذي ... وظفته قبل المرض
فالود باق، والهوى ... عهوده، لم تنتقض!

نشيد نهضة العلم

نشيد الاحتفال لتلامذة مدرسة النهضة العلمية بسيئون(١)

بنهضة العلم شخص العلم قد نهضا   وعنصر الجهل في أيامها انقرضا
وقد توطَّد ركن الدين وانتشرت   أعلامه، وبدا صبح الهدى وأضا
اليوم يوم به (سيئون) زاهية   مملوءة فرحاً إذ نالت الغرضا
اليوم يوم به حل السرور بنا   يوم احتفال وإقبال ويوم رضا

(١) نشرت مجلة «التهذيب» في عدديها الأول والثاني نص الخطبة التى ألقاها الشاعر علي أحمد باكثير في الاحتفال السنوي لمدرسة النهضة العلمية بسيئون في ٤ محرم ١٣٤٩هـ الموافق ٣١ مايو ١٩٣٠م وعلقت المجلة تقول: «إنهاأول خطبة في موضوعها ألقيت على ملأ من الناس في هذ الديار».
ويناقش باكثير في هذه الخطبة الاعتراضات التي ثارت ضده لتلقينه طلاب المدرسة هذا النشيد مرفقاً بالموسيقى على اعتبار هذا الفعل تقليداً جديداً وتشبهاً بالأجانب، ويبرر باكثير هذا بأدلة منطقية يستمدها من السنّة والسيرة النبوية إلى أن يقول: «. . . وعلى هذا فلا مانع أن ننسق أصواتنا على هذا الوضع الخاص الذي تصدر عنه هذه النغمة التي ترنم بها أبناء المدرسة اليوم، وليس للإفرنج علينا في ذلك من فضل اللهم إلا فضل السبق لاهتدائهم لهذا الوضع المخصوص». وقد كانت هذه من أهم الصدمات التي أحدثها باكثير في جسد التخلف والجمود في حضرموت في ذلك الوقت.

أهلاً

أهلاً بديوان «حافظ»   يا ليتني لك حافظ
ديوان شاعر مصر   أبلغ منشٍ ولافظ
حوى قصائد شعر   عيونهنَّ يواقظ
وصف، مديح، نسيب   شكوى، رثاء، مواعظ
برز فيهن طراً   فهو لأعداه غائظ
شعر أرق من العتـ   ـب في رسائل «جاحظ»(١)
أشهى لناظره من. .   سحر العيون اللواحظ
كأنه صوت (اسحا   ق) في غناء (ملاحظ)(٢)

(١) الجاحظ: أبو عثمان (٧٧٥ - ٨٦٨م) عاش في العصر العباسي، كان ذا ملاحظة دقيقة، وروح مرحة، من كتبه «الحيوان» و«البخلاء» و«البيان والتبيين».
(٢) اسحاق الموصلي المعروف بابن النديم، اشتهر بإتقان فن الغناء، من ندماء الخلفاء، كان موسوعة فنون عصره، شاعر وله ديوان، ت ٢٣٥هـ.

أنظر

أنظر إلى بدر السما متألقا   حفت به شهب النجوم السطع
فكأنها وُزراؤهُ وكأنه   ملك على كرسيه متربع

* * *

ورحبة لي كاعب ناهد   لا تبرح العقرب في صدغها
خفت عليها فاذا هي قد   سلمها الرحمان من لدغها

* * *

أنظر إلى ذا الهلال منتصفاً   ودونه النيران تأتلق
يشبه كفاً من فضة صنعت   تلتقط الدر وهو مفترق

بدر التمام

على أثر ختم تجريد البخاري سنة ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٣م:

بدر التمام على حمانا مشرق   وعبير مِسْك الختم فينا يعبقُ
ووشى بسر الروض نمام الصبا   من بعد ما حياه غيث مغدق
فغدت ثغور الورد فيه بواسماً   وعيون نرجسه إلينا ترمق
والجلنار به غدا ملتهباً   كالنار إلا أنه لا يحرق
وحكى الغمام عمائماً منفوشة   من فوقهن بساط حُسن أزرق
والأرض تضحك والرياح عليلة   والزهر يبسم والبروق تألق
والطير تخطب فوق أغصان النقا   ومن العجائب نطق ما لا ينطق
هذا السرور وذا الحبور وهذه الـ   ـبشرى وأعلام البشارة تخفق
لم لا؟ وقد ختمت أحاديث الذي   هو في البرية صادق ومصدق
خير الأنام نبينا المخصوص بالـ   إسرا ومن هو في السماحة معرق
للمؤمنين هدى وللأعدا ردى   نور مضيء أو شهاب محرق
بحر لمن رام الهداية نافع   ولمن أبى إلا الضلالة مغرق
والحسن فيه تجمعت أوصافه   والطيب من أردانه يُستنشق
بقراءة التجريد نلنا كل ما   نرجو ونلنا كل ما نتعشق
فليبشرن تالو حديث المصطفى   والحاضرون ومن لديه ينفق
قرأوا حديث المصطفى بتدبر   من ربهم ماء السكينةِ قد سُقوا
تركوا لهذا (حتى كأن لم يعلموا   أن الكلام لهم حلال مطلق)
قد أكملوا التجريد (للشرجي) من   هو في العلوم محقق ومدقق[1]

(١) الشرجي: هو الفقيه الذي قام بتجريد البخاري من أسانيده ووضع أحاديثه فقط.

منهم حميد السعي (أحمد) ذو التقى   غيث المكارم والنوال المغدق[1]

وكذا الإمام الألمعي (محمد)   حبر العلوم وبحرها المتدفق[2]

وكذاك إخوان كرام للمعا   لي والمكارم والمعارف سبق

تلوا الأحاديث التي بجمالها   فاقت لآلىء في عقود تنسق

بلغت من الإفصاح منزلة علت   ومن البلاغة رتبة لا تلحق

قد ذكرتنا ما جرى لنبينا   وكذا لصحابته الكرام الحذق

الطيبون ومن إذا وعدوا وفوا   بوعودهم وإذا يقولوا يصدقوا

السابقون إلى المكارم والعُلى   والصابرون إذا البطون تمزق

إن الشجاعة والبسالة فيهم   وكذا الثبات إذا الدماء ترقرق

لا يهربون إذا الكتائب أقبلت   وإذا السيوف تلمعت لا يفرقوا

قوم إذا ما الأرض قد سالت دماً   سكتوا وألسنة الأسنةِ تنطق

و(محمد) قبل الصحابة مقدم   وبه إن اشتد التهاجم يتقوا

فكأن (أحمد) بين أصحاب له   قمر تحيط به النجوم وتحدق

لم تُلهِيَنهمْ هذه الدنيا ومن   يغترّ بالدنيا فذاك الأحمق

بينا الفتى مثواه قصر واسع   فإذا به مثواه لحد ضيق

ما هذه الدنيا بدار إقامة   فجميع ما فيها يبيد ويمحق

نرجو من المولى بجاه (محمد)   أن لا يحل بسوحنا ما يوبق

وبه إلهي ثبتن أقدامنا   عند الصراط فلا تحيد وتزلق

يا رب في دار الرضى اجمعنا به   فنفوسنا للقائه تتشوق

يا سيد النباء يا غيث الندى   يا خير من تحدى إليه الأنيق[3]

يا كعبة القصاد يا من مثله   في عصره أو غيره لا يُلحق

جئناك راجين الشفاعة فاستجب   فعسى بفضلك كل خير نرزق

يا سيدي اشفع فيهم يوم الجزا   فلباب جودك واسع لا يغلق

(١) أحمد ذو التقى: يقصد به والده الشيخ أحمد باكثير.

(٢) الإمام الألمعي: يقصد به عمه العلامة الشيخ محمد باكثير.

(٣) النباء: جمع نبي

واخصص سمي المرتضى بشفاعة   عنه تزيل ذنوبه وتزحلق

صلى عليك الله ربي ما بدا   من نحو (طيبة) بارق يتألق

وعلى أبي بكر كذا عمر كذا   عثمان ثم عليٍّ المتصدق

وكذا أصحاب النبي جميعهم   ما انهل غيث منجد أو معرق[1]

وكذاك أشياع النبي وآله   وكذاك أتباع الصحاب ومن لقوا

ما حن مشتاق إلى السكنى وما   غنى على غصن الأراك مطوق

(١) منجد: يقصد بها جهة نجد، ومعرق: يقصد بها جهة العراق

أنا والحق

مبـدأي ثابت وقلبي شجـاع   ويـراعي حر وفكـري طليق
لا أقـول الذي اعتقـادي سواه   وبمثـلي أوهـامهـم لا تـليـق
وأطيق احتمال كل أذى في الـ   ـحق لكـن لكتمـه لا أطيق
قلبي الآن خافق، وسيبقى   ينصر الحق ما استمر الحقوق

تحت ظلال النخيل

يا رعى الله يوماً   تحت ظل النخيل
قد قضيناه في أنـ   ـسٍ بخيرٍ مقيل
حيث ساقية (الجرب)   انبرت في العويل![1]
بيننا عدة الشا   ي شفاء العليل
أشرقت أكؤس منـ   ـها بنور جميل
ما لها في سوى أفـ   ـواهنا من أفول!
عظمت نعمة الشا   ي اللذيذ العسيل
جعلت من حرام الخمـ   ـر خير بديل
لا يعاب برجس   لا يزن بقيل
يأذن الهم من مجلسـ   ـه بالرحيل
سُقيت (نخيلة الجرب)   بماء السيول!!

(١) الجرب: اسم بئر بالبستان الذي اعتاد الشاعر ان يصطاف فيه بإحدى ضواحي سيئون في حضرموت.

روّح فؤادي

روّح فؤادي بكـأس شـاي　　　مـزاجـه زانـه اعـتـدال
وليس في الشـاي يا نـديمي　　　عـيب سـوى أنـه حـلال

قبلة الوداع

ابتسامة القيامة!

أقبلهـا تـقـبـيـل صب مـودع　　　يلح به خوف النوى أن يُطيله
يـطيع ويعصي عـزمه في رحيله　　　يـودُّ لو انّ العـزم خـلّى سبيله

ص ١٠١

تضرّعَ على فراش الألم[1]

يا رب إني إليك اليوم معتذر ... مما جنيت من العصيان والزلل
نقوم للصلوات الخمس ليس لنا ... منها سوى حركات الجسم والنُقَل
ولا نصوم سوى ما قد فرضت على ... كل الورى وهو مملوء من الخطل
نُمسي ونُصبح في لهو وفي لعب ... وما لنا غير حسن الظن من عمل
وهانا اليوم محموم على وهج ... من حر سقمي ورأسي بالصداع بلي
حران بالقلب من نار الذنوب ومن ... نار السقام فجد بالبرء من عللي
يا أكرم الناس يا أعلى الورى شرفاً ... يا خير من سار في سهل وفي جبل
يا سيد الخلق يا أعلى الورى كرماً ... يا صفوة الناس من حافٍ ومنتعل
يا صفوة الله يا من لا ترد له ... شفاعة عنده يا أكرم الرسل
إني توسلت بالجاه العريض إلى ... مولاك يا منتهى سؤلي ويا أملي
أن يكشف الداء عني من إرادته ... ما بين كاف ونون جلَّ عن مثل
قل يا حبيبي لمولاك الكريم ألاَ ... جد بالرضى والعوافي والشفا (لعلي)

(١) استطعت أن أتعرف على تاريخ نظم المقطوعات التي تتناول حال مرضه من كتاب مخطوط لابن عمه وصديقه الأستاذ عمر محمد باكثير بعنوان «مع علي أحمد باكثير» يقول فيه: إن شاعرنا مرض بالحمى في ٢٨ القعدة ١٣٤٤هـ الموافق ٨ يونيو ١٩٢٦م، وأنه كان في هذه الفترة مديراً لمدرسة النهضة العلمية بسيئون.

ألمت بي الحمى

يا رب هب لي ما قد قلت من كلم ... عوراء ليس بها إلاّ أضاليل
إذ ما أردت بها ربي مخالفة ... وإنما هي أوهام وتخييل
وما أبرىء نفسي من نقائصها ... لكن رجائي من الرحمان تنويل
إني أتيت إليك اليوم معتذراً ... عما جنيت ومنك العفو مأمول
وقد ألَّت بي الحُمَّى الشديدة يذ ... كيها الصداع ومنك البرء مسؤول
فاغفر ذنوبي وجد بالبرء من عللي ... بجاه من جاءه بالوحي جبريل
محمد سيد السادات من مضر ... من هدمت بمساعيه الأباطيل

الساعة

أأسير مقيَّد بسلاسل؟ خافق القلب في عناً وبلابلْ
أم كعاب تجر أذيالها تيـ ـهاً كغصنٍ من الصّبا متمايل
أم هِلال بدا فأبدى محيّا ضاحكاً ضحك شامت أو هازل
أم فتى مُغْرم بأسماء قد شفـ ـته ذكرى ربوعها والمنازل
فهو الليل ساهر قلق مضـ ـطرب القلب تعتريه النوازل
أم نذير أتى يخبرنا أنَّ الفتى عمره ليالٍ قلائل!
ناطق صامت نبي وفيّ صادق قائل وليس بقائل
فهو (سحبان) في الفصاحة حقاً وهو في العي والفهامة (باقل)[1]
سائر غير سائر فلكي يستفيد الأنام منه مسائل
أم فتى في فؤاده هجست أمـ ـنية فهو لاقتناها يحاول
أم فتى صالح يسبح للرحـ ـمان مولاه في الضحى والأصائل
أم غزال قد راعه شرك الصيـ ـاد إذ رام صيده بالحبائل
أم بلال إلى الصلاة ينادي والبرايا ما بين ساه وغافل
ذاك شيء ذو قوة يأكل الأشـ ـياء ذا الدهر وهو للدهر آكل
ذلك الساعة التي حارت الأفـ ـكار في صنعها البديع الكامل
أبرزتها قرائح العرب الأمـ ـجاد أهل النهى وأهل الفضائل
تمسك الدهر كله ليس ترجو غير تحريك رأسها بالأنامل
فرِق (الشرلمان) لما رآها وكذا قومُه ضعاف المخائل
حين أهدى بها إليه (الرشيد الـ ـفرد هارون) ذو الندى والشمائل
إن فيها لآية في ترقي حالة العرب في العصور الأوائل

---

(١) سحبان: هو سحبان وائل عاش في القرن الأول الهجري، ويضرب به المثل في الخطابة، والفصاحة، أما (باقل) فيضرب به المثل في البطء والبلاهة.

محبوبتي

محبوبتي أقبلت من الغرب حاملاً ثغرها ابتسامه
فصحت والقوم في فنائي يا قوم قد قامت الصبا منه
انظر ص٩٧

إلى سيوون!

إلى (سيوون) من (منقلي) سلام ... يُفَضُّ به عن المسك الختام[1]
تطير به حرارات اشتياق ... كما قد طار في (البرق) الكلام!
وما الأشواق إلا (كهرباء) ... طبيعي يحس به الكرام
إذا وصل الهوى سلكا بسلكٍ ... فبعد المشرقين هو التئام

***

تذكرت (الطويلة) فاستهلت ... دموعي مثلما انسكب الغمام
وأورى النار في كبدي ادّكار ... يهيب به وفائي والذمام
وشوق كامن في القلب يذكو ... له في كل آونة ضرام!
ينغصني إذا فرِحت صحابي ... ويسهدني إذا هجع النيام
ويسئمني إذا ما بان صبح ... ويوحشني اذا اعتكر الظلام
أحس إذا اضطجعت كأن جسمي ... تدب به العقارب والهوام
وأستكري فيغزو النوم عيني ... جيوش الفكر أيسرها لهام[2]
جيوش ليس تجدي من نحته ... شجاعته ولا يغني الحسام
تُغير على القلوب بلا سلاحٍ ... بلى - إن السلاح هو الغرام
لطال علي هذا الليل حتى ... كأن نجومه داء عقام
كأن (السامري) ثوى بجفني ... فأقسم لا يصافحه المنام[3]

---

(١) منقلي: قريب من سورابايا بأندونيسيا. (شعبان ١٣٤٥هـ - شوال ١٣٤٦هـ) مارس ١٩٢٧م - ابريل ١٩٢٨

(٢) أستكري: أطلب الكرى أي النوم.

(٣) السامري: المعروفة قصته في القرآن، فهو الذي أضل قوم موسى، وأغواهم بعبادة عجل من ذهب، وقد كان عقابه ألا يمس أحداً ولا يمسه أحد إلا وأصيب بالحمى، ولعل هذا المعنى الذي يقصده الشاعر في هذا البيت. راجع سورة طه الآيات ٨٢ - ٩٧ وتفسيرها.

كأن دجاه ظلم في بلاد ... كأني وسطها حر مضام!
كأن ظلامه قلب خبيث ... تحف به الجرائر والأثام
كأن هلاله حق محاط ... بأوهام يدين بها الأنام
كأن نجومه متضائلات ... نصوص الشرع يخفيها الطغام
فهل لظلام ذا الليل انتهاء؟ ... وهل للظلم في بلدي ختام؟
ومالي والهوى وتحسراتي ... على قوم يسودهم لئام؟
أما في الحب ما يكفي فؤاداً ... كئيباً للهموم به زحام؟
فيا قلبي رويدك لا تقطّعْ ... نياطك هذه الهمم العظام
فإنَّك لم تجاوز بعدُ عشراً ... وعشراً من سنيك فهل تلام
عليك الحق لا تألوه صدعاً ... به ولو انه المرّ الزؤام
عليك المجد تبنيه صروحاً ... لقومك لا يميل بها انهدام
عليك العز لا تبغي بديلاً ... به حتى يواريك الرغام
عليك الضيم لا ترضاه حلفاً ... فإن العيش في ضيم حمام
عليك العهد ترعاه لقوم ... خيالك نصب أعينهم دوام
وهل توصي بحفظ وداد قوم ... لهم ضربت بساحتك الخيام؟
صفت أخلاقهم لمساليهم ... كما تصفو لشاربها المدام
سوى أن المدام لها خمار ... وما في هذه الأخلاق ذام
من آل أبي كثير من سلالا ... ت أقيال لهم مجد قدام
فهم في جاهليتهم ملوك ... وفي الإسلام أعلام عظام
وحسبك (بابن خلدون) حكيماً ... له في الشرق والغرب احترام[1]

---

(١) ينتهي نسب شاعرنا علي أحمد باكثير إلى قبيلة بني كندة التي ينتسب إليها ابن خلدون يقول المقري في (نفح الطّيب) ج ٤ ص٦ «عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم ابن محمد بن عبد الرحيم بن خلدون من ذرية عثمان أخي كريب المذكور في نبهاء ثوار الأندلس وينسب سلفهم إلى وائل بن حجر وحاله عند القدوم إلى رسول الله ﷺ معروفة أهـ» ويقال أن وائل بن حجر من (شبوه) البلد المشهور بآثاره في الجانب الغربي من حضرموت وقد كان بالغرب والأندلس كثير من الحضرميين في مرسية وغرناطة وأشبيلية وبطليوس وقرطبة كما ورد في نفح الطيب ج١ ص ١٣٩. وكما ذكر السيوطي في «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج١، ص =

وعن (يعقوب الكندي) فاسأل   تخبرك التواريخ الضخام[1]
وكم نبغت من آل أبي كثير   رجال في العلوم لهم مقام
سلاسل من نضار محكمات   وليس لها مدى الدهر انفصام
فإخواني وعمي وابن عمي   كرام لا تضارعهم كرام
أبي رجل المكارم والمعالي   وعمي العالم الحبر الهمام
ولي بالانتماء إلى علاهم   مزيد عُلاً - على أني عصام
هم آلي وأصحابي وقومي   دمي منهم ولحمي والعظام
رضعت ثدي ودهم صغيراً   إليك إليك عني يا فطام
عليهم من فؤاد مستهام   بهم يهفو لذكراهم سلام

= ٢١٢ : ابن خلدون قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي المتوفى في رمضان ٥٨٨ هـ بالقاهرة.

راجع: مجلة «الرابطة العلوية الحضرمية» ج ٩، م ١، ص ٥٦٥.

وأيضاً ج٣، م١ ص١٥١، سنغافورا ١٣٤٧هـ.

(١) يعقوب الكندي (٨٠٠ - ٨٧٠هـ) من أوائل الفلاسفة العرب وأكبرهم في العصر العباسي.

أنا في سن العشرين

كتب هذه الأبيات على رسم له وأهداها مع ذلك الرسم إلى بعض إخوانه عام ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦م.

أنظروني في عنفوان شبابي   إذ (عليّ) في سنه العشرينا
إذ (علي) يهوى قدود الغواني   ويفدِّي خدودها والعيونا
إذ (علي) يمسي ويصبح بالشعـ   ـر وبالحب والهوى مفتونا
إذ (علي) يهوى الجمال ويجري   في فضاء الخيال شأواً شطونا
غائصاً في المحيط الأكبر حينا   سابحاً في نهر المجرة حينا
لا تلوموه إن تصابى وأرضى   داعي الحب واحتوى الناصحينا
إنها سكرة الشباب ستمضي   وسيضحى ذاك الوقور الرزينا
مغرماً بالحقائق الصرف لا يد   عو خيالاً ولا يجيب ظنونا
ينظم الشعر في الحقائق والأخـ   ـلاق لا يذكر الهوى والمجونا
أنا أعني بذا الخطاب أحبا   ئي الألى في مودتي مخلصونا
لست أعنيكم ولست أبالي   بكم، يا معاشر الحاسدينا
أيها الأصدقاء أهديتكم رسـ   ـمي لكيلا تنسوا صديقاً أمينا
صادقاً في ودادكم تخذ الإخـ   ـلاص في الحب والمودة دينا
وإذا ما هزلت فاغتفروا هز   لي وكونوا لعيبه ساترينا
أنظروا تمثال الصبي حين يجري   في المحيا ماء الشباب معينا
تتجلى فيه الفتوة والعز   م ويبدو نور الذكاء مبينا
ويحيّ الوجود بالبشر لا يحـ   ـمل حقداً وسط الفؤاد دفينا
ليت شعري - والمرء رهن أمان   ليس يدري تكون أم لن تكونا؟
كيف يضحى رسمي إذا صرت   شيخاً هرماً قد تجاوز السبعينا؟

حين تمسي هذه النضارة في هـ — ـذا المحيا تجعداً وغضونا

رب صنيّ من الهنات وكن لي — في حياتي على الخطوب معينا

وارض عني يا خالقي في حياتي — ومماتي وبعده آمينا!

بأبي طفلة

بأبي طفلة بديعة حسن — كل عين ترى بها مشتهاها

طار لبي إذ أقبلت ترفع الثو — ب دِلالاً حتى بدت ركبتاها

شراب الشاي

شراب الشاي خير لي   من الدنيا وما فيها
تقسي القلب أنواع الـ   ـملاهي غير شاهيها
إذا ما أقبلت كأس   كخود في تهاديها
تولّى الهم من نفسي   ودانت لي أمانيها

الحكماء والسعادة

رأى أرسطاليس في السعاده   خمسة أشياء بلا زياده
لطف الحواس مع صحة البدن   وبعده الثناء والذكر الحسن
والثالث الثروة والأعوان   لكي يتم بهما الإحسان
والرابع النجاح في الأمور   فجودة الرأي مع التفكير
فمن ينل هذي الأمور كلها   فهو السعيد بالغاً للمنتهى
وقال بقراط وأفلاطون   كذاك فيثاغورس الفطين
وغيرهم، سعادة الإنسان   في النفس لا في الهيكل الجثماني
فليس يزري النقص في الأعضاء   بمن حوى مكارم الأشياء
والعلم عند الله بالحقيقة   تقصر عن إدراكها الخليقة

بَابُ النسيبُ

كلام العيون

أو مبادلة الهوى في محطة

قاتل الله أعيناً من فتاة   أندونيسية تريك العجيبا
لبست حلة الجمال موشًا   ةً لاثت ردا الشباب قشيبا
غازلتني بأعين تركت في الـ   ـقلب جرحاً وفي الفؤاد ندوبا
وقفت قبلة المحطة تختا   ل لتصطاد بالعيون القلوبا
همست بالهوى فصادف مني   همسها بالهوى سميعاً مجيبا
فسرت جاذبية الحب فينا   فغدا الكل جاذباً مجذوبا
ومشى كهرباؤه في كلينا   باضطراب يدب فينا دبيبا
فبقينا وجهاً لوجه حيارى   ينظر البعض بعضنا مذهوبا
نتشاكى الهوى وما ثم لفظٌ   والهوى ترجم الكلام الغريبا
وكلام العيون أبلغ قول   يُعجز المُصقع البليغ الخطيبا
يفهم البعض بعضنا لا عذولاً   نتقيه ولا نخاف رقيبا

* * *

كان ذا في دقائق فانقضى الوقـ   ـتُ ومرّ القطار يجري وثوبا
لستُ أنسى مغيب شمس محيًا   ها فلا حيًّ الله ذاك المغيبا
لست أنسى شخوصها نحو وجهي تمسح الدمع بالرداء صبيبا
لست أنسى إذ البشاشة في ذا   ك المحيًا الغض استحالت قطوبا
ذلك المشهد الأخير وقد كا   د فؤادي من حسرة أن يذوبا
آه ليت القطار لم يجر، أو لَيْـ   ـتَ فتاتي اختارت لديّ ركوبا
حسرة في الفؤاد توقد ناراً   تتلظى فيه وتذكي لهيبا
ربي اصهر قلبي بنار غرامي   فانفِ عنه ذنوبه والحوبا

إلى الحبيبة

ولقد كتمتك ـ والديار قريبة ... ما في هواك لقيت من أوصاب
حتى انقضى زمن التداني بالنوى ... فوددت لو أني بثثتك ما بي!

نفثات حب

أحبَّتك لكن لم تبح لك بالحب ... وحسبك عيناها دليلاً على القلب!
نعم رابني من أمرها أنني إذا ... نظرت إليها ردّت الطرف للجنب
نعم آهِ! ما ذاك الذبول بجفنها ... إذا كلمتني؟ ليت شعري أهامت بي؟
وما ذلك الصبغ الجميل الذي أرى ... على وجنتيها إذ تمر إلى قربي؟
وما قطرة حيرى تجول بجفنها؟ ... تبينتها يوم ارتحالي مع الركب
أجل ـ قد فهمت اليوم ـ سراً محجباً ... طواه الهوى في صدر غانية تصبي
ولم أر في سوح الصبابة موقفاً ... أمضى من الهجران في ساعة القرب
مدوَّرية عطل من الحلي جيدها ... كفتها ثناياها عن اللؤلؤ الرطب
أفادت دلالاً تربها من دلالها ... فيا لك من حسناء محسودة الترب
تذكرتها في (سورابايا) ودارها ... بقرية (منقلي) بين (جُمبر) إلى (رمبي)(١)
أهِمتُ بها؟ لا ـ إن لبي معي، بلى ... لقد ضاع لبي! إنها اختلست لبي!
رأت عربياً فاستخف بها الهوى ... رآها فحلت منه بالمنزل الرحب
ولولا هوى حسناء من نسل يعرب ... لقد ملكت عينا مدورية قلبي!!
وأصبحت قد أُنسيت إني مُنتمٍ ... لكندةٍ في بيت الملوك من العرب
وفي النسب المدلي بكل متوج ... أغر ضحوك الثغر في السلم والحرب
ولكن هوى هند منار هداية ... بمعتكر الأحلاك للعاشق الصب
ولولاك يا أُم البنين تقاذفت ... به سفن الأهواء في لجج الحب!!
فزيديه من حب ليزداد من هدى ... وأرويه من سلسال منهله العذب
متى يجمع الرحمان بيني وبينكم ... فحسبي من الدنيا لقاؤكمو حسبي
لقد ذاب قلبي من مكابدة النوى ... فرحماك بي يا رب! رحماك بي ربي!

(١) سورابايا المدينة التي ولد بها الشاعر، وهي المدينة الثانية في اندونيسيا، أما (منقلي) و(جمبر) و(رمبي) قرى جميلة قريبة من سورابايا.

في واقعة حال

مررت على تلك الرياض عشيةً   وقد آذنت شمس السما بغروب
أجر ذيول اللهو' بين فتوة   تروق وبرد للشباب قشيب
فما راعني إلا فتور أصابني   وأحسست في قلبي بوجس دبيب
فقلت عيون كحلها السحر فَوَّقَتْ   إلي بسهمٍ كالقضاء مصيب
فما أخطأت سوداء قلبي فأحدثت   ضنىً بي أعيا طب كل طبيب
وما هي إلا لفتة الجيد إن بدت   فتاة حوت في الحسن كل غريب
أطلت علينا من مشارف قصرها   فشقت فؤادي قبل شق جيوبي
رأتني فتى يهوى الجمال وراقها   شبابي واشتاقت لحسن نسيبي
فأبدت لعيني البدر تحت دجنة   على غصن غض..... رطيب
ومدت من الشباك كفاً لطيفة   زهت ببنان يستبيك خضيب
عليها قميص أصفر اللون ضارب   ....(1)
فياليت شعري ما الذي صبغت به؟   دماء جفون، أم دماء قلوب!
ولما رأت أن قد أصابت بسهمها   فؤادي انثنت عني انثناء قضيب
ومالت بردف كالكثيب وأرسلت   إلي ـ على علم ـ لحاظ مريب
تسائل عني تربها: أترينه   دراني؟ وهل أشجاه عنه مغيبي؟
عرفتك يا زين الكواعب واعلمي   بأنك قد سببت طول نحيبي
حنانيك يا ليلى على ذي صبابة   رأى الذل للحسناء غير معيب
على عاشق أضنيته وتركته   بهجرك في ثوبي أسى وشحوب
ورفقاً بمن يبكيك ـ والدمع شاهد ـ   بدمع صبيب: سائل ومجيب

(1) هكذا ورد في الأصل.

خليلي بلغها سلامي وقل لها   على غفلة من حاسد ورقيب
يقول (عليٌّ) هل إلى الوصل واللقا   سبيل؟ فيحظى منهما بنصيب
وما ضرها لو أسعفت بلقائها   لصب كئيب دون كل كئيب
تراءت له حتى إذا ما تضرمت   جوانحه من زفرة ولهيب
طوت كشحها عنه ومالت وأعرضت   كما ريع ظبي في الفلا بسروب
تولت وخلته يعاني من الهوى   جيوش غرام لا جيوش حروب
وماذا عليها لو شفت داء عاشق   دنا موته والله خير مثيب
بتطويق جيد أو بتقبيل وجنة   ورشف لمىً حلو الرضاب شنيب!

ماذا تريد؟

ماذا تريد بهز القدِّ جارية   كأنما هي مرجان وياقوت

في وجهها قمر، في ثغرها درر   وفي اللحاظ يجيد السحر هاروت

كأنها إذ رأتني شاعراً طمعت   ـ شأن الكواعب ـ أن يعلو لها صيت!

بائعة التفاح

بمهجتي أفدي عربيه   تسقيك من أعينها الراحا

تنبثق الأنوار من وجهها   كأنما تحمل مصباحا

يشرى لها الناس بلا قيمة   سوى شهود الحُسن أرواحا

لا يقع الطرف على حسنها   إلاَّ وأمسى القلب مرتاحا

مهما تروّ الطرف من حسنها الـ   ـفياض تُلفِ الطرف ملتاحا

أعجوبة ما حدثت مثلها   تفاحة تبيع تفاحا

لا كسدت في زمن سوقها   وزادها الرحمن أرباحا

ليتني يوسف وأنت زليخا

نــور عيني أطلت هجــر مُحبٍ ... ليس ينوي لعقد حبك فسخا
إرحمي من أصليتـه نـار شـوقٍ ... تتلظى قد شبها الـوجد نفخا
إرحمي ذلّ عــاشق مـا لـه إلا ... الـرضى منك مـطلب يتـوخى
فتشي: هـل رأيت أكرم نفسـاً ... منه، أو مغرماً بها منه أسخى؟!
أنا حلف الود الصحيح فهل تقـ ... ـبل آيـاتـه المبينــة نسـخـا
هــذه لــوعتي وهــذا شبــابي ... أتـريـدين عــادم الحب شيخا
أنــا مني قـرب ومنـك نفـور ... ليتني يـوسف، وأنت زليخـا!

في مساجلة

تَذَكُّر ربعها أشجى فؤادي ... وغادر نار شوقي في اتقاد
وأورثني سهاداً في جفوني ... وهل تحلو الحياة لذي سهاد؟
وأغرى بي الغرام فهدَّ جسمي ... وأضجعني على شوك القتاد
أنا المجنون في حبي ولكن ... جنوني فيه أجمل من رشادي
يهيجني الحمام إذا تغنى ... على فنن يميل به تهادي
ويشجيني وميض البرق وهنا ... إذا ما لاح من تلقا سعاد
يقابلني بضحكة ذي شمات ... فألحظه بعيني ذي وداد
كأن وميضه والليل جون ... وبال عوالم الأشياء هادي
يقين قد تألق في فؤاد ... أطيف من الشكوك بكل وادي
تملكني الهوى ولقد أراني ... إلى غير الهوى صعب القياد
وألجمني الغرام لجام عي ... وإن فقت (ابن ساعدة الإيادي)[1]
تراني صامتاً ولقد أجيد الـ ... ـمقالة في المحاضر والنوادي
ولكن الهوى أعيا لساني ... وألزم منطقي حصر الجماد
وصيرني الجوى رسماً محيلا ... فهل لي من بلاء الحب فادي؟
أحالية التدلل والتثني ... ومن في وصلها أقصى مرادي
فؤادي لا تذيبيه وابقي ... على قلبي المتيم فهو غادي
أصرت القلب ناراً في اضطرام ... وأخشى أن يصير إلى رماد

(١) هو قس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب في الجاهلية في سوق عكاظ الشهير بالفصاحة والبلاغة.

نجوى عاشق

ما كان أطيب عيشي   لو نلت وصل (بدور)
هيٍ الجلاء لهمي   وبهجتي وسروري
كأنها بدر تم   في ظلم الديجور
ماء النضارة في وجـ   ـهها كماء الغدير
رأيتها تتهادى   في حلة من حرير
فكدت أسجد لولا   بقية من شعوري!

* * *

رجعت عنها بطرف   - يعلم ربي - حسير
وجمرة في فؤادي   تذيب نار السعير
وليلة لم أنمها   حتى خلو الوكور
السهد فيها حليفي   والنجم فيها سميري
أطولْ بليل محب   متيم مهجور
يبيت يرقب شهباً   بطيئة في المسير
كأنما الشهب نيطت   بمحكم في ثبير

* * *

وارحمتاه لصبٍ   ما ان له من مجير
ما ان له من معينٍ   ما ان له من نصير
يصدع قلب الدياجي   بأنةٍ وزفير!
كأنه من لظى الشو   ق والجوى وسط كير
يا نور عيني صلي مغـ   ـرماً عفيف الضمير
يا جنة الحسن رفقاً   بعبدك المستجير

يرضاك حظاً له من   ولدانها والحور
والله والعلم والهد   ى والكتاب البشير
والنجم والفجر والعصـ   ـر والضحى والطور
وكتب موسى وعيسى   وأحمد والزبور
لأنت منية نفسي   من بين كلِ البدور
قطعت فيك قريبي   عصيت فيكَ مشيري
وفي هواك استوى   عندي عاذلي وعذيري
هذا قيادي خذيه   وذا زمام أموري
فلتفعلي ما تشائين   بالفؤاد الأسير!

مناجاة الحبيبين

زارت وجنح الليل معتكر ونجومه ينظرن عن شزر
كلآلىء من عقدها انتثرت أو خرّد يسبحن في نهر
والبدر يجري في السماء كما يجري السفين بلجة البحر
من فوقه سحب تشف به مثل الرماد يشف بالجمر
يجري وتجري سحبه معه فكأنه يجري ولا تجري!
فنضت قناع الوجه عن قمر وتبسمت عن أنفس الدر
ومشت تجر ذيولها مرحاً تختال في أثوابها الخضر
فهصرت غصن قوامها ولويْـ ـتُ يدي بمعطف ذلك الخصر
أدنيتها مني بلا حذر وضممتها صدراً إلى صدر!
ورشفت مبسمها الشهي فلم أظفر بأحلى منه في عمري
لم أدر أهو الشهد ممتزجا بالماء، أم هو رائق الخمر؟

* * *

أفدي التي زارت على عجل خوف الرقيب يبوح بالسرِّ
مرتاعة حيرى فرائصها تهتز من خوف ومن حذر
قالت ـ وقد ألفت بجانبها أسداً مُطاع النهي والأمر
ثبت الجنان إذا الوطيس حمى سمحاً نداه كوابل القطر
لا يرتجي أو يختشي أحداً لم يأت قط بما به يزري
أكذا قلوب الناس باسلة ما إن ترى شيئاً من الذعر؟
أكذا قلوب الناس صادقة في الحب طاهرة من الغدر؟
أكذا أناملهم تفيض بما تحويه من ورق ومن تبر؟
لا ـ ما رأيت ولا أخال أرى لك مشبهاً يا كامل الفخر

فأجبتها ـ والقلب من جذل يهتز لا من عجب أو كبر
يا بنت خير أب لأنت مُنى قلبي وبغيته ألَا فادري
ما كنت أدري قبل عشقك يا زين الكواعب ما الهوى العذري
يا نور عيني، يا حياتي يا من لا أُنيط بغيرها فكري
إني عشقتك في الطفولة حيث القلب صاف والهوى فطري
فإذا تركت هوى سواك ففي ما قلته لك أيَّما عذر
قالت: صدقت فكم يحدثني قلبي بما قد قلت في سري!
إني لفي شوق إليك ولي ميل إلى أوصافك الغرّ
إني ليسكرني ويطربني ما قلت في شأني من الشعر
فلتنشدني من قصائدك الـ ـغراء ما قلدته نحري
وصف اجتماعك بي فذاك عزا ء لي إذا ما مال بي دهري
فأجبتها ـ والأنس يطلق من قولي ويبعثني على الشعر
ذي ليلة غراء قد فصمت أيدي الوصال بها عرى الهجر
ذي ليلة غراء منتشر فيها الضياء كليلة القدر
أبدى الزمان لنا بها عجباً كيف اجتماع الشمس بالبدر؟
يا ليلتي طولي بلا قصر فدجاك خير من سنا الفجر!

يا نظرة

يا نظرة أضرمت في القلب نار هوى   من وجه غانية يعنو له القمر!

فتاة بدت لنا

فتاة بدت لنا   سافراً وجهها الأغر
لقيتنا بغرة   عندما يلتوي الممر
فانثنت تسدل الظلا   م على ذلك القمر
هل تخافين فتنة   من (عليّ) ومن (عمر)[1]

(١) يقصد نفسه وأخاه عمر أحمد باكثير.

في غفلة الزمان!

تملك حسن ذات الخال نفسي   وفيها كم قطفت زهور أُنس
وكم غازلت فيها من غزال   بأثواب البها والحسن مكسِي
كغصن البان ليناً واعتدالاً   يفوق اللاس في لين المجسّ
مليح الدل محبوب التثني   مشوب ريقه بطلا ودبس
إذا ما ماس أزرى بالعوالي   وإن ليلاً بدا فالبدر منسي
وكم عانقت فيها من غوان   شبيهات المها خدّ ولعس
لهوت بهن والأيام سلم   وقتنا من حوادثها بترس
أُقبِّلُ ذي وألثمُ ثغر هذي   وأشبع تيك من خمش ولمس
أضاجع ذي وألصقُ صدر هذي إلى صدري على فرش الدمقس
ودارت بيننا كاسات خمر   بقت من عهد (قحطان) و(عبس)
شربنا ما شربنا فانتشينا   وأذهبت المدامة كل حس
إلى أن نبهتنا للتلهي   وعود تعانق نغمات جرس
فعدنا للتعانق والتلاقي   وقرع الكأس من خمر بكأس
وضم الصدر مع رشف الثنايا   وخمش النهد فوق بساط أنس
نواصل أمسنا الماضي بيوم   فيا لَلّه من يوم وأمس
مضى زمن على هذا إلى أن   أديل سعودنا بنجوم نحس
فلو دام الوصال لدام أُنسي   ولكن الوصال كفيء شمس

بأبي من مرت عليّ!

بأبي من مرت عليَّ فقامت ... إذ رأتني وما لها من محيص
أبصرتني فرامت الحيد عن شخـ ... ـصي وهمت إلى الورا بالنكوص
ثم مالت عني قليلاً وسارت ... بقوام عدل، وبطن خميص
لم تحفَّظ من الحيا فبدا سر ... والها والخلخال تحت القميص
فعلها بالعفاف يُوصي، ولكن ... حُسنها بالفناء في الحب يوصي

زفرة غرام

أسيوف في فؤادي تقطع؟ ... أم سعير ضمّنتها الأضلع؟
آه! ما أوجع قلبي! ما الذي ... بي؟ وما طبي؟ وماذا أصنع؟
بين جنبيَّ فؤاد خافق ... ليس في تسكينه لي مطمع!
لا أرى شرواه إلا ريشةً ... تتهاداها الرياح الأربع
شفني الشوق لأحباب مضوا ... بعدهم بالعيش لا أنتفع
قد جرى دمعي دماً بعدهم ... أيها الدمع متى تنقطع؟
نفد الدمع الذي في محجري ... فجرت من دم قلبي الأدمع!
لامني العذال في حبي لهم ... أيها العذال لوموا أو دعوا
زعموا أن سلوّي هينٌ ... وهو من نيل الثُريا أمنع
ما دروا أني محب عاشق ... لمقال العذل لا أستمع
مَنْ لمتبولٍ إذا نام الورى ... بات في أشواقه لا يهجع
يرقب الشهب بطيئاً سيرها ... وستور الليل لا ترتفع
فينادي هل لليلي آخر؟ ... وهل الفجر قريباً يطلع؟
بأنين لو وعاه سامع ... ظن أن الروح منه تنزع!
باكياً لو كان يجديه البكا ... شاكياً لو أن شكوى تنفع!
عجباً أعبد سلطان الهوى ... وأنا الحر الهمام الأروع!

***

إسقني الكأس نديمي مترعاً ... إنما يشفي همومي المترع
واشف قلبي بغناء مطرب ... إن قلبي بالأغاني مولع
إن أمت شوقاً فلا بأس به ... في سبيل الحب ذاك المصرع
أو أفز بالوصل فهو المرتجى ... ورجاء الله نِعم المفزع

لا أرى يأساً وهذا أملي   نجمه بين دموعي يلمع!!
إنني بالله ربي واثق   أننا بعد النوى نجتمع
فاصطبر يا قلب واثبت فالنوى   سحب عما قليل تقشع!

ماؤكم أعذب من مائنا

يا جيرة الوسطة عندي لكم   شوق دفين بين أضلاعي
ماؤكم أعذبُ من مائنا   لقُربه من قمر القاع!
أشتاق مغناكم لأمنية   ضاعت مع الأيام والساع
معبد حب طالما زنته   مني بسجّاد وركُّاع
والدهر لا يُبقي علىٰ حاله   شيئاً فجدبٌ بعد إمراع
شوق قديم جدَّدَت عهده   ذكرى، ولكن بعد إقلاعي
وبعد ما خولني الدهر من   بيض المنى ما سدَّ أطماعي
يا جيرة الوسطة عفواً فقد   جئت أُعزِّي لست بالناعي
يا موضع الرحمة إن فاتكم   مني صب للهوى راعي
فحسبكم ان كان فيما مضى   مثلي إلى أبوابكم ساعي!

كبِّرها سريعا!

بفؤادي بنت تسع حوت الحسن البديعا
وعدوني بلقاها ربِّ كبِّرها سريعا

إلى بنات عُبّاد المسيح![1]

أبنات عبَّاد المسيح ترفقاً … بمتيم في حبكن مغالي
متمسك بالدين - لولا دينه … لم يكترث في حبكن بغالي
يصبو لمرآكن، ثم يصده … تقوى الإله فينثني في الحال
مُغرى بخفة روحكن وما انطوى … فيكن من ظرف ولطف ودلال
من كل هيفاء القوام كأنَّها … غصن الربى الميَّاس تحت هلال
يسبيك منها ردفها ونهودها … في حالي الإدبار والإقبال
تمشي فتنقلب القلوب مواطئاً … تمشي عليها مشية المختال
حوت اللطافة والظرافة والرشا … قة والجمال وكل دل حالي
حسرت سواعدها،وزرت خصرها … وبدت لتفتن كل قلب خالي
ويلي على تلك الشفاه لو ان لي … أن أرتوي من مائها السلسال
وعلى الصدور المثمرات! فإن في … ضمي وتقبيلي لها آمالي
آه على تلك الوجوه يصيبها … لفح السعير غداً بدار نكال
إني لأعجب - والعجائب جمة … كيف اجتماع شقاوة وجمال؟
لكن في خلق المهيمن حكمة … عُقِل النهى عن فهمها بعقال
يمضي ويبرم ما يشاء كما يشا … سبحانه رب الورى المتعالي

* * *

خذها إليك خواطراً من شاعر … لم تخطر الفحشاء منه ببال
يهوى الجمال ولا يرى في وصفه … بأساً برغم معاطس العذال
ويرى الجمال ووصفه عوناً له … في هذه الدنيا على الأثقال

(١) نظم هذه القصيدة في سنغافورا متغزلاً بفتيات «اليورش» المسيحيات، وهن من سلالة البرتغاليين الذين استوطنوا هذه المنطقة فجمعوا بين جمال الشرق وجمال الغرب.

لولا الجمال مع الخيال يروقه ... عاف الحياة وسوء هذي الحال
ما العيش إن فكرت غير متاعب ... مشفوعة بفوادح الأهوال
لكن آمال الفتى ينسينه ... آلامه وشقاءه المتوالي
فالعيش لولا الحسن ليس بسائغ ... والعيش لولا (الشعر) ليس بحالي
عيش الحقيقة لا يسوغ مذاقها ... للمرء ما لم يمتزج بخيال!

خيال الحبيب أو الحب الثّابت[1]

خيال حبيبي قد شفيت غليلي ... بزورة طيف منك غير بخيل
قليل لمام في الكرى غير أنه ... قليل حبيب القلب غير قليل
فعد وأعد مولاك يا طيف إنما ... تعللني من بعده ببديل
وما أنا من يستبدل الحب غيره ... يميل مع الحسناء كل مميل
ولكنني من لا يحول وداده ... إذا حال ودّ من فتى لخليل
لذاك عشقت الطيف يأتي على ... النوى يُحيِّي بوجه كالحبيب جميل
وإلا فكم قد غازلتني غادة ... بعيني غزال زينتا بذبول
تجاذبني ثوب الهوى، فأذودها ... بكف حليم، لا بكف جهول
وعذراء يستهوي القلوب جمالها ... فما ارتد طرف منه غير كليل
بردف كقلب الصب يرتج خلفها ... وخصر كجسم المستهام نحيل
تقلب في عيش رغيد ومنصب ... رفيع، ومجد لا يرام أثيل
لها والد ما همه غير بنته ... يرفهها في بكرة وأصيل
تمشيت للترويح ذات عشية ... وتخفيف عبء للهموم ثقيل
أسرّح طرفي في رياض بديعة ... على ضفتي نهر هناك جميل
يبوح بأسرار الزهور نسيمها ... يهب بروح للقلوب بليل
وبينا أغذي الفكر حسن طبيعة ... تدل على خلّاقها بدليل
بصرت بقصر ينهب الجو طوله ... فسيح الفنا صافي الأديم صقيل
فأوقفني مرآه حيث وراءه ... سراج النهار يدَّني لأفول

(١) نشرت هذه القصيدة في مجلة «النهضة الحضرمية» عدد محرم ١٣٥٢هـ الموافق مايو ١٩٣٣م، السنة الأولى، في سنغافورا لم يوقعها باسمه الصريح وإنما كتبت المجلة «لشاعر حضرمي كبير». وهي موجودة في مخطوطة هذا الديوان مما أكد لنا نسبتها إليها.

كأن احمرار الأفق بحر من الدما　　تردى قتيل فيه إثر قتيل
فما راعني إلا غلام يقول لي　　تفضل علينا سيدي بدخول
تفضل فمولاتي دعتك إلى القرى　　فشرف قراها سيدي بقبول!

* * *

أجبت وقصدي - يعلم الله - طاهر　　نزيه وما غير العفاف زميلي
دخلت فحيتني هنالك غادة　　بصوت رخيم: طبت خير نزيل
على ذلك الكرسي فاجلس مكرماً　　وأصغِ لقولي يا مُناي وسولي
دعوتك لا من أجل إثم يعيبني　　ولكن لحبٍ طاهرٍ وأصيل
دعوتك لَّما أن توسمت فيك ما　　يبشرني أن قد وجدت خليلي
أنا البكر لم يسبق لغيرك حبها　　ومن دونها الخطّاب غير قليل
فأسعد فتاة في ذرى العز بيتها　　تمد إليك الآن كف ذليل
أجبني! أجبني بالذي كنت أرتجي　　فإن جفاء الود غير جميل

* * *

هنالكم استنجدت صبري فخانني　　وقد كان بالإسعاف خير كفيل
فقلت - وقد أعيا التأثر مقولي　　فكنت كتمتام اللسان ثقيل
أُخيَّة! مهلاً بعض ما تذكرينه　　فإني غريب الدَّار وابن سبيل!
وكيف خطبت الود من غير ماجد　　وبين يدي خير النساء مثولي؟!
فقالت: تواضع فالتواضع شيمة　　لكل فتى سامي الخلال جليل
لقد زدت عندي بالتواضع رفعة　　وزدت هياماً فاشف قلب عليل
حبيبي! قل لي: يا حبيبة لا تقل　　أخيّة وارحم رقتي وذبولي
فلم أتملك عبرتي إذ رأيتها　　ترقرق دمعاً سال كل مسيل
وأيقنت أن الأمر قد جد جده　　ولم يبق إلا الصدق خير سبيل
علام حيائي من مقالة صادق؟　　وفيم جمودي عندها وذهولي؟
ألست الذي إن يفعل الأمر أو يقل　　يفق كل منطيق وكل فعول؟
فصارحتها لا تطلبي غير ممكن　　فؤادي قد ملكته لخليل
ولست بساليه لأعشق غيره　　وما شئت يا أختي عليّ فقولي

يسوء (عليًّا) أن يجيء مؤمل　　فيرجع منه لم يفز بفتيل
ولو تطلبين المال أعطاك كله　　ولكنه للقلب غير بذول!
ألا كيف يعطي المرء ما ليس حقه؟　　أقيليه من هذا السؤال أقيلي!

* * *

فكفكفت الدمع الغزير بثوبها　　وقالت لأنت المرء جد نبيل
فداك أبي وأمي وعمي وعمتي　　وخالي وخالاتي وكل قبيلي
وفيت لمن تهوى وما خنت عهدها　　فدم ناشياً من حبها بشمول
هنيئاً لها ان كان عاشقها فتى　　سبى بنت ضرغام بأمنع غيل
على الرغم مني أن أفوه بمؤيسي　　ولكن قيل الصدق أشرف قيل
فقلت لها: آن الوداع فأجهشت　　وقالت: رعاك الله، بعد قليل
أما تبصرين الليل قد مر جُله　　ولم يبق من ظلماه غير فضول؟
فقالت: قصير ليلنا... آه.. ماله؟　　وما كان ليلي قبل غير طويل
تعال فعاهدني، فقلت على الإخا　　فقالت: نعم! حتى؟ فقلت تحولي
فقالت: لمن تهوى وفيت بحبه　　فيا ليت شعري بالإخاء تفي لي؟
فقلت لها: إن الوفا من طباعنا　　تسلسل فينا من أعز سليل
فقالت: جزيت الخير أثلجت خاطري　　وبردت ما بي من جوى وغليل
إلى الملتقى عما قريب! ولا تطل　　غيابك عني يا أخي وعقيلي
فقبلتها من رحمة، وتركتها　　وما لامست غير العفاف ذيولي!

* * *

حبيبة قلبي! ما سمعت؟ ألم يكن　　على صدق حبي فيك خير دليل؟
حبيبة قلبي ما أرى العيش سائغاً　　بدون ارتحالي نحوكم ووصولي
متى نلتقي يا هند في بلدة الهنا　　ونبرد في ظل هناك ظليل
على عفة ما ان نزن بريبة　　وفي مأمن من راقب وعذول
يشرِّف حُبَّينا زواج مقدس　　على خير دين، دين خير رسول

العاشق والطبيب

ولم أنس إذ جس الطبيب يدي ضحى — وقال لأهلي داء شابكم الحمّى
ولم يدر ما في القلب من نار لوعة — تلظى تذيب الشحم واللحم والعظما

أتأتي الهموم؟

أتتني محبوبتي ليلة — بها زال عني جميع الهموم
أتأتي الهموم وعندي ابنتا — ن بنت الكرام وبنت الكروم!

عنم الحبيب

عرضوا علي البسر أحمر قانياً ... بإزاء أصفر فاقع بسام[1]
قالوا تفضل أي نوع تشتهي ... فأجبتهم: عنم الحبيب مرامي
قالوا أتذكر من تحب وأنت في ... بحر من الأمراض والأسقام
فأجبتهم: كيف السبيل لنسيه ... وضناي من ولهي به وغرامي

(١) البسر: ثمر النخل قبل أن يترطب بحيث لا يزال في حمرته أو صفرته.

لمن طلل ؟

لمن طلل تحاكيه الوشوم ... عفت منه المعالم والرسوم
يحاكي مصحفاً من عهد عادٍ ... بخط الحميري له رقوم
ترحل عنه أحبابي جميعاً ... وخلوني تساورني الهموم
وخلوني هناك رهين سقمٍ ... تساهرني الكواكب والنجوم
ووادٍ مثل جوف العير صفر ... فريت وليله ليل بهيم[1]
فريت هجوله والليل مرخ ... دجاه وقد تجاوب فيه بوم
وليس لدي هنا من مواسٍ ... ولا خل هناك ولا نديم
أديم الأرض أفري لست أخشى ... سوى ربي وهل يخشى الكريم
وإني في الندى غيث مطير ... وإني للعدا سيف صروم
صراطي نجدة وندى وحلم ... وذاك هو الصراط المستقيم
وإني والمهيمن خير ساع ... إلى العليا وللزعما زعيم
ولي في كل مكرمة محل ... رفيع دون رتبته النجوم
وفي العلياء لي باع طويل ... ومن ينكر فذاك هو اللئيم
ورثت المجد من سادات قوم ... فمجدي يا فتى مجد قديم
ومن يجحد علو مقام شخص ... تيقن فضله فهو الظلوم
ومن عجب يروم سقوط عال ... حسود كيف يدرك ما يروم
يكد فؤاده في غير شيءٍ ... ويتعب نفسه وهو الذميم
وما الحسود إلا مستريح ... ومسرور يزاد له النعيم
ومن لا يكترث بدخول قوم ... ومخرج غيرهم فهو الحكيم

(١) فريت: شققت.

ورب محب شيء كان فيه   منيته ففي العسل السموم
وأبغض من على الغبرا حسود   وعذّال ولوّام يلوم
يصد المستهام عن التلاقي   بأحباب لهم شأن عظيم
لقاؤهم من الفردوس خير   وأهون من فراقهم الجحيم
فلا انفك عن طلبي لقاهم   وحول ديارهم أبداً أحوم
(وما حب الديار شغفن قلبي)   ولكن حب من فيها مقيم
وإني بعد ما رحلوا كئيب   عليل مغرم مضنى سقيم
أزيد هوى وأزداد التياعاً   وشوقاً كلما هب النسيم
هواهم قد تمكن في فؤادي   وقلبي من فراقهم كليم
فهل من رحمة منهم لصبٍ   أما في هذه الدنيا كريم
رعى الله الليبلات اللواتي   بها انقشعت عن القلب الهموم
إذ المحبوب ثاوٍ في حمانا   وإذ رقت لنا فيها الكروم
وإذ نلنا الأماني بالتلاقي   وإذ كل السرور بنا مقيم
ولكن لم يدم ذاك التلاقي   وهل شيء على الدنيا يدوم؟

غنياني

غنياني تطرباني   بأطاريب الأغاني
واسقياني خمرة حمـ   ـراء مثل الأرجوان
خمرة من عهد(نوح)   تتراءى في الدنان
إن قلبي لمعنًّى   بهوى البيض الحسان
وبـ(سيئون) فتاة   ثغرها كالأقحوان
غادة خود تحاكي   في اعتدال غصن بان
رمت القلب بسهم   من لحاظ كالسنان
خدها ورد وثديا   صدرها رمانتان!
أنا منها بمكان   وهي مني بمكان
دارها دان ولكن   وصلها ليس بدان
إن قلبي مستهام   بهواها الدهر عاني

***

أم هاني إسعفيني   يجري البعد يدان
إسعفيني وصليني   فأنا الصب المعاني
وارحمي جسماً سقيماً   ناحلاً يا أم هاني
ولقد طال التنائي   فمتى وقت التداني
وقت أنس وسرور   وحبور وأمان
لا أراح الله من يعـ   ـذلني دار الجنان
لزم العذل بسعي   وجنان ولسان
يا خليلي بأحوا   ل حبيبي خبراني
علّلاني بالتداني   وأكاذيب الأماني

وإذا ما مت شوقاً فبدمعي غسلاني
وبأثواب غرامي وهيامي كفناني
ثم قولا: إن هذا مات من حب الغواني

في مغنية بدار التّمثيل

يا ربة الحلة الحمراء هجت هوى في قلب صب تناسى حبه زمنا
لولا الحياء وعهد الحب من قدم إذ قلت: من يبتغي وصلي؟ لقلت أنا!

سواكها

قلت لما تسوّكت بسواك   في فم فاق عرفه الياسمينا
فزت يا أيها السواك بثغر   طالما كنت أبتغيه سنينا

بَابُ الأخوَانيّاتُ

أتحسدك البواعث والخطوب؟

لما مرض بحمى ألزمته البيت إبّان إدارته لمدرسة النهضة العلمية بسيئون في ٢٨ القعدة ١٣٤٤هـ الموافق ٨ يونيو ١٩٢٦م أهدى إليه صديقه وابن عمه عمر ابن محمد باكثير هذه الأبيات:

أتحسدك البواعث والخطوب ... ألم تكف الضمائر والقلوب
فلا تعبأ بفادحة وخطب ... إذا ما الأمر تم له معيب
فإن الشمس تغشاها كسوف ... وإن كمل الهلال بدا يئوب
وقد يتزيد المعلول نفعاً ... كتبر حين تنضجه يطيب
حسدت وما حسدت سوى لفضل ... فما يدري به إلا أريب
أينتقص الهلال بنبح كلب ... وليت الغاب إذ يعويه ذيب

***

فلا نزلت بساحتك الرزايا ... ولا حطت بناديك الكروب
وتنتعش البلاد وساكنوها ... وترقى ما حييت بها سيوب
ومدرسة العلوم تقول طالت ... ليالي البين طال بي النحيب
هلم فدبر الابنا برأي ... فرأيك عندي الرأي الحصيب
عرفت نوايب التعليم حتى ... لو انتسبت فأنت لها النقيب
فقدنا منك أبيات القريض ... التي منها كم اهتزت قلوب
فقول بابتكارك للمعاني ... وبالألفاظ جيدها لعوب
طيور الشعر غردها كثير ... وانك في الطيور العندليب
فقد حصل الشفاء بفضل ربي ... كما قد زحزحت عنك الذنوب
يتم صنيعكم شعراء ذي حضرموت فلا يرى فيهم غريب
وينفع قطرنا بكم إلهي ... فمثلكم به أبداً يطيب

وزادك من لباس البرء ثوباً ... قوياً لا تضعضعه الحقوب
ودام على ممر الدهر يجري ... مديحك والترسل والنسيب

* * *

فأجابه صاحب هذا الديوان بقصيدة من نفس البحر والقافية، هي:

دعيني أيها الحُمى

دعيني أيها الحمى أجيب ... أخا ثغر الزمان به شنيب
وما أدري وقد أوهنت جسمي ... أأخطىء في مقالي أم أصيب
سماء الفكر إن تظلم بليل ... فشمس الشعر يلحقها المغيب
وبين الجسم والفكر ارتباط ... إذا ما طاب ذاك فذا يطيب
ولكني سأقدح زند فكري ... إلى أن يستبين له لهيب
لأمدح من حوى غرر المعالي ... بعيد خيالها منه قريب
أخي وأخو المكارم وابن عمي ... نسيب الأصل ينميه نسيب
هو ابن محمد عمر كريم ... أبيٌّ النفس للعليا ربيب
أتاني منه شعر مستطاب ... كأن قوله الطائي حبيب
قريض قد حوى درر المعاني ... يكاد لفرط رقته يذوب
كزهر الروض باكره هطول ... من الوسمي منسجم سكوب
يهنئني ببرء من سقام ... ضنيت به ومسني اللغوب
وغادرني طريحاً في فراشي ... بأرض ما بها أبداً طبيب
بأرضٍ ترخص الأعمار فيها ... تهون إذا بقي المال الخطوب
أرى حولي أناساً ليس فيهم ... شعور لا ولا لهم قلوب
يرون المال أنفس كل شيء ... وفي الإحسان ليس لهم نصيب
وينتسبون للعلم ادعاء ... وعلمهم أتى زيد رقيب
وعندهم جمود الطبع فضل ... وقول الشعر عندهم معيب
فسبحان الذي خلق البرايا ... فذا غمر وذا فطن لبيب

صديقي إن شعرك لي عزاء ... من البلوى تهون به الكروب
ولما أن أجلت الطرف فيه ... سرى في الجسم من برءٍ دبيب
لئن أبدعت في نظم القوافي ... فمهلاً ما هنا أمر غريب
ففينا الشعر آل أبي كثير ... عريق ما له عنا نضوب
أخي قد ضاق صدري من هموم ... يضيق لهولها الصدر الرحيب
فؤاد قد أضلته الأماني ... لعل الدهر عن ضيمي يتوب
ولو أن الغرام فحسب ما بي ... بعلت به ولكن بي ضروب
هوىً وصبابة ونوى وهم ... وآمال ممنيها كذوب
أقول متى طلوع الشمس حتى ... إذا طلعت أقول متى الغروب
أرجّي في التحول نيل خير ... كذا يتعلل القلب الكئيب
أكاد ولم أجز تسعاً وعشراً ... من الأعوام من هَمٍّ أشيب
إذا ما الدهر أبلى برد جسمي ... فبرد فتوتي أبداً قشيب
ولي عزم أحد من المواضي ... يحاذر بأسه الدهر الغلوب
إذا ألفت جيدي راب دهري ... فيلحظني تلفتي المريب

* * *

سأنهض من سقوطي غير شاكٍ ... ولا وانٍ وربي لي حسيب
وأركب ذروة الأخطار إني ... ليعجبني على الخطر الركوب
سأرحل من بلاد ضقت فيها ... تلازمني بها أبداً شعوب
فأجتاز البحار لأرض جاوا ... إلى حيث المقامِ بها يطيب
وأعبر مصر حيث العلم حيث ... الحضارة حيث يُحترم الأديب
وحيث الشعر خفاق لواه ... وحيث الضاد مرعاها خصيب
وحيث النيل يجري في اطرادٍ ... يسر القلب منظره المهيب
ولي أمل وطيد في رجوعي ... إلى (سيئون) في فرح أأوب
سألت الله يرجعني سريعاً ... إلى (سيئون) والله المجيب
رجوت يكون عوداً عن قريب ... ومن يرج الإله فلا يخيب

* * *

أيا ابن العم دونك بنت فكر ... رباه من مواهبه جديب
جواب نظامك السامي وفيه ... شكاة بثها قلبي الكئيب
لعلي قد أطلت عليك قولي ... فعذراً أيها القرم الأريب
ففي شكوى المصاب عزاء قلب ... حزين فيه من حزن ثقوب
ويلهو بالقريض فتى لنار الأسى ما بين أضلعه شبوب
وكم سلّ فؤادي بيت شعر ... نفيس فيه قايله مصيب
«عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب»

الوسيط في الأدب[1]

دنت بالوسيط قطوف الأدب ... بما قد حوى من فنون العرب
(أبا بكر) ادرسه درس الخبير ... تنل كل ما تشتهي من أرب
رأيت معانيه الغر، في ... قوالب من لفظه المنتخب
فسبَّحتُ ربي، وقلت المدام ... صُبت بآنية من ذهب!

(١) يقصد به كتاب «الوسيط في الأدب العربي وتاريخه» للشيخين أحمد الإسكندري ومصطفى عثمان بك، وقد كان مشهوراً في أوائل هذا القرن، ومقرراً في المدارس والمعاهد المصرية لشموله.

إلى صفوة الأصدقاء

وقال وقد استدعاه بعض الأصدقاء للخروج إلى بستان والتنزه فيه فلبى دعوتهم وكتب إليهم هذه الأبيات:

يا صفوة الأدباء والكتاب ... وأجلَّ أحبابي وخير صحابي
إن اللذائذ في الزمان كثيرة ... وأجلهن مجالس الأحباب
سيما إذا جلسوا بجانب روضة ... يتجاذبون معاطف الآداب
وتدار بينهم كؤوس الشاي فهـ ... ـو أعز مغتبق وخير شراب
نزلوا على حكم الهوى وتفننوا ... في اللهو يزهوهم رداء شباب
طربوا هناك وسرحوا أبصارهم ... بسطور نهر أو سطور كتاب
ودعوتموني للوصول فسرني ... مكتوبكم ولقاؤكم أولى بي
جاء الكتاب مبشراً بقدومكم ... فرحي به ولذا نظمت جوابي

إلى الصديق

بعث إليه صديقه الأستاذ الأديب أحمد بن حسن السقاف(١) البيت المشهور «كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا) فرد عليه بهذه الأبيات:

سلام كما فاحت زهور عواطر ... يفيض به من منبع الود خاطر
يخص فتىً، أما عُلاهُ ففضله ... إليه، وأما أصله فالأطاهر
شجاني ببيت هاج مني صبابتي ... ففاضت دموع، واستباحت سرائر
(كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر)
يذكرني من عهده ما نسيته ... وهيهات أني للمودة ذاكر
وأني وهذا البحر بيني وبينهم ... لدى حاضري قلبي، بقلبي حاضر
وأني على العهد القديم محافظ ... وهذا مقالي - والشهود الضمائر!
فشكراً لك ابن الأكرمين مكرراً ... على الذكر ما أثنى على الله شاكر
وصبراً لعل الله يجمع بيننا ... فما خاب راجٍ ربه وهو صابر

(١) أحمد بن حسن السقاف ١٣١٢ - ١٣٤٩هـ /١٨٩٣ - ١٩٣٠م) عاش ومات في سيئون، عمل بالتدريس في مدرسة النهضة العلمية.

إليك اشتياقي

في ضمن كتاب إلى حضرة صديقه الأديب طه بن أبي بكر السقاف[1] وهي من أوائل نظمه:

إليك اشتياقي طال يا ابن أبي بكر   فهلا شفيتم باللقا ممرض الهجر
فإني إذا ما الورق في الأيك غردت   نثرت دموعي من عيوني كالدر
وإن لاح من مثواكم ضوء بارق   - ولست بقوَّال - يكديتقضي عمري
وإني إذا ما الريح من نحوكم سرت   طفا بردها ما في ضلوعي من الجمر
ألا يا نسيم الريح بلغ تحيتي   أحبة قلبي واشرحنً لهم أمري
لعلهم يحيون ميت صبابة   أسير هيام مغرماً عادم الصبر
ويشفون قلب الصب من ألم النوى   برد سلام ضائع الطيب والنشر
يفوق على المسك الذكي عبيره   إذا ما بميت مرّ قام من القبر
رعى الله أياماً تقضت بوصلكم   كذاك ليال كلها «ليلة القدر»
إذ الأنس ثاوٍ في حمانا وربعنا   (بسيئون) والأيام باسمة الثغر
إلى أن أتى البينَ المشتت بيننا   وعاقبتنا الأيام بالخفض والكسر
متى تنصب الأيام أعلام أُنسنا   وتُسكن ما قد حركته يد الدهر
ويرفع قدري باللقا رافع وهل   يجر إلينا حبًنا عامل الجرّ
فقد طال شوق المستهام إلى الذي   تحلّى به جيد السيادة والفخر
إلى السيد القمقام طه ابن سيدي   أبي بكر السامي إلى منزل البدر
أيا سيدي إني إليك لشيق   فكن دارياً إن كنت من قبل لا تدري

(١) طه بن أبي بكر السقاف. أديب وشاعر وصحفي هاجر من حضرموت، وعمل أستاذاً في مدرسة الجنيد بسنغافورا، وأقام هناك حركة صحفية نشطة حين أصدر مجلته الشهرية «النهضة الحضرمية»، ومجلته الأسبوعية «صوت حضرموت» وكانتا صوتاً عربياً عالياً في المهجر، لم يجمع شعره في ديوان.

وإني لصبّار بكل ملمة   ولكنه قد عز عن وصلكم صبري
ويا سادتي يا نخبة الأصفياء ومن   محبتهم ديني وذكرهم ذكري
أعندكم شوق إلي؟ وهل بقت   مودتكم فلتخبرونا بذا الأمر
فإن كان ذاك الود للآن باقياً   سعدت وإلاَّ فالسلام على البشر

من سيئون إلى تريم

قالها على أثر بعض وفاداته من تريم وأرسلها إلى حضرة الأستاذ الأديب محمد بن حسن بن شهاب[1]:

من المأوى أزفُّ إلى (تريم)   تحيات أرق من النسيم
تحيات يشف الوجد منها   شفوف الكأس عن بنت الكروم
تحيات يمازجها سلام   يفوح شذاه بالعرف الشميم
يحبرهن صب بالغواني   وصب بالمكارم والعلوم
يهز فؤاده ذكر المعالي   ويصبي قلبه ظبي الصّريم
فجاء نظامه طبقاً لمرمى   أسير الشوق، والندس الحكيم
فطوراً كابح خيل التصابي   وطوراً سالب لب الحليم
يفوه بهن عن وجدان نفس   وإحساس وعن قلب سليم
يخص بها (محمداً) المفدى   وأما غيره فعلى العموم
هو (ابن شهاب) المقدام شهم   كريم نجل مفضال كريم
نمته أماجد من آل طه   عظام ينتهون إلى عظيم
شموس معارف ونجوم هدي   إذا ما الخلق أمسوا في عتيم
كرام لا يغاث الناس إلَّا   بأوجههم لدى الخطب الجسيم
علوا رتب العلى وتحققوا بالـ   ـتقى ومضوا على النهج القويم
فتى لم يبلغ العشرين حتى   تبوأ معقل المجد الصميم
فتى سبق الفوارس وهي تجري   عداءً في ميادين العلوم

(١) محمد بن حسن بن شهاب أديب وشاعر، له الكثير من الشعر المنشور في المجلات والصحف الحضرمية في أندونيسيا وسنغافورا وبعض الصحف العربية الأخرى، ولد في حضرموت، وتوفي في سنغافورا في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

له فهم كحد السيف يفري   صخور المشكلات على الفهوم
يضيء فيهتدين به، وكانت   تَخَبَّطُ في دُجى ليل بهيم
ونظم كامل الإبداع تزري   عقود حلاه بالدرّ النظيم
يعز فصاحة ويهون لطفاً   ويندى رقة، سلس الأديم
وأخلاق حكت أزهار روض   سقته هواطل الغيث العميم
حجىً وتواضع ووفور علم   على كرم، على ذوق سليم

* * *

وما أنسى العهود فلست أنسى   مسرة ذلك اليوم الوسيم
أتينا بيته (فحنا علينا   حنو المرضعات على الفطيم)
وقابلنا سماحته ببشر   أحب من الشفاء إلى السقيم
وحيانا بإكرام يرد الـ   ـغريب عن الأحبة كالمقيم
ودارت بيننا كاسات شاي   (ألذُّ من المدامة للنديم)
شراب مثل ذوب التبر لوناً   وأكواب كأمثال النجوم
وديوانٌ (لشاعرِ مصر) يُتلى   علينا فيه طب للهموم[1]
نظام لا يماثله نظام   شفاء للقلوب من الكلوم
نظام سحر الألباب حتى   تراها منه في أمرٍ عظيم
ويصحبنا هناك فتى أديب   جليل القدر ذو كرم وخيم
يـذبُّ عن المكارم والمعالي   كما ذب الغيور عن الحريم!
وأعني (الشاطري) المنتقى من   إليه أصابع العلياء تومي[2]
فيا لله يوم لست أنسى   هناه ولو إلى عهدٍ قديم
شربنا فيه من أنس مداماً   صفا فقضى على الهمِّ المقيم

(١) شاعر مصر: نرى أنه حافظ إبراهيم الذي كان مقدما على شوقي عند شاعرنا في هذه الفترة.

(٢) هو أحمد عمر الشاطري (١٣١٢ - ١٣٦٠هـ / ١٨٩٥ - ١٩٤١م) فقيه ومفتٍ وشاعر عاش وتوفي في مدينة تريم بحضرموت، أسس العديد من الجمعيات الأدبية والإصلاحية، من كتبه المطبوعة «الياقوت النفيس في مذهب ابن إدريس» و«نيل الرجا شارح سفينة النجا» ومن كتبه المخطوطة «دروس البلاغة» و«فتاوى فقهية»، ولم يجمع شعره في ديوان.

تقضّ في صفاء، في هناءٍ، في سرور، في حبور، في نعيم
فوا أسفي عليه، لئن تقضّى فلست على بكاه بالملوم

* * *

أيا نجل الشهاب بقيت ذخراً لكل غريب دار أو عديم
رأيت تسنم العلياء صعباً فما استسلمت للعجز الذميم
ولكن زدت إقداماً وجداً وآثرت الهجوم على الوجوم
فقمت بهمة ووثبت طفراً إلى العلياء ملتمس النجوم!
ومن لا يستهن بالخطب فيما يروم، فليس بالرجل العظيم
وهل أبصرت خيراً أو فلاحاً لعمر أبيك من رجل سؤوم
فعش يا سيدي عيشاً رغيداً حميداً في صفاءٍ مُسْتديم
ودم زين المكارم والمعالي وفخر البلدة الغنّا «تريم»

جواب

أرسل السيد الأديب الشاعر محمد بن حسن بن شهاب إلى صاحب هذا الديوان هذه الأبيات الرائعة جوابا لقصيدته (من سيئون إلى تريم) التي سبق ذكرها:

من الولهان ذي القلب الكليم أسير الشوق والوجد الأليم
تحيات عواطر مشرقات تضيء حنادس الليل البهيم[(١)]
تفوح بمسكها الأرجاء طيباً ويزري نورها بسنا الصريم
يمازجها وداد أخي ذمام وشوق متيّم ووفا حميم
تخص رضيع أخلاف المعالي وكفؤ عرائس المجد الفخيم
«عليًّا نجل أحمد باكثير» زكي السنخ ذا الحسب القديم
عصامي يحن إلى المعالي حنين متيم كلفٍ بريم
وفي سن الحداثة ساد حتى أدار نظام (مدرسة العلوم)[(٢)]
له في الشعر والإنشاء نهج كمنهج (حافظ) و(ابن النديم)[(٣)]
أتتني منه أبيات رقاق أرق من السلامة والنسيم
تتيه بحسنها وتجر ذيل الـ ـخمول على اللآلىء والنجوم
بها ألقى عليّ رداء مدح وحسن القول شنشنه الكريم
ويشكرني على ان قمت يوماً بأدنى واجب الضيف العظيم
قليل الصنع يكبره كريم ويصغر كثره عند اللئيم
بخٍ ـ لا زال مصدر كل فضل وسدرة منتهى الأدب الوسيم

(١) حنادس: جمع حندس وهو الظلام.
(٢) يشير إلى تولي شاعرنا إدارة مدرسة النهضة العلمية بسيئون وهو في سن العشرين تقريباً.
(٣) نرجح أنه يقصد بابن النديم إسحاق الموصلي المغني والشاعر.

علي وعثمان

كتب على رسم له وأهداه إلى إخوانه بحضرموت مقروناً برسم صديق له اسمه عثمان بن علي مهدمي :

أحبتنا إنَّا على البعد لم نكن ... لننساكم والدهر للمرء خوان
وشوق للقياكم بعثنا بصورة ... يحييكم فيها (علي) و(عثمان)

شكر على صنيعة

بعث بهذه القصيدة إلى السيد الأديب الشاعر صالح بن علي الحامد[١] يشكره فيها على أن أسلفه جزءاً من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني :

يا مليك القريض حل لساني ... ومُر الشعر أن يُطيع جناني
وارتقب بعد ذاك ما سوف آ ... تيك به من محسنات المعاني
في سماء الخيال طر بي حتى ... ترتقي بي عن هذه الأكوان
ثم ينفك من سلاسله الفكر ... فيجري عدواً بغير عنان
فهو طوراً في مسرح الفلك العا ... لي وطوراً في مسبح الحيتان
يتحلى بدُرّ شهب السما حيـ ... ـناً، وحيناً بدُرّ بحر عُمان
ذلك العالم الكبير، ترى البحـ ... ـر به لا يروي صدى العطشان
يسبح الشاعر الخيالي فيه ... من محل إلى محل ثاني!
فأذن لي حر القريض وألزمـ ... ـه اتباعي فإنه قد عصاني
وأعنّي على المديح فطرفي ... في الأماديح ظالع متواني
ليس ميداني المديح، ولكن ... وصف ما بي من الهوى ميداني
غير أن الفتى إذا طوِّق الإحـ ... ـسان يجزي مولاه بالإحسان
فأعِرني لسان (سحبان) إني ... مادح من سما على سحبان

(١) صالح علي الحامد من كبار شعراء حضرموت توفي بسيئون سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م). من رفاق صبا شاعرنا علي أحمد باكثير ومن أصدقائه، عاش بين الوطن والمهجر. له ثلاثة دواوين طبع منها في حياته «نسمات الربيع» و«ليالي المصيف» أما ديوان «على شاطىء الحياة» فقد طبع بعد وفاته، وله «تاريخ حضرموت» مطبوع في مجلدين، كما نشر العديد من الدراسات في مجلات عربية متفرقة منها «أبوللو» و«النهضة الحضرمية».

بارع الفضل (صالح بن عليّ)   هاشمي العلى فتى الفتيان
خصَّه الله بالبراعة في العلـ   ـم وفرط الذكاء وحسن البيان
أنجبته الكرام من آل بيت الـ   ـمصطفى سيد الورى العدناني
ذو قريض كأن ألفاظه من   سرق الخز والمعاني غواني
أو كؤوس صيغت من الجوهر الشفا   ف فيها صرف من الخمر قاني
لو رآه (الرضيّ) لافترَّ إعجا   باً بفرد من آل طه حسان[1]
ما نسيت العهود لا أُنس إذ أسـ   ـلفني مجده كتاب «الأغاني»
خير كتب الآداب طرّاً ترى ما   تشتهيه في روضه الفينان
أدب، تاريخ، معارف شتى   وأغاني مثالث ومثاني
دام عندي شهرين يؤنس بالي   ويسلّي ما بي من الأشجان
فكأن الشهرين عندي من فر   ط سروري يومان أو ساعتان
وإذا العيش طاب للمرء حيناً   فسنوه كأنهن ثواني
يا سليل الكرام، دونك أبيا   تٍ ركاكاً من قاصر الفكر داني
يترجى منك القبول وغض الـ   ـطرف عما فيها من النقصان
فابق زين الشباب للعلم والآ   داب، في غبطة وحِرز أمان
إنما أنت ـ والمعالي شهود ـ   غرة في جبين هذا الزمان

* * *

فأجاب حضرته بهذه الأبيات الرائعة:

أُدباء الورى كثير ولكن   ما رأينا في الفضل كالأصفهاني
وإذا ما امتريت في فضله في الـ   ـعلم فانظر إلى كتاب الأغاني
فهو سفر هيهات تلقى له مثـ   ـلاً لعمري في الحسن والإتقان
إن لله دره من أديب   حافظ عالم جليل الشان
بذل الود للوصي كأن لم   ينتسب للطريد أو مروان

(١) هو الشريف الرضي محمد بن الحسين (٣٥٩ ـ ٤٠٦هـ / ٩٧٠ ـ ١٠١٦م) ولد ومات في بغداد، جمع نهج البلاغة، ومن دواوينه «الحجازيات» و«الأخوانيات».

ولقد شافني الغداة قريض   قد حكى نظمُه عُقود الجُمانِ
من فتى لازم العلوم صغيراً   فغدا سائداً على الأقران
زيد فضلاً حتى يعارض في المنثور   (قُسًّا) وفي القريض (ابن هاني)[1]
ورعاه الإله في كل وقت   وحماه من طارق الحدثان

(١) قُسّ: نعتقد أنه يعني به الخطيب الجاهلي في سوق عكاظ قس بن ساعدة الإيادي. أما ابن هـاني: (٩٣٨ ـ ٩٧٣م) فهو شاعر أندلسي، وله ديوان. أو لعله يقصد الحسن بن هانئ الشهير بأبي نواس

بَابُ الاجْتِماعيَّات

أهلا وسهلا

وكتب إليه أحد أصدقائه الأدباء يستأذنه في عيادته وهو عليل مُصدراً كتابه بهذا البيت:

بأنفسنا لا بالطوارف والبله   نقيك الذي تخفي من الشكو أو تبدي

فأجابه صاحب الديوان بهذين البيتين:

أهلاً وسهلاً بك من زائر   فانزل على رحب وصادف سعه
سيذهب الشكو الذي اشتكي   بزورة منكم وهمي معه

تهنئة

عندما أوقف عمه الفاضل العلامة الجليل الشيخ محمد بن محمد باكثير[1] من وظيفة القضاء بسيئون سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) هنأه بهذه الأبيات:

خرجت إلى النعيم من العناء ... فبشرى للمعارف بالهناء
رجعت إلى الدروس تميز فيها ... الصواب المحض من ثوب الخطاء
عطفت على المعارف وهي تبكي ... فعوضت السرور عن البكاء
وجانبت المتاعب لا لعجز ... فعزمك كالمهند في المضاء
ولكن الزمان زمان سوء ... يليق مقامه بالأشقياء
خرجت من القضاء وذاك لطف ... بقاضي الأرض من قاضي السماء
وأجل من قضاء بلاد ظلم ... وضيم أن تكون بلا قضاء
فدم زين المعارف والمعالي ... محاطاً بالمسرة والهناء

---

(١) محمد بن محمد باكثير (١٢٨٣ - ١٣٥٥ /١٨٦٤ - ١٩٣٦م) هو عم شاعرنا علي أحمد باكثير، عاش ومات في سيئون. يعد أستاذ جيل النوابغ في حضرموت، وأحد أئمة النحو والفقه والأدب والشعر، له ديوان كبير، وعدة كتب منها «البنان المشير إلى فضلاء آل أبي كثير»، و«تراجم المنتمين إلى كندة»، وعدة شروح لكتب نحوية وفقهية، وله «سرور البال شرح تحفة الأطفال» في التجويد كما له عدة منظومات في الفقه وعلم العروض و«رسالة في علم الجبر والحساب» إضافة إلى كتب أخرى لا تزال جميعها مخطوطة.

إعتذار وتهنئة

قدمها إلى عمه الفاضل العلامة الشيخ محمد بن محمد باكثير في زمن احتجاجه لقدح في عينيه:

يا أيها العم الجليل   حياك ربك بالشفاء
وأعاد طرفك للدرو   س تنيرهن من الخفاء
يهنيك مولودان يأ   تلقان في أوج العلاء
أتياك سبطك والحفيـ   ـد يبشرانك بالنماء
من دوحة محمودة   في الدين والدنيا سواء
الأصل منها ثابت   والفرع منها في السماء
ستراهما آمين رب   بجاه خير الأنبياء
ولئن حُجبت فما رأيت   فعن قريب أنت رائي
واحذر بُنيك إن تأَخَّر عن مواصلة اللقاء
حذار عليك من التضرر   بالكلام أو الكباء
لو لم يخف سوءاً لعا   دك في الصباح وفي المساء

قصائد أم ثنايا

تقريظ كتبه على ديوان (نسيم الصبا) للسيد الأديب الفاضل عبدالله بن أحمد بن يحيى[١] محرر مجلة (عكاظ).

قصائد أم ثنايا   تبسم عنها كعاب؟
أم هيَ كأس شراب   يرقص فيها الحجاب[٢]
أم هي نوع من السحـ   ـر (لابن يحيى) عجاب
كيف اختياري منها   وكلها مستطاب

---

(١) عبدالله بن أحمد بن يحيى: ولد بسنغافورا سنة ١٣٢١هـ(١٩٠٣م)عاد إلى حضرموت وأصدر مجلة (عكاظ) سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) ثم سافر إلى مصر، وحصل على شهادة العالمية من الأزهر الشريف سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) تبوأ العديد من المراكز الإسلامية في بلدان الشرق الأقصى، وعمل في السلك الدبلوماسي اليمني. وإضافة إلى ديوانه وأشعاره الغزيرة له عدة كتب في السياسة والأدب، ولا يزال يواصل نشاطاته.

(٢) أورد الأستاذ ابن يحيى هذه المقطوعة على الغلاف الأخير لديوانه «المُجاج»، وقد جاء هذا البيت كالآتي:

أم هي كأس من الخمر   قد علاها حُبابُ؟

إذا جن ليل

وقال يمدح والده في شهر محرم سنة ١٣٤٠هـ (أكتوبر ١٩٢١م)(١)

إذا جن ليل وادلهمت غياهبه … أبيت وفي ماطر الدمع ساكبه
أبيت وأحشائي تذوب صبابة … ووجداً وشوقاً ذاهل العقل ذاهبه
ولا نوم لي فيه فكيف أنام والـ … ـهوى مقتنص فرط السهاد وجالبه
وقلبي مـرمي بسهم رمى بـه … إلى غزال كامل الحسن صاحبه
جميل المحيا باسم الثغر خلته … هلالاً علا معطي الجمال وواهبه
ولو كان محبوبي يسارع باللقا … لما أتوقى في الهوى ما أراقبه
ولكن على العشاق أن يصبروا على … مصائبه فالحب جم مصائبه
رعى الله أياماً تقضت بوصل من … أحبُّ مُنى قلبي ومن أنا طالبه
ولم أنس إذ ألصقت صدري بصدره … ومن ثغره البسام ما أنا شاربه
ألذ من الصهباء طعم حديثه … وأحلى من الشهد المصفى مشاربه
أغنٌ غضيض الطرف أكحل أغيد … صبيح لطيف القول حين أخاطبه
كأن بغية الدر والتبر والطلا … فجل إله ليس تحصى عجائبه
لقد طال عني هجره وإلى متى التـ … ـغزل فيما ليس تهمي سحائبه
أقلبي انشغل من ذا التعابي إلى الهوى … إلى المدح من جمت وعمت مواهبه
رضيع الحجا والعقل أحمد ذي التُقى … وسحب تعم ذكْرها لا يجانبه
وعمّ جميع الخافقين عطاؤه … تلوذ به أبعاده وأقاربه

---

(١) والده هو الشيخ الفاضل أحمد بن محمد باكثير من أعيان حضرموت ومن أبرز رجال المجتمع في الوطن والمهجر الأندونيسي اشتهر بحبه للخير وسعيه في خدمة المحتاجين وقضاء حوائج اليتامى والأيامى، وكانت له اليد الطولى في تأسيس مدرسة النهضة العلمية بسيئون، وقد اوصى بالكثير من ماله ـ على قلته واتساع أسرته ـ لطلبة العلم والفقراء والمساكين، توفي في سيئون.

ذكي أبي كامل وابن كامل … أخو المجد والجود العميم وصاحبه
حليم جواد يستغاث بجوده … إذا الدهر قد نابت وهمت نوائبه
رضيع الندى ركن المكارم كلها … زكي أصله والفرع ثم مناسبه
كفاني فخراً أنني كنت نجله … ويزكو به شعري وتبدو عجائبه
وهذا أب لو كان للناس مثله … كفتهم فخاراً واعتلاء مناقبه
فدم يا أبي براً كريماً وثق بمن … تخافه وتخشاه وأنت تراقبه
ولا زال نجم السعد فوقك طالعاً … بجودك يبدو بدره وكواكبه

سادتي

قالها في وداع بعض أقاربه:

سادتي غم خاطري لنواكم　　　واعتراني همٌّ وحزن شديد
إن إزماعكم على السير مُدمٍ　　　لفؤادي ولاصطباري مبيد
غير أني أعلل النفس بالعو　　　د سريعاً والله نعم المعيد
سادتي قد بعثت جهد مقل　　　لكمو والقبول منكم أريد
فإذا ما قبلتموه لتذكاري　　　في سيركم فإني سعيد
رافقتكم سلامة ورزقتم　　　حسن حظ يتلوه عود حميد
إن يوماً يكون عوداً كموافيه　　　ليوم مبجل مشهود

إستنهاض في تقريظ

بمناسبة ظهور كتاب (التربية النسائية) للسيد/ العلامة عبدالله بن محمد بن حامد السقاف[١].

أرأيت نوراً فوق نور　　　ذوبا أريق على سطور
أسمعت صداح الحقيقة　　　يخطب الجمع الغفير
لا - بل كتاب ملؤه　　　حكم وآي هدى منير
غدران علم عذبة　　　ماء الهدى منها يفور
نفثات قلب شاعر　　　ينسيك مغزاها الشعور
لا تستبين لدى قرا　　　ءتها كحبر أو غيور؟
لكن إذا حققتها　　　وسبرتها سبر الخبير
أيقنت أنك قارىء　　　لغة الضمير إلى الضمير
وبدا لك العلم العتيـ　　　ـق يصدق العلم الأخير
ورأيت روح الإعتدا　　　ل كما بها أمر الغدير
وتفتحت لك روضة　　　قد راق جانبها غدير
ورد وريحان ولكن　　　(الخلاق) هو العبير
تلك الحقائق أسفرت　　　عنها البراقع والسفور
أو ما رأيت السحب يو　　　ماً ينفرجن عن البدور؟
حكم يروقك لفظها　　　ان هال معناها الكبير
قد أفرغت في قالب　　　من أجود الكلم النشير؟

(١) عبد الله بن محمد بن حامد السقاف: شاعر وأديب له عدة كتب أهمها كتاب «تاريخ الشعراء الحضرميين» في خمسة أجزاء عاش بين سنغافورا ومصر التي استقر بها مدة ثم عاد إلى حضرموت وتوفي فيها سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م).

قل لي بعيشك هل رأيـ   ت الغير في حلل الحرير
حكم تعجب أنها   من ذلك القلم الصغير
سبح لباريه وأثـ   نى على محركه الغدير
يدعو لتربية البنا   ت وهل على الداعي نكير؟
كيف السبيل إلى النهو   ض، وأمهات النشء عور؟
أبدون تربية الإنا   ث تفيد تربية الذكور؟
أيلدن أحياء وهن   من الجهالة في قبور؟
كلا، ورب العرش كيـ   ـف يكون من ظلماء نور
الأم أستاذ الأسا   تذة الألى شغلوا العصور
الأم أول حجرة   لها أُسُّ خير أو شرور
أصل السعادة والشقا   أصل البلابل والسرور
هي مصدر لجميع ما   تحت السماء من الأمور
ضل الألى، ظنوا الظنو   ن وكلها كذب وزور
أيكون تعليم البنا   ت العلم يورثها الفجور؟
هل تعدمُ اللخناء غير   الحظر سُبلاً للعهور؟[1]
عجباً؟ متى أتت الجها   لة بالعفاف وبالخيور
زعماً تكاد له السما   ء لهول منكره تمور

* * *

أدب الكتاب أجل من   أدب الدعاة إلى السفور
فتنوا بسحر (الغرب) ما   مازوا النفوع من الضرور
نظروا الأمور من الدنى   وعلى عواقبها ستور
لو أمعنوا أنظارهم   لم يستخفهم الغرور
«الاجتماع» معقد   لا يبتغي النظر القصير
لا بد من نظر محيـ   ـط بالكبير وبالصغير

(١) اللخناء: بمعنى القذرة والبذيئة اللسان.

لله در (فريد وجدي)   ذلك الرجل الخطير[1]
فقد انبرى للحق ينصـ   ـره وليس له نصير
والحق يغلب الأمـ   ـراء وان تطاولت العصور
فرض الإله العلم في   قرآنه وهُدَى البشير
لا فرق بين السافرين   وبين ربات الخدور
ولنا بأم المؤمنين   الاقتداء المستنير
وبغيرها من فُضليات   الدين ربات الحجور
إلا الجمود حدا بنا   نحو التأخر والقصور
ما الذنب إلا ذنبنا   والدين أعظم أن يضير
نرجو المهيمن عفوه   والله يعفو عن كثير

* * *

يا كاتباً حييت من   متنور حر الضمير
في أمةٍ زعمت مقا   ل الكتب لا يشفي الضرير
اعمل ولا تيأس عسى   فلك التقدم أن يدور
عظهم عسى أن يأنسوا   بالحق من بعد النفور
لا كانت الأمثال، قم   داوود اسمعنا الزبور!!

* * *

يا أيها الشعب الكريم،   أما لموتك من نشور
مضت الدهور عليك في   ندم على إثر الدهور
هبت شعوب، وارتقت   أمم، وأنت على الحصير
متثاقل، متثائب   كسلان، أوهنه الفتور
فيك الجمود لقد تغلغل   للقلوب من الصدور
ومن القلوب إلى العقو   ل فلم يرع منا شعور
أنت الأسير مكبلاً   بقيوده ويح الأسير

(١) هو محمد فريد وجدي (١٨٧٨ ـ ١٩٥٤م) أديب وصحافي مصري، أصدر جريدة الدستور سنة ١٩٠٧م، حرر مجلة الأزهر سنة ١٩٣٣م، من أهم مؤلفاته «دائرة معارف القرن العشرين».

أسر العدو أخف من   أسر الجمود لدى البصير
هذا على الأجسام والثاني على   الأرواح نير
الدين يأمر بالتحر   ر من خيالات الأمور
الدين يأمر بالحيا   ة وليس يأمر بالدثور
طالع حياة المصطفى   أترى الخمول أو الظهور
تلك الحياةُ حياةُ مقـ   ـدام نشيط أو دثور
لهفي عليك متى أراك   تقوم من هذا العثير
ومتى أراك بحالة   تُرضي المحب لك الغيور؟
قوموا لمجدكم الوقيـ   ـذ لعله يوماً يثور
رقوا له لا تتركو   ه يلفظ النفس الأخير

«عصر المأمون»

وكتب إلى حضرة الأمير الفاضـل السلطان عبدالله محسن بن غـالب يشكره على أن أعاره كتاب عصر المأمون:

أيها الماجد الأمير جزاك الله   عنّي خيراً وأبقاك نفعا
إن مسعاك أن جلبت صنوف الكتب   مسعى أكرم بذلك مسعى
وبـ «عصر المأمون» أثلجت أمتعت   فؤاداً عيناً وشنّفت سمعا
أيها السلطان المعظم (عبدالله)   أحسنت بي وبالعلم صنعا
إيه يا نجل محسن إحي للآداب   رسماً وللمعارف ربعا
وأقم دولة العلوم فسيف العلم   أمضى صولاً وأنفذ قطعا
واغنم الذكر إنه العمر الثاني   إذا مت فاجعل الوتر شفعا
وتقبل نميقة الشكر ممن   أخلص الود فيك قلبا وطبعا
يسأل الله أن يزيدك في الأعداء   خفضاً وفي مقامك رفعا

رسالة

وقال هذه الأبيات وضمنها رسالة كتب بها إلى حضرة أمير البلاد في حاجة له:

يا أمير البلاد يا موئل النا ... س جميعا وملجأ الخائفينا
بالذي خصكم بملك عظيم ... ساحب ذيله على المالكينا
أن ترقوا لأسرة ذات قدر ... صار أعداؤها لها راحمينا
ضرها بالاسم الكبير أبوها ... فغدت بعده تعاني المنونا
ما كفاها هذا فحمل قسراً ... حاضروها ضرائب الغائبينا
صبروا برهة على ذا اضطرار ... فأقلوا مغارماً وديونا
هل رثاء هل رحمة لأناس ... بالهوى في بلادهم مغرمينا
رفعوا شكواهم إلى خير ملك ... يتوخى مناهج الراشدينا
أيَّـد الله ملككم وحمى عر ... شكم من ريب الزمان قرونا

العيد يوم قدومك

وقال مهنئاً بقدوم حضرة قريبه الأديب الشاعر عيدروس بن سالم بن محمد السقاف[1] إلى وطنه (سيئون) من رحلته إلى جاوا.

العيد يوم قدومك المسعودِ ... عيد السرور وليس يوم العيد
العيد ما هز القلوب بشيره ... فغدت كغصن البانة الأُملود
يركض في رحب الصدور كأنها ... أكر تدافعها شباب هنود
ينطقن من عسل السرور فيرتوين ... به فيا للوارد المورود
الله أكبر لا مُكبّر غيره ... غمرت سكينته (مساكن هود)[2]
إني أرى نوراً يشع من السما ... ضرب الدنى برواقه الممدود
نور يعوم الكون فيه كأنه ... قلب النبي يعوم في التوحيد
غمر النواحي وانتحى جمهوره ... سمت (الطويلة) قايماً كعمود
فغدت بحيث الله لولا لطفُه ... لتحرقت من نورها بوقُود[3]
فكأن (ابراهيم) فيها فانبرى ... يدعو كرامتُه بربّك عودي
هذا هو النور الإلهي الذي ... وافى ليوم في الزمان سعيد
يوم تبسم فيه ثغر الدهر عن ... دُرٍّ من الفرح العميم نضيد

---

(١) عيدروس بن سالم بن محمد السقاف ولد سنة ١٣١٧هـ، قاضٍ وفقيه وشاعر تتلمذ على يدي الأستاذ محمد بن محمد باكثير، تخصص في دراسة النحو والصرف، عاش ومات في سيئون، ولم يجمع شعره في ديوان.

(٢) مساكن هود: بلدة في شرق حضرموت يوجد بها قبر نبي الله هود، يقصدها الناس للزيارة في شهر شعبان لعدة أيام حيث تقام فيها سوق مشهورة إلى يومنا هذا.

(٣) في البيت إشارة إلى معجزة نبي الله إبراهيم حين أُلقي به في النار فكانت عليه برداً وسلاماً بإذن الله.

يوم تنفس فيه صبح الوصل عن   نفس من الروح النسيم برود
الله أكبر لا مكبّر غيره   والحمد لله العظيم الجود
هذا محيّا (عيدروس) بدا لنا   كالبدر عند تمامه المشهود
حيوه عاطرة التحايا واذكروا   مولاه بالتكبير والتحميد
وتفننوا يا معشر الشعراء في   تأهيل هذا الشاعر الغرِّيد
فأحق من يهدي القوافي شاعر   يهتز حين تهزه بنشيد
وأعقنا للشعر من يطوي به   فظاً غليظ القلب كالجلمود
هذا مقام الشعر هذا موقف الـ   إبداع هذي ساعة التجويد
أنتم لدى بطل القريض فحاذروا الـ   ـميلان إلا كل صلب العود

* * *

قدم الكريم فيا بلاد تمايلي   طرباً وويحك يا شوامخ ميدي
نستغفر الله العظيم فإننا   لكأن تساقينا ابنة العنقود
إنَّا لنخشى أن تطير قلوبنا   فرحاً فمن لقلوبنا بقيود
مهلاً فؤادي في السرور فبعض ذا   يكفي لكبت الحاسد المفؤود
وإغاظة الحساد عذب طعمها   لولا عواقبها على المحسود
يا قادماً بالسعد نحو ربوعه   إهنأ بعود للربوع حميد
وانزل على فرح النفوس فكلنا   بلقاك أدرك غاية المقصود
سرت بمقدمك القلوب سرور يعـ   ـقوب بمقدم نجله المفقود
يا أيها الساعي لأبعد غاية   في المجد وهو يراه غير بعيد
يسعى إلى العلياء سعي مشمرٍ   لا عاجز وانٍ ولا رعديد
ما زال يرتاد المعارف جاهداً   حتى ارتوى من حوضها المحدود
وسما إلى الآداب فابتدرت له   لقيا الودود لحبها المودود
ما أنت بِدعاً في الكرام وإنما   أنت القلادة في نظام فريد
فلقد جمعت المجد من أطرافه   بعمومة وخؤولةٌ وجدود
فعمومة من هاشم في قطبها   بيت النبوة والهدى والجود
فيه النبي وبنتُه ووصيُّهُ   وابناه والكبرى أولوا التأييد

بيت تطاول كالسماء بناؤه   أهل الكساء به نجومُ سعود
وخؤولةٌ من ضِئضىء الأملاك من   (آل المرار) الأكرمين الصيد(١)
فاقعد على هام السهى واقطف إذا   شئت الثريا قطفة العنقود
ما أنت أول هاشمي خاله   منا فكان أباً لكل مجيد
هذا هو العباس عم المصطفى   كم بالخؤولة فاز بالتمجيد
وحفيده الآبي الدنية إذ به   رعت بيوم الحسرة المنكود
يوم اللعين أباح طيبَةَ تاركاً   أبناءها من قائم وحصيد(٢)
لولا دفاع الشوس من أخواله   لغدا (أبو الأملاك) عبد (يزيد)(٣)
ما المدح من شأني ولكني فتى   مغرى بغيد المجد قبل الغيد
فإذا جرى ذكر الفخار وأهله   فكأنَّما أسمعت رنة عود
ولئن مدحت فما مدحت سوى العلا   وبني العلى من سيد ومسود
ما فيكمو عيب سوى حسادكم   ان كان من عيب وجود حسود
وسوى قصوركمو وقد جاوزتم   غاي العُلى أن تظفروا بمزيد
وكذاك يوم قدومكم ما فيه من   عيب سوى إزرائه بالعيد
إنَّا لنفخر بالمثاب إليكمو   بقرابة وهوى أشد أكيد
وشج الإله عراهما وكأنها   حلقات درع محكم التبريد
أهلاً بمقدمك السعيد ومرحباً   ببريد وصلك فهو خير بريد
ورد البلاد ضحى فبشر أهلها   بمسرة تحيي وهمٍّ يودي
يا مرحباً بك قادما وبصنوك الـ   ـمحسن الفقيه الطايع المحمود
وبكل من ورد (الطويلة) معكما   باليُمنِ والإقبال والتأييد
يا بن الكرام اخلع لباس ترحل   للباس وصل في حماك جديد
وتهن باللقيا والق عصى النوى   وانعم فإنك في الحمى المسعود
وامسح بكفك ناصبات همومه   عن رأس ذاكي الذهن غير بليد

(١) آل المرار: بيت الملك في كندة، وينتسب أخوال الممدوح إليهم.
(٢) إشارة إلى إباحة يزيد بن معاوية المدينة المنورة سنة ٦٠ هـ.
(٣) الشوس: الشجعان، أبو الأملاك: أحد أجداد ملوك بني العباس.

واسمع حديث مسائل ما قصده   إلّا سماع حوارك المودود
بالله حدثنا حديثك انه   أشهى وأعذب من رضاب ترود
كيف اعترضت على مفارقة الحمى   كيف اقتطعت البيد بعد البيد
كيف امتطيت البحر يعلو صاعداً   آذيّة ويسوخ بعد صعود
فكأنما أمواجه العبّاد في   صلواتهم من ركّع وسجود
أولم تعجب والعجائب جمة   من ذلك المتغطرس المرّيد
يتخبط البحر الغطامط ماخراً   ثبج العباد بهمة الصنديد
لو رآه (نوح) لسبح ربه   رحماك ماذا اليوم يصنع عودي
أبتاه إنهم بنوك ترسموا   خطواتك البيضاء في التجديد
فالفضل في الحالين نحوك راجع   هذا الحديد سليل ذاك العودَ
واشرح لنا أحوال مهجر قومنا   هم لانحطاط فيه أم لصعود؟
ما حالهم يا ويحهم أإستيقظوا؟   أم لم يزالوا في عميق رقود؟
فيه الشعوب ترابطت وتقدمت   إلا بني عدنان فيه وهود
أسفي على الشعب الكريم بجهله   أودى بعز إخائه المنشود
جمدوا على باقيهم وتفننوا   خلفاً فيا لتفنن وجمود
ما حال (عبدالله) صنوك اننا   قسماً لفي شوق اليه شديد
فالله يجمعنا به من بعد نيـ   ـل مناه في الأوطان غير بعيد
يا عندليب الشعر غرد في الحمى   شجواً يعيد لنا ادّكار عهود
يا عندليب الشعر مذ فارقتنا   وقفت عنادله عن التغريد
أنت المهيج لشجوهن كلوعة الـ   ـمعمود تبعث لوعة المعمود
جدد لنا عهد (الوليد) فمنك نأ   مل أن تجيء ربوعنا بوليد[1]
ولج القلوب إلى سويداواتها   بقريضك السامي بلا إقليد
ما عذرُ من أمسى و(حندج) خاله   أن لا يكون (كجرول) و(لبيد)[2]

(١) الوليد هو اسم البحتري، الشاعر المشهور.

(٢) (حُندج): هو اسم امرىء القيس و(جرول) هو الحطيئة بن أوس بن مالك العبسي ت نحو ٤٥هـ، =

روق لنا خمر القريض وعاطنا   ها صرفة تهب الحياة لمودي
لا تسقناها في الكؤوس ترمقاً   دعنا نجرجر من فم الراقود
فلأنت أنت إذا شدوت بمجمع   سمعوا نشيد الشعر من في العود
وتأوّدوا طرباً فلم يتبينوا   أي الثلاثة صاحب التأويد
أقريضك العلوّي أم إفصاحك القسيّ أم هو صنوك الداوودي

* * *

أقسمت ما فرح المحب بوصل من يهواه بعد نوىً وطول صدود
كلا ولا فرح الأسير مكبلاً   عند العِدى بسلاسل وقيود
يمسي ويصبح وهو يرقب نقله   من بطن ملحود إلى ملحود
فإذا تذكر أهله وعياله   سفح الدموع دماً وأوشك يودي
سمع الصياح لدى الصباح ودك با   ب السجن عن غر الكماة أسود
فأجال فيهم طرفه فإذا همو   إخوانه في عدة وعديد
بأشد من فرح الحمى ونزيله   بحلول يوم قدومك المسعود
فاشكر إلٰهك حين عدت وكل من   غادرته في نعمة ومزيد
واستقبل الأفراح مبتسماً لها   يشف ابتسامك من غليل مجود
فقد انتهيت إلى مقامك حيث ألقى الأنس فيه إليك بالإقليد
واجتزت طوفان النوى بسفينة للقرب قد ألقتك فوق الجودي

= شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، اشتهر بالهجاء. (ولبيد) هو ابن ربيعة العامري (٥٦٠ - ٦٦٢م) أحد شعراء المعلقات المخضرمين.

المأكل الصالحي[1]

أكلنا أكلنا إلى أن شبعنا   من المأكل الصالحي اللذيذ
ولكننا نشتهي أكؤساً   من الشاي تفضح كل نبيذ
غدا (صالح) اليوم مثل الخليل   إذْ جاء يوماً بعجل حنيذ[2]
ففي أكؤس الشاي برد الغليل   وطب العليل وبرء الوقيذ

(١) نعتقد أنه نظم هذه الأبيات ليداعب بها صديقه الشاعر صالح الحامد أثناء وليمة أقامها له ولعدد من أصدقائهما الأدباء.

(٢) التشبيه في هذا البيت يشير إلى قصة ابراهيم عليه السلام مع الملائكة في الآية القرآنية التي تقول: «ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى، قالوا سلاما، قال سلامٌ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ» سورة هود، الآية (٦٩).

غيور على الأوطان

إلى باني مدرسة النهضة العلمية بسيئون سماحة السيد المفضال عمر بن محمد ابن عمر السقاف[1]

سفكت دمي من غير ذنب ولا وزر   ألا تتقين الله يا ربة الخدر
هجرت فتى ما ذنبه غير وده   لك اللّه هل تجزى المودة بالهجر
رمى لحظك القتال جسمي برمية   سرى سمها في القلب من حيث لا يدري
وأنكى سقام المرء ما ليس عالماً   به داؤه يُرمى وقوته تكري[2]
وما الحب إلا كالجنون ابتداؤه   وآخره مثل المنام على الجمر!
حذار انفجار القلب من لوعة الهوى   أعلل نفسي بالأمانيّ والشعر
أحاول كتم الحب جهدي وكيف لي   به؟ ودموع العين فاضحة سري
بنفسي من في القلب منها صبابة   وطرفي منها دائماً دمعه يجري
لعوب بألباب الرجال خريدة   يميل بها سكر الشبيبة لا الخمر[3]
مهفهفة هيفاء مهضومة الحشا   وناهدة الثديين ناحلة الخصر
فتاة كخوط البان يهتز ردفها   بعيدة مهوى القرط مشرقة النحر
حكى خصرها جسمي وحبي ردفها   وألحاظها عزمي ومبسمها شعري
تريك من الحسن البديع عجائباً   فتسفر عن بدر وتبسم عن در
أغارت على صبري فأفنت جنوده   فتاة قد استولت على القلب والفكر

(١) عمر بن محمد بن عمر السقاف: ت ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) من المصلحين ورجال الخير والفضل، هاجر من حضرموت واستقر في سنغافورا. جمع أموالاً كثيرة من قرابته وأهل الخير في المهجر ووقفها على مدرسة النهضة العلمية بسيئون. توفي في أندونيسيا، ودفن في سنغافورا.

(٢) تكري: تضعف.

(٣) خريدة: جمع خرائد وهي المرأة البكر والحيية من النساء.

أحس كأن القلب موطىء نعلها   إذا ما مشت تختال في الحلل الحمر
ألا قاتل الله الغواني تركنني   سليباً بلا عقل قتيلاً بلا وتر
يصرن العزيز الحر عبداً مملكاً   لهن ويتركن المُجرَّب كالغمر[1]
فإن كنت تهوى العز فلتتق الهوى   فإن الهوى والعز كالماء والجمر
وكن ساعياً في نفع قومك مُصلتا   سيوفاً من الإقدام والحزم والصبر
غوراً على الأوطان يبغي رقيّها   كمثل الفتى المقدام والماجد الحرِّ
،مقوض أركان الجهالة ممتطي   سنام العلى فرع الميامنة الغرّ
وذا (عمر السقاف) نجل محمد   حليف الندى غيث الجدى زينة العصر
جواد مهاب مستطاب مهذب   بعيد مجال الفكر متسع الصّدر
بنى (النهضة الغراء) ليس بقاصد   لشيء سوى نيلُ المثوبة والأجر[2]
أجل - ولنفع الأمة الحضرمية الـ   ـتي وقعت في هوة الجهل والخسر
به ابتهجت «سيئون» وانتعشت به   وجرت ذيول الافتَخار على «مصر»
وأضحت به من بعد ذل عزيزة   وبعد اكتئاب القلب باسمة الثغر
لقد شاد قصراً مشمخراً من العلى   بتشييده أمّ المكارم والفخر
وساد جميع السائدين بحلمه   وأخلاقه العظمى ونائله الغمر
يريك إذا ما رام شيئاً بعزمه   حساماً صقيلاً باتراً بارع الأثر
أغار فأفنى بأسه مهج العدا   وجاد فأفنى جوده مهجة الفقر
ولم ينتظم شمل المكارم والعلى   لمن لم يبدّد شملي المال والوفر
تواضع لا عن ذلة غير أنه   رأى الذل كل الذل في شيمة الكبر
ومن يك مختالا فخوراً بنفسه   رمته عيون الناس بالنظر الشزر
سعى بصحيح العزم في نفع قومه   ومن جدّ في مأموله فاز بالنصر
سيحمد في الإصباح من جد في السرى   ويندم من لم ينتهز فرصة العمر
له عزمة تفري الصخور وهمة   تفوق على هام السماكين والنسر!
ثوى حبه في كل قلب كما ثوت   محبة (عثمان) قلوب بني فهر[3]

(١) الغمر: الجاهل الغر قليل التجربة.
(٢) النهضة الغراء: مدرسة النهضة العلمية بسيئون.
(٣) بني فهر: قبيلة من قريش.

جرى ذكره في كل ناد وصيتُه   تمثل شخصاً جال في البر والبحر
وهيبته في الناس تسري كما سرى   دبيب فتور السكر في شارب الخمر
تردد أفواه الأنام ثناءه   ترتله ترتيلها سور الذكر
شكى من يباري مجده سبقه كما   تشكى(الكُميت) الجهد من شدة الحفر[1]
أمستكبرا ما قيل في عظم قدره   رويدك فالأخبار تصغر بالحبر
فيا (عمر) الخيرات يا منبع الندى   ومن دونه في جوده وابل القطر
لقد خصك الرحمان من بين خلقه   بفضل وآلاء تجل عن الحصر
وفقت كرام الناس مجداً وسؤدداً   كأنك من بين الورى «ليلة القدر»
فواللّه والإسلام والعلم والحجى   وبُرد التقى والنجم والفجر والعصر
لشخصُك مطبوع على صيب الندى   كما أنا مطبوع على جيد الشعر
تحوم المعاني حول فكري شوارداً   فانظمها نظم الكواعب للدُّر
وتأتيني الألفاظ طوعاً - كأنما   أزفها في راحتي - بلا قسر
فدونك يا بن الأكرمين قصيدة   مشبهة الأبيات بالأنجم الزهر
فريدة حسن غادة أُمها فمي   مهذبها طبعي ووالدها فكري
تواجه من أصغى إليها بسمعه   بوجه طليق باسم الثغر مفترّ
فدُم منتدىً عافٍ مُعزّاً لمصلحٍ   مُذِلاً لذي بغيٍ مُغيثاً لمعترّ[2]
تحياتنا تغشاك بعد نبينا   وعترته والصحب ما صدح القمري
تهنئك الأيام يابن محمد   بمجد سيبقى ذكره أبد الدهر

(١) الكميت: الفرس.
(٢) المعتّر: الفقير البائس.

سيئون بين السرور والحزن
لقدوم عالمها وموت مليكها

قالها وألقاها بين يدي السيد العلامة محمد بن هادي السقاف[١] بمناسبة قدومه من الحج الحرم سنة ١٣٤٨هـ الموافق إبريل ١٩٣٠م.

(سيئون) تيهي وافخري   بقدوم سيدك السري
بطلوع بدرك في سما   ئك بعد غيبة أشهر
وتخايلي ما شئت أن   تتخايلي وتكبري
إن التكبر من حسان الـ   ـدل ليس بمنكر

* * *

أعطى المسرة حقها   فاز الحبور فابشري
هزي معاطفك اللدا   ن وللملذات انبري
واحسي صبوح الأنس من   خمر السرور الأحمر
وتناولي ما شئت من   شجر الهناء المثمر
لم تفرحي «بمحمد»   يوماً إذا لم تكبري
وتمايلي لعب الجنا   ئب بالثمام الأخضر
فتمايدي حتى تَرَي   صحوا فحينئذ قري
وانحي بسمعك نحو شا   عرك الوليد الأصغر
وتسمعي آي التها   ني من لسان (البحتري)

---

(١) محمد بن هادي السقاف (١٢٩١ ـ ١٣٨٢هـ /١٨٧٤ ـ ١٩٦٢م) عاش ومات في سيئون، من فقهاء حضرموت ووجهائها، له رسالة مطبوعة في النحو، وقف حياته على التدريس لوجه الله في زاوية باسمه، ويعد من أساتذة جيل النوابغ في حضرموت.

حتى إذا شمت ابن (ها   دي) في سناه فكبري
هذا محمدك الإما   م بدا بوجه مسفر
وصل الحِمى فتفاوحت   فيه الرياح بعنبر
وزها به وادي (ابن را   شد) في رواء أنضر[١]
وبدا لنا قمر الكمال   على أبر مطهر
من ذلك الرجل الذي   أمسى قرين المشتري
متفرد في مجده   متفرد في المفخر
متفرد بعلومه   زخارة كالأبحر
متفرد بخلاقه   مثل النسيم الأعطر
قرم تحدر مُن قرو   م من سلالة حيدر
ورث السيادة والزعا   مة نيراً عن نير
وسعى لإدراك العلو   م بهمة لم تفتر
حتى غدا قدة الكما   ل بها هدى المستبصر
يُحيي لنا بكلامه   عهد الإمام (الأشعري)[٢]
ويعيد عصر (الشافعيّ)   بفقهه المستبحر[٣]
في النحو ينشر (سيبويه)   وفي اللسان (الجوهري)[٤]
قصر الزمان على القعو   د بهمة لم تقصر
لا تبتغي إلا السمو   إلى المقام الأفخر
كسرت عراقيل الأمو   ر بنبعة لم تكسر

* * *

---

(١) وادي ابن راشد هو وادي حضرموت الرئيسي نسبةً إلى السلطان عبدالله بن راشد المشهور بعلمه وعدله، والمتوفى سنة ٦١٢هـ.

(٢) الإمام الأشعري (٨٧٤ ـ ٩٣٦م).

(٣) الشافعي هو محمد بن إدريس (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ /٧٦٧ ـ ٨٢٠م) مؤسس المذهب المعروف باسمه أحد المذاهب السنية الأربعة، ولد في غزة ونشأ بمكة، ومات في مصر.

(٤) سيبويه ت ١٧٠ هـ (٧٩٦م) صاحب كتاب «النحو» الشهير. أما الجواهري: فهو محمد حسن باقر ت ١٢٦٦هـ (١٨٤٩م) عاش في النجف، ويعتبر من أهم مراجع الفقه الشيعي الجعفري.

حجاج بيت الله فز   تم بالمنى والمفخر
نلتم مقاصدكم بحج   للذنوب مكفر
عدتم الى الوطن السعيد   بكم بحظ أوفر
حياكم مولاكم   في ربع أُنس مزهر
وجزاكم بثوابه   من غائبين محضر
من آيبين ومن قضوا   نحباً بذاك المهجر
متوسدي المدرات في   ذاك الرغام الأطهر
(سيئون) تبكي ملكها   المنصور أشجع قسور
وتنوح نادبة عليه   بحسرة وتسعر
ويسرها مأتى عليم   ربوعها المتبحر
فتحار مصغية لصو   تيْ نادبٍ ومبشر
أضحت كآدم بين ولـ   ـدي ولده في المحشر
ما شمت أعجب منظراً   في رائعات المنظر
من منظر الصنديد في   وجه عبوس أزهر
ومن ابتسامتها خلا   ل المدمع المتحدر

* * *

حياك ربك يا محمد   بالسلام الأعطر
أهلا وسهلاً جئت من   حج سعيد مُغْمر
متقبل عند الإله   بفضله المتيسر
من قبل احصرت اقتدا   ء بالنبي المحصر
وصدفت فيه عن المرا   د لحكمة لم تنكر
لتعاض عهد العدل من   تلك العهود الجور
وتزور مكة والمدينة   في الأمان المزهر
في عهد سلطان الورى   (عبد العزيز) الأكبر
قد طفت بالبيت العتيق   طواف بر أطهر
وسعيت في برد التقى   بين الصفا والمشعر

وقصدت زمزم كارعاً   من عذبه المتفجر
وشهدت نور الله في   يوم الوقوف الأكبر
حيث استوى الملك المعظم   بالوضيع الأصغر
وقفوا لعزة ربهم   في خشية وتذكر
وحضرت نفس الركب بين   مُحلّقٍ ومُقصر
وتعالي الأصوات بين   مهلل ومكبر
وأردتَ طيبة قبل ذا   لك مهبط الوحي الطري
متنزل الرحمات في   ساحاته والأدور
مستودع السر الإلهي   المبين المضمر
وشهدت تلك القبة الـ   ـخضراء ذات الحرمر
فياضة الأنوار تبر   ق في كريم الجوهر
فتكاد من لألائها   تغتال عين المبصر
زرت النبي وصاحبيـ   ـه بها بكلِ تذكر
وشهدت روضته وقمت بها   حذاء الكوثر
فكأنني بك إذ وقفت   حيال ذاك المنبر
أحرى بقول (أبي عبا   دة) في (الخليفة جعفر)[1]
واليوم بت وتابعو   ك إلى حماك الأزهر
سيما (المساوي) المنتقى   (والمصطفى) المتخير[2]
في نعمة وسلامة   فاحمد إلهك واشكر
واسلم فديتك للعلى   والعلم والخلق السري

(١) لعله يشير إلى قصيدة أبي عبادة البحتري (٢٠٥ ـ ٢٨٤هـ) التي يمدح بها الخليفة المتوكل على الله جعفر العباس التي هنأه فيها بعيد الفطر، ومنها قوله:

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا   لما طلعت من الصفوف وكبروا
فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما   في وسعه لسعى إليك المنبر

(٢) المساوي: يقصد بـه رفيق صباه الأستاذ محمد بن شيخ مساوي ١٣٢١هـ (١٩٠٣م) ـ ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) والذي عمل مدرساً بمدرسة النهضة العلمية بسيئون سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) لـه ديوان مخطوط. أما (المصطفى) فلم نتعرف على المقصود به.

واتل الصلاة معي على بدر الكمال النير
والآل والأصحاب فايحة بمسك أذفر
ما زف شعر العبقري إلى كريم عبقري

الملتقى بك في مصر

قالها بمناسبة عزم الأستاذ العلامة الجليل السيد محمد بن منصور بن علي(١) وفاء على الرجوع إلى وطنه مصر، وألقاها في الحفلة التي أقامها نادي الطلبة بسيئون لوداعه:

أبا أحمد إن الوداع من الشكر وشكرك لا يوفيه بحر من الشعر
فإن خانني في موقف أنت ربه قريض فظني أن لي أوسع العذر
تكاءدني صحراء فضل بعيدة بكل جواد الفكر فيها من الحُضر
وان عناء أن تجاري سؤدداً بفكرك يجري حيث منقطع الفكر
لقد بلغ الأستاذ في المجد رتبة تطول على الشِّعْرىٰ وتهزأ بالغفر(٢)
جرى في المعالي سابقاً ووراءه ألوف المذاكي من توال ومن جسر(٣)
تخبرنا ألقابه عن محامد له ووفاء في علو إلى نصر
فإن يك هذا لفظه وهو آية فإن معانيه تجل عن الحصر
وان تسألوني سادتي عن أخصها فذلكم العلم المخصص بالذكر
فإن تسألوني ما هو العلم قلت هو العلم ثم العلم ثم لا أدري
له نسب في الهاشميين وجهه يلوح به سيماه كالكوكب الدري
على أنه ذاك العصامي لم يكن فخوراً بعظم قد ترمرم في قبر
وأعظم آياتِ العصامي أنه يودع أعظام الجدود إلى الحشر
فيا أيها الأستاذ رفقاً بمن إذا تذكر منأكم غداً دمعه يجري

---

(١) محمد بن منصور بن علي أستاذ أزهري مصري استقدمه إلى سيئون على نفقته السيد أحمد بن عمر ابن يحيى لتدريس علم المنطق والأصول والبلاغة لأولاده.
(٢) الغفر: اسم نجم ومنزله من منازل النجوم وكذلك الشعرى.
(٣) المذاكي جمع مُذكًى وهو الخيل السريعة العدو، المكتملة القوة.

تغلغل منه حبكم ووِدادكم ... لأبعد أعماق الفؤاد إلى السر
يعز علينا أن تفارقنا ولم ... نقم لك من شتى حقوقك بالنزر
وما كان ذا التقصير منا لجهلنا ... بفضلك لكن هذه سنة الدهر
كذا كل شعب في ابتداء نهوضه ... أليس (جمال الدين) عورض في مصر
وإنًا لنأسى أن يكون اجتماعنا ... كتوديع أهل المصر قبلك للنضر
أنعلم الأستاذ فينا بأننا ... لدينا «الغزالي» و«الإمام أبو بكر»
وإنًا على حدَّي وداعك إنما ... نودع شخص العلم من حيث لا ندري
فعفواً فلو أني نظمت نجومها ... لكم لم أزد أن هجت من غيرة البدر
وإن لتقصير المقصر ذلة ... تعوق عن التجويد في النظم والنثر
وردتم علينا في أشد افتقارنا ... إليكم كصوب القطر سح عن القطر
فكم طالب أسمعتموه دروسكم ... فغادرتموه لا يفيق من السكر
فواها ألا ما اغتنمنا مقامكم ... وكنا شفينا الغل من تلكم الخمر
ولكن لنا فيكم بحرمة (أحمد) ... رجاء أكيد أن تعودوا على الإثر
وما (أحمد) إلا وسيلتنا إلى ... أبيه رعاه الله من ولد بر
سنلقاك في (سيئون) ان شاء ربنا ... وإلا فإن الملتقى بك في (مصر)

قد قام للأدب المفدى
في عكاظ سوقه

قالها بمناسبة ظهور مجلة «عكاظ» الأدبية التي يرأس تحريرها السيد الأديب الفاضل عبد الله بن أحمد بن يحيى[١] في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣٤٩هـ الموافق ٧ سبتمبر ١٩٣٠م وقد أرسلها إليه لينشرها في مجلته:

عاد الفؤاد خفوقه ... ماذا تراه يشوقه
نفس تذوب ومدمع ... سح الصبيب دفوقه
ما زال يسكب دره ... حتى استهل عقيقه
فكأنه منحل عقد ... منهما تنسيقه
يا قلب من أهواه حدِّ ... ث عنه أنت رفيقه
ماذا شجاه وما به ... أكوي الهوى وعقيقه
أم ذكره أيام تقضى ... للغرام حقوقه
أيام من ثغر الحبيـ ... ـب صبوحه وغبوقه[٢]
لصق لثغري ثغره ... مزج لريقي ريقه
قلبان قد طبعا على ... حبٍّ أمرَّ وثيقه
فيحبني وأحبه ... ويروقني وأروقه
ويلذني وألذه ... ويذوقني وأذوقه
ونبيت في مغنى من ... اللذات سد طريقه
في معزل عمّا يكدِّ ... ر صفونا ترنيقه

(١) سبق التعريف به.
(٢) غبوقه: الشراب في المساء.

نعطي الغرام عنانه حتى تحطم سوقه
وشكا العناق كلالة مما نبيت فسوقه
ما بيننا فردين إلا في السماء شفيقه
فإذا استحينا منه قلـ ـسنا للغمام يعوقه
حتى بدا بالصبح من ثوب الظلام خروقه
ربّاه ما أحلى الهوى في الوصل طاب رحيقه
وأشفه عند البعا د وقد يلذ حريقه
عزّت لذاذته على من لم يرعه طروقه
لله قلبي ليس يهدأ في الغرام خفوقه
لا يعرف السلوان ما هو بله أين طريقه
نشوان من سكر الغرا م ولا أراه يفيقه
متحمل من عبئه ما الشيم ليس تطيقه
أفما كفته غيومه حتى شجته بروقه
أو ما اغتنى بحبيبه حتى اطّباه عشيقه
لولا التجاهل في الهوى لم يعنني تحقيقه
في القلب مني طهره ومع الشباب فسوقه
فاذا انقضى عصر الشبا ب ولهوه ونزوقه
فسيرعوي زنديقه وسيستوي صديقه
جزى القريض عن المتيم جزله، ورقيقه
لولا تعلله به لقضت عليه علوقه
لكن يشق على سوى نخب الفحول طريقه
وعلى تشاكل صاعديه لجد هَول نيقه
تبت يدا متشاعر يجد القصيد يروقه
فيظل يمسخه لينـ ـفق في الورى مسروقه
والله يشهد أنه لصّ القريض سروقه
فلو ان ثمّ شريعة قطعت يداه وسوقه

خفّض عليك فما استوت بزل الكلام وذوقه
ولديك قيثار القريض فهل بغيرك بوقه
خل الجواد وحضره وعلى العير لحوقه

* * *

قف بي صديقي ساعة عون الصديق صديقه
هل صح ما قد قيل رُدّ ت للأديب حقوقه
وأعيد للآداب ما ضي عصرِها وشروقه
وبدا «عكاظُ» الى الوجو د يزينه تنميقه
من بعد ما نعق الغرا ب به وطال نعيقه
وعفت معالمه وغا ب أنيسه وأنيقه
أحياه عبد الله ذو الشرف المنيف عريقه
خدن المكارم والعلى وأخو الندى وشقيقه
من بيت علم بدره ما انفك منه شروقه
لله همة ماجد نحو الكمال تسوقه
من آل يحيى قد نمت في الطاهرين عروقه
يغشاه مني الدهر من مسك السلام فتيقه
والله آمل أن يسدّ د خطوه توفيقه
حتى يكون لما رجا ه من المنى تصديقه

* * *

قد قام للأدب المفدى في «عكاظ» سوقه
فليحي مرفوع المكا نة وليعز فريقه

وداع ولكن بعده ألف ملتقى!

أرسلها من (بوقور) إلى حضرة السيد العلامة الجليل محمد بن أحمد المحضار[1]:

وداع ولكن بعده ألف ملتقى ... وما ضرَّ بينٌ يعقب الوصل واللقا
تحمل عنا الظاعنون فأودعوا الـ ... ـحشا الوجد والعين المعين المرقرقا
فودعهم والدمع خاف فلم يزل ... به الشجو والتذكار حتى تدفقا!
نعانقهم نبغي السلو وإنما ... سعرنا به جمراً من الشوق محرقا
فلو كان ما أبقى الوداع من الأسى ... على الطود كاد الطود أن يتشققا
فعطفاً أهيل الود أن اصطبارنا ... قليل، وأن القلب خاف وأشفقا
تهيجه ذكرى الليالي التي بها ... تذوق من كأس الصفا ما تذوقا
ليال تزيد الدهر حسناً وبهجةً ... تحل بها صدراً وجيداً ومفرقا
توارى بها روع الفراق فلما بدا ... وأغدق غصن الاجتماع وأورقا
ونيل بها وصل الحبيب وقربه ... ونار بها وجه الزمان وأشرقا
لئن كان جسمي في المنازل موثقاً ... فقلبي حبيبي قد قفا الركب مطلقا
فكم من عيون بعدكم فاض دمعها ... وكم من فؤاد إثركم سار مغبقا
فهل تذكرني مثل ذكراي عيشها ... (.............)والنقا[2]

(١) محمد بن أحمد المحضار (١٢٨٠ - ١٣٤٤هـ /١٨٦١ - ١٩٢٥م)
من فقهاء حضرموت، اشتهر في الوطن والمهجر بالكرم والجاه العريض ورجاحة العقل، هاجر إلى أندونيسيا ومات فيها. وكان وراء بناء العديد من المساجد هناك، له ديوان ضخم في القريض الحميني والصوفيات.

(٢) الفراغ الذي بين أقواس عبارة عن كلمات أكلتها الأرضة من ورق المخطوطة فأوردناها كما كانت في الأصل.

كان بها عنكم حديثاً مطولا ... (....................)
فلا الذكر مملول ولا الشجو مقلع ... ولا العهد منسي (........)
فقل يا حبيبي بل طبيبي ومن به ... شفائي وفي عيني به والله،(....)

شكر

قال يشكر الولد عمر بن عمر بن محمد باكثير لما جمع له بعض أشعاره.

حسن ما نظمت من درر يا (عمر) المكرمات لا فض فوكا
ولعمري أحسنت في جمعك الشعر بضبط كي لا يرى متروكا

إلى الأستاذ الأول

السيد المفضال علوي بن عبدالله السقاف[١] بمناسبة عودته إلى التعليم في المدرسة سنة ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م)

(علويُّ) ما أنسى العهو   د فلست بالناسي جميلك
علّمتني وأفدتني   فالله أسأل أن ينيلك
هذبتني فجميع ما   يعزونه في الفضل لي لك
انبئت أنك قد صرف   ـت لنهضة العرفان نيلك
وقفلت للعهد القديم   وطالما اشتقنا قفولك
فادخل على فرح النفو   س فكلنا يرجو دخولك
وانهض بنهضتنا وسق   لمكارم الأخلاق جيلك
حقق فديتك مأملي   ان الونى لن يستميلك
يا بدر نهضتنا استدم   لا سامها المولى أفولك

(١) علوي بن عبد الله السقاف (١٣١٥هـ - ١٣٩١هـ) (١٨٩٨ - ١٩٧٢م) ولد وعاش في سيئون وتوفي في القاهرة، من كبار علماء حضرموت وقضاتها وفقهائها، كان من أبرز أساتذة مدرسة النهضة العلمية بسيئون تتلمذ على يديه صاحب هذا الديوان والكثير من أبناء جيله وقد ظل باكثير يعتد بأستاذيته له ويذكر أياديه البيضاء على جيله في حضرموت إلى آخر حياته. له كتاب مطبوع عن المساجد، وبعض الشعر.

إيه أختي

إيه أختي نسيت عهد أخيك؟ ... أم تناسيت بيّني بأبيك
فلكم قد طلبت أن تشرحي لي ... حالك اليوم ثم حال بنيك
بكتاب أزجيه إثر كتاب ... أفكتبي إليك لا تأتيك
فاكتبي لي ولو بسطرين يذهب ... ما بقلبي من وحشة وضنيك

ضاق صدري

ضاق صدري والهم بلبل بالي ... وتولى أنسي وقل احتمالي
أين عقلي وأين حلمي؟ ضاعا ... بين حلو المنى ومر المطال
طال ليلي وطال همي وطال الـ ... عتب بيني وبين هذي الليالي
تارة أعزم الرحيل وطوراً ... أنثني راضياً بالحال
ضقت ذرعاً بذي البلاد ومن ضا ... ق بأرض فليعن بالإرتحال
ان لي في الكون الفسيح مجالاً ... ان يكن ضاق في البلاد مجالي

سلام غريق ببحر النوى

وبعث من جاوا إلى سيئون هذه الأبيات يُحيي بها أهله:

سلام على المربع الآهل ... بكل فتى منكم فاضل
فروع الملوك من آل أبي ... كثير أُولي المجد والنائل
سلام غريق ببحر النوى ... تغلغل من موجه الهائل
تداركه الله في غرةٍ ... بلطف فألقاه بالساحل
فبشرى عليّ وبشرى أبي ... سعيد بوصلكم العاجل

تهنئة

قالها مهنئاً بها أخاه عبد القادر بولده (أحمد)، وذلك لما ولد سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م) فأرسلها إليه إلى جاوا:

أهدي إليك تحيتي وسلامي ... وإليك أنهي لوعتي وغرامي
يا سيدي إني إليك لشيق ... ما لاح برق من بهيم ظلام
وأرى خيالك نصب عيني دائماً ... في حالتي تنبُّهي ومنامي
فمتى إلـه الخلق يجمع بيننا ... وينيلنا بالوصل كل مرام

***

هذا وقد منَّ الإله عليكم ... بابن جميل أروع بسام
فليهنكم ولد أغر كأنه ... لما بدا للناس بدر تمام
سموه باسم أبيك (أحمد) رغبة ... في أن يكون كجده القمقام
فاسلم ودم متمتعاً في نعمة ... من حادثات الدهر والأيام

أنتِ باكورتي

قالها لما ولدت له بنت(1)

أيها البنت إن سلمت فأهلاً   أو متِّ فاذهبي بسلام
أنت باكورتي وحسبك فخراً   أن تكوني باكورةً لهمام

(1) يعني بهذين البيتين طفلته من زوجه الأولى، وخاصةً إني قد عرفت من أخيه عمر أن شاعرنا لم يسعد بمقدم هذه الطفلة التي ماتت بعد أيام من ولادتها.

موقف الشعر

بين يدي الرابطة العلوية(1)

حي سادات أجلاء كراما   نهضوا ينحون في المجد الإماما
ساءهم ما شاهدوا في قومهم   فانبروا يعدون جداً واعتزاما
ورأوا داءهمو فرقتهم   تتغشى فوقهم عاماً فعاما
وهي الفُرقة، لا تأتي على   أمةٍ إلا وأولتها انصراما
فاستفاقوا من كرى، واطرحوا   مزمن الأحياء والداء العقاما
وأقاموا لهمو (رابطة)   لا يخافون عليها الانفصاما
حي يا ثغر المعالي أنفساً   لمقامات المعالي تتسامى
حي يا ثغر العلا أفئدة   بك قد جُنت غراماً وهياما
من بني هاشم الغر الألى   لا يرومون سوى المجد مراما
من بني فاطمة الزهراء لن   يرتضوا إلا على الشهب مقاما
هكذا فلتكن الأنفس لا   ترتضي الذل وتأبى أن تضاما
هكذا ينهض في أمته   من بغير المجد أمسى مستهاما
إيه، لا تطربني قيثارة   مثلما يطربني صوت (الوئاما)؟
أنا من تسكرني نغمته   فوق ما تسكر بالراح الندامى
كيف لا، وهو الرسول المجتبى   من إله المجد يقرينا السلاما
ما ترقت أمة إلا به   لم يقم أمر به إلا استقاما
أنا لا أدعو إلى (جنسية)   ان منها للشعوب الانقساما
غير أني تتصباني العلا   وأرى النهضة للعز قواما

(1) الرابطة العلوية: مجلة شهرية أدبية حضرمية كانت تصدر في سنغافورا.

ضجة الأفكار برهان على   أن للشعب حياة وقياما
وجمود الشعب في أخلاقه   يملأ الأحرار هماً واغتماما
دولة الأفكار ما مدت يداً   نحو شعب قاعد إلا وقاما
في سبيل الله أفكار خلت   كست الدنيا جمالاً ونظاما
في سبيل الله أحرار قضوا   في علا الأوطان ما بالوا حماما
ضحوا الأنفس في أمتهم   وعلى الأوهام قد سلوا الحساما
فاستبق يا شعب في سبل العلا   وانصر العلم من الجهل انتقاما
إنه السلم للمجد فمن   يحوه يُعْلِ من المجد السناما
كيمياء العز لولاه لما   ملك(الغرب)من(الشرق)الزماما
وتر الرحمة طاوعني أوقع   عليك اليوم صوتاً للندامى
علّ أن تجري في أكبادهم   نسمة العطف بأنفاس الخزامى
علهم يبكون إخواناً لهم   سامهم دهرهم الموت الزؤاما
يا ظلام الليل كم تسمعنا   بين طياتك أنات يتامى
لا أرى أشقى وأشجى منظراً   من يتامى تتولاهم أيامى
قضي الأمر على كاسبهم   فلقوا من بعد أهوالاً عظاما
لم يخلف لهم إلا الأسى   يتولاهم قعوداً وقياما
من لبيت جثم الفقر به   وارتضى الثكل بأهليه المقاما
من صبيٍ عضه ناب الطوى   وفتاة تسكب الدمع سجاما
بين أم ملكتها حيرة   فتشت ما وجدت خبزاً ولاما
وأدارت مقلتيها حولها   فرأت جيرانها الكل نياما
آه من ذا أرتجي نجدته   وإلام الليل يمتد إلاما
أيها الفجر أما من مطلع   علّنا نفطر كم نبقَى صياما
آه، هب أنك زحزحت الدجى   هل نرى من حولنا إلا الظلاما
آه، لو لم يك أطفالي لقد   كنت أسطيع على الصبر اعتزاما
هبني اسطعت فمن يكفلهم   لي أما أبصر في الناس هماما
لا أرى إلا أناساً من بني   جلدتي يدعوهم الناس كراما

قد يمرون فيغضون، وهل   بيت فقر يستحق الاهتماما

* * *

يا أولي المال أما من رحمة   لإخوانكمو تشفي الأواما
أقلوب بين أحشائكم   أم جلاميد؟ ألم ترعوا ذماما
هل على أنقاض شيخ جائع   يتلوى تستلذون الطعاما
هل لدى أصبية يسهدهم   ساهر الجوع تطيقون المناما[1]
هل تطيقون وأنتم بشر   في وجوه الجوع الصفر ابتساما
أرحموهم وافثأوا لوعتهم   تستديموا نعم الله الجساما
وإذا لم تصلوهم رحمة   فاتقوا الله وخافوا الإنتقاما
دعوة المظلوم سهم نافذ   من سهام الله ما أمضى السهاما
ليت شعري هل يحين النصح في   أمة تعتقد النصح شتاما
ما عساهم أن يقولوا لي سوى   شاعر في خلوات الشعر هاما
غير أن العامل المخلص لا   يبتغي حمداً ولا يحذر ذاما
ويراعي لا يبالي بعد ما   يرتضي، أغضب أو أرضى الأناما

* * *

نهضة الأمجاد هذا موقف   للقريض الحرِّ يهديك السلاما
وقف الشعر يحييك ببـ   ـسمِهِ الضاحك حباً واحتراما
فاركضي في حلبات السبق   ركضاً ولا تتجهي إلّا الأماما
وارقصي في مسمع الكون الندا   تذهبي من سمع الكون الصماما
واصلي أعمالك الغر بلا   ملل واَلله يوليها التماما
وطئي في سُبْلها جمر الغضى   فسيضيءُ لك برداً وسلاما[2]

---

(١) أصبية: جمع صبي

(٢) الغضى: نوع من الشجر شديد اللهب قوي الجذوة.

كوكب ضاء والبلاد ظلام

إلى السلطان علي بن السلطان منصور بن غالب رفعها إليه بمناسبة مشاغلة وقعت من الجند في ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٤٧هـ الموافق ٢٠ سبتمبر ١٩٢٨م.

يا ابن منصور المليك المفدى   يا كريماً قد أنجبته الكرام
يا سليل الملوك من آل بدر   لتكن طوع أمرك الأيام
ولتدم قابضا على دفة الحكم   بأيد وقوة لا ترام
إنما أنت والإله شهيد   كوكب ضاء والبلاد ظلام

***

يا مليك البلاد جمعية العد   ل تحييك ما استهل غمام
وتفديك أن ترى غير ما ير   ضيك من لهم بك الاعتصام
محضتك الود الصحيح وناطت   بك آمالها وهن عظام
تتمنى تقدم الوطن المحـ   ـبوب في عصر أنت فيه الإمام
ما لها غير خدمة الشعب قصد   وسوى خدمة البلاد مرام
ساءها اليوم ما خباه دعاة السوء   كيداً وما خباه الطغام
غرهم حلمك الفسيح المدى فاضـ   ـطجعوا في مهد الغرور وناموا
ما دروا ان للملوك مصالاً   يترك الراسيات وهي رغام(١)
فخذ الحذر والزم الحزم وانشد   منشأ الشعب فهو داء عقام
فالسكوت السكوت ليس بحزم   إن تمادى هذا الكلام الكلام
أرهم من حسام عزمك ما يفـ   ـري هواهم لا فل ذاك الحسام
أدِّبنهم وأغلظ عليهم فإما   أسلسوا فاعف فالكرام كرام

(١) المصال: جمع مصلاة وهي ما يُنصب للحيلة والخداع.

يا علي الخلال عصرك هذا   لك فيه تحية وسلام
مذ توليته تبلج منه   بمحياك ثغره البسام
واستقامت جمعية العدل إذ كا   ن لها منك ناصر مقدام
إن عصراً وليت فيه لعصر   يمرح الحر فيه ليس يضام
فانشر العدل في الأنام وقلم   ظفر الاستبداد فهو السآم
ساوهم في الحقوق إن المساوا   ة أساس يبنى عليها النظام
فبها لا بغيرها سبق الغر   ب ومن قبله ارتقى الإسلام
فامض فيما بدأت فيه ولا تخش   ملاماً فمن هم اللوّام
خلب برق أولياء المخازي   وسحاب المعرقلين جهام

الى صاحب العلم والاقدام

إلى صاحب العلم والإقدام السيد العصامي الهمام محمد صلاح الدين نجل الشيخ عبد الوهاب النجار[1] بمناسبة قدومه إلى سيئون للقيام بمشروعات الماكينات في ١٧ رمضان سنة ١٣٤٧هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٢٦م.

أهلاً وسهلاً بك من قادم   يوقظ من مجتمع نايم
أرسله الله له رحمةً   في حين لا رشد ولا راحم
من حيث لم يهجس به خاطر   ولم يدر في خلد الحالم
سبحان من شاء لنا نهضة   على يدي ذا البطل العالم
إذ (صلاح الدين) مجموعةً   من المزايا في بني آدم
كالزهر الضاحك أخلاقه   وعلمه كالنهر الدائم
وكالحيا الوسمي آدابه   وعزمه كالأبيض الصَّارم
يربي على أخباره خبرة   مهما ابتلاه نظر العاجم
فانزل صلاح الدين في قطرنا   نزول سيب الديمة الساجم
وبث روح العزم في أمةٍ   قاعدها يعثر بالقايم
واشرح لها ان حياة الورى   بالعلم، هذا سنة العالم
وان هذي الأرض لو عمرت   تضحى كروضة الجنة الباسم

---

(١) المؤسف أن هذه الشخصية التي يرحب بها باكثير في هذه القصيدة قد خيبت أمله وأمل أهل حضرموت فيها، فلقد عاد باكثير يهاجمها ضمن مقال بعنوان «حركة الماكينات الدافعة للماء بحضرموت» نشر في افتتاحية العدد السابع من مجلة «التهذيب» الصادر في ١ صفر ١٣٥٠هـ الموافق ١٧ يونيو ١٩٣١م، ويذكر فيه أن هذا الشاب الوافد على حضرموت قد احتال على المواطنين في سيئون وتريم وجمع منهم أموالاً، ووعدهم أن يشتري بها بعض الآلات الحديثة للزراعة من برلين، ثم سافر ولم يرسل شيئاً، بعد أن أكرمه أهل حضرموت بالإقامة في ظهرانيهم قرابة الخمس سنوات.

لعلها تنشر من موتها   لعلها تشعر باللازم
فسر على اسم الله في عونه   سير الحليم الراشد الحازم
وامض إلى القصد وأبْ غانماً   أوبة مفروحٍ به سالم

ذكرى حريضة(1)

هي قصيدة نظمها بحريضة عندما رحل بمعية الشيخ الفاضل محمد بن عوض بافضل وقدمها للسادة أبناء الحبيب أحمد بن حسن العطاس: «إلى الفيحاء قد جُبنا الموامي»:

إلى (الفيحاء) قد جُبنا الموامي   تخب بنا مطايا من غرام
مطايا ان يخالطها كلالٌ   نسأناها بسوط الاعتزام
فتنفر في الفيافي مرقلات   فهل أبصرت منذعر النعام
ترامى فيحهن بنا اطراداً   كأنا البرق يسري في الغمام
مطايا العزم ليست كالمطايا   فتلك ترى الكلال من الجمام
نجايب لا ترى الفلوات إلا   كميل أو كغلوة سهم رامي
وصلنا بالمطي على ذراها   عليها لا على الدبر الدوامي
إلى (الشدفاء) (فالحول) اجتيازاً   (بحوطة أحمد) فإلى (شبام)(2)
(فقطن) ثم باطنة ففضح   فسفح (حريضة) البلد الحرام
فيوم ثم يوم ثم يوم   شممنا فيه أنفاس الخزام
ولاح لنا المعالم جاذبات   عرى الأشواق منا والهيام

---

(1) حريضة: مدينة تاريخية تقع في أول وادي عمد، غرب حضرموت ويوجد بها ضريح العلامة الفقيه أحمد بن حسن العطاس والمقصود بها «الفيحاء» في القصيدة.
وقد علمت من كتاب «مع علي أحمد باكثير» المخطوط في حضرموت للأستاذ عمر بن محمد باكثير أن صاحب هذا الديوان قد ذهب إلى حريضة في شهر جمادي الأول ١٣٤٨هـ الموافق شهر نوفمبر ١٩٢٩م للبحث عن آثار آل أبي كثير في مكتبة السيد الفاضل أحمد بن حسن العطاس.

(2) (الشدفاء) اسم مكان في حضرموت، و(الحول) تعني بلدة (الغرمة) ونواديها و(حوطة أحمد) قرية تقع ما بين (سيئون) و(شبام).

كأنًا دونها إبر تعاني   نزاع المغنطيس إلى الأمام
ولاحت عندما اصفرت ذكاء   كتبرٍ أو ككاس من مدام
لها جذب وللأشواق جذب   عياذك ذا الجلال من اصطدام
إلى أن ضمنا قصر جميل   بديع الشكل مبتكر النظام
له من نفسه أبداً دليل   على بانيه ذي المجد الهمام
شريف المحتد الحسن الذي قد   حوى العلياء في سن الفطَام
وكم دلت كريمات المباني   على بُنّائها الشم الكرام
فسرنا قاصدين إلى قباب   عليها النور باهية وسامي
بحيث القبة الغراء فيْها   سنا قطب الورى (عمر) الإمام
عماد الأولياء ومصطفاهم   بجانب ولده النجب الفخام
وسيدنا (أبي بكر) الذي قد   ترقى في العلى أسنى مقام
وزرنا قبة القطب (الحسين) الذي قد نال غايات المرام
وزرنا قبر مولانا المفدى   رضيع الجود ذي الشرف القدام
حليف المجد محمود السجايا   كأن خلاقه صفو المدام
شهاب الدين (أحمد) ذي المعالي فتى العزمات والهمم العظام
أحق أن من دوني ضريحاً   ثواه ذلك الرجل العصامي
أحق أن هذا القبر فيه   ثوى بحر من العرفان طامي
وهل من طبق الدنيا صدى مجده يحويه باع من رغام
وقفت أمامه والجفن باك   يجاري دمعه والقلب دامي
أسفت لأنني لم أحظ يوماً   بلثم من يديه واستلام
فإن يك فاتني هذا فحسبي   وقوفي في مآثره الفخام
و(فاضلة) الحبيب لها معان   أحس لها دبيباً في عظامي
فألثم كُتْبها سفراً فسفراً   بشوق والتياع واحترام
(لعلي [illegible] بحرّ وجهي   مكاناً مسه) كف الإمام
[illegible] مما   شفى نفسي وخفف من أوامي
[illegible]جل [illegible]   فتى [illegible]صب العلياء حامي

ذكرى حريضة[1]

هي قصيدة نظمها بحريضة عندما رحل بمعية الشيخ الفاضل محمد بن عوض بافضل وقدمها للسادة أبناء الحبيب أحمد بن حسن العطاس: «إلى الفيحاء قد جُبنا الموامي»:

إلى (الفيحاء) قد جُبنا الموامي   تخب بنا مطايا من غرام
مطايا ان يخالطها كلالٌ   نسأناها بسوط الاعتزام
فتنفر في الفيافي مرقلات   فهل أبصرت منذعر النعام
ترامى فيحهن بنا اطراداً   كأنا البرق يسري في الغمام
مطايا العزم ليست كالمطايا   فتلك ترى الكلال من الجمام
نجايب لا ترى الفلوات إلا   كميل أو كغلوة سهم رامي
وصلنا بالمطي على ذراها   عليها لا على الدبر الدوامي
إلى (الشدفاء) (فالحول) اجتيازاً   (بحوطة أحمد) فإلى (شبام)[2]
(فقطن) ثم باطنة ففضح   فسفح (حريضة) البلد الحرام
فيوم ثم يوم ثم يوم   شممنا فيه أنفاس الخزام
ولاح لنا المعالم جاذبات   عرى الأشواق منا والهيام

(1) حريضة: مدينة تاريخية تقع في أول وادي عمد، غرب حضرموت ويوجد بها ضريح العلامة الفقيه أحمد بن حسن العطاس والمقصود بها «الفيحاء» في القصيدة.
وقد علمت من كتاب «مع علي أحمد باكثير» المخطوط في حضرموت للأستاذ عمر بن محمد بن محمد باكثير أن صاحب هذا الديوان قد ذهب إلى حريضة في شهر جمادي الأول ١٣٤٨هـ الموافق شهر نوفمبر ١٩٢٩م للبحث عن آثار آل أبي كثير في مكتبة السيد الفاضل أحمد بن حسن العطاس.
(2) (الشدفاء) اسم مكان في حضرموت، و(الحول) تعني بلدة (الغرمة) ونواديها و(حوطة أحمد) قرية تقع ما بين (سيئون) و(شبام).

كأنّا دونها إبر تعاني   نزاع المغنطيس إلى الأمام
ولاحت عندما اصفرت ذكاء   كتبرٍ أو ككاس من مدام
لها جذب وللأشواق جذب   عياذك ذا الجلال من اصطدام
إلى أن ضمنا قصر جميل   بديع الشكل مبتكر النظام
له من نفسه أبداً دليل   على بانيه ذي المجد الهمام
شريف المحتد الحسن الذي قد   حوى العلياء في سن الفطام
وكم دلت كريمات المباني   على بُنّائها الشم الكرام
فسرنا قاصدين إلى قباب   عليها النور باهية وسامي
بحيث القبة الغراء فيْها   سنا قطب الورى (عمر) الإمام
عماد الأولياء ومصطفاهم   بجانب ولده النجب الفخام
وسيدنا (أبي بكر) الذي قد   ترقى في العلى أسنى مقام
وزرنا قبة القطب (الحسين) الذي قد نال غايات المرام
وزرنا قبر مولانا المفدى   رضيع الجود ذي الشرف القدام
حليف المجد محمود السجايا   كأن خلاقه صفو المدام
شهاب الدين (أحمد) ذي المعالي فتى العزمات والهمم العظام
أحق أن من دوني ضريحاً   ثواه ذلك الرجل العصامي
أحق أن هذا القبر فيه   ثوى بحر من العرفان طامي
وهل من طبق الدنيا صدى مجده يحويه باع من رغام
وقفت أمامه والجفن باك   يجاري دمعه والقلب دامي
أسفت لأنني لم أحظ يوماً   بلثم من يديه واستلام
فإن يك فاتني هذا فحسبي   وقوفي في مآثره الفخام
و(فاضلة) الحبيب لها معان   أحس لها دبيباً في عظامي
فألثم كُتَبها سفراً فسفراً   بشوق والتياع واحترام
(لعلي أن أمس بِحرٍّ وجهي   مكاناً مسه) كف الإمام
ولقيا ولده النجباء مما   شفى نفسي وخفف من أوامي
عليّ نجل أحمد ذي المعالي   فتى لمناصب العلياء حامي

وسيدي الحسين بن علي   لطيف الذوق محترم المقام
كذلك صنوه السامي عليّ   فتى لمفاصل الآداب رامي
ونجل عقيل صاحبه الذي قد   تحلى بالتقى والإعتصام
وفينا خله الوافي أبو فضل   الحاسي به أصفى مدام
فنشكرهم على ما قابلونا   به من كل لطف وابتسام
حللنا في منازلهم فذقنا   نعيم العيش في ظل السلام
وأنسونا منازلنا كأنّا   نزلنا عندهم دار المقام
وأسقونا المعارف في كؤوس   من الأسفار جاماً بعد جام
فنشكرهم وأهليهم جميعاً   ونقرئهم سلاماً في الختام

وداع رمضان

قالها بمناسبة وداع شهر الصيام وإقبال عيد الفطر المبارك وقد نشرتها صحيفة «التهذيب» في عددها الثالث الصادر في سيئون يوم الأربعاء ١ شوال ١٣٤٩هـ الموافق ١٨ فبراير ١٩٣١م.

شهر الهدى ودعت غير مذمم   فاذهب وعد في قابل في أنعم
واشهد لدى الرحمن بالحسنى لمن   صاموا وقاموك ابتغاء المغنم
هجروا ملذات النفوس وأملوا   رضوان مولاها الأعز الأكرم
لله درك من طبيب حاذق   داوى الضمائر من سقام المأثم
كم رضت من خلق شموس نافر   وألنت عن قلب شديد صلدم
ولكم عطفت على ضعيف إرادة   فرددته كالسيف في يمنى الكمي
أكرم بدين أنت من أركانه   يهدي النفوس إلى السبيل الأقوم
يعنى بتهذيب النفوس ولم يدع   ترفيه هذا الهيكل المتجسم
ظلم الحنيفة من يقول تعبد   محض صيامك لا لمعنى قيم
الله أعلى حكمة مما به   نطقوا وأوسع رحمة بالمسلم
عجباً يكون الفقه أكبر عائق   عن فهم ناموس الإله الأعظم
علق الجمود به فضر وربما   قذر الإناء فعاب لذ المطعم
كيف النهوض لأمة منكودة   منيت ديانتها بسوء تفهم
تلكم نواميس الرقي صريحة   نطقت بها آي الكتاب المُحكم
فهم النبي وصحبه أسرارها   فتقدموا في المجد أيّ تقدم
وتوثبت بهم العزائم للعلى   حتى وطئن بهم جبين المرزم
فتحوا ممالك قيصر وقضوا على   سلطان كسرى بالقضاء المبرم
ذاكم دم الإسلام يجري فيهم   دم عزة وتغلب وتكرم

ما عاق خلف المسلمين عن اقتفا　　آثار صدرهم سوى فقر الدم
تلك الشهامة ما مؤجج نارها　　أو ليس ثبت القلب ذا أنف صمي
أو ليس مضطرم الجوانح همة　　في صدره كبرى العزايم ترتمي
ذاكم محمد النبي المصطفى　　خير البرية ذو الخلاق الأعظم
أفليس في أخلاقه وفعاله　　ذكرى وأحسن قدوة للمسلم

* * *

شهر الهدى أشكو إليك تأخراً　　من أهل دينك في الزمان المعلم
فيه الشعوب استيقظت من نومها　　فمتى هبوب المسلمين النوم
جهلوا حقائق دينهم فتأخروا　　وجنوا عليه العار إذ بهم رمي
وعلا العدى درجا ففازوا بالمنى　　من سلم الإسلام أعلى سلم
فإذا مع القوم الكرام قشوره　　وإذا اللباب مع العدو الأظلم

* * *

لله قلبي ما يساور من جوى　　وأسى على الإسلام يوهي أعظمي
أتُراك يا شهر الفضايل شافياً　　دائي الدوي ومشكياً لتظلمي
العيد أقبل والهموم نوازع　　قلبي وترشقني الخطوب بأسهم
قلبي به شطران بين المسلمين على العموم وبين شعبي الحضرمي
آسى على مجد لهم متهدم　　ويحي لذاك السؤدد المتهدم
وأذوب من أسف لشعب جامد　　متخبط في ليل جهل مظلم
متعسف في دينه متعصب　　لقديمه متفرق متقسم
لبسوا الثياب كأنهن وذائل　　لكن خلعن على ذئاب ضرّم
الحر مضطهد لديهم مبغض　　والوغد جد محبب ومعظم

* * *

يا صاحب القلب الشقي بقومه　　أرفق بهذا القلب لا يتحطم
أخدم بلادك ما استطعت وكل إلى　　مولاك ما لم تستطعه وسلم
ومن الجفا أن لا تحيي قبل ما　　حياك وجه العيد مبتسم الفم
ذر بعض همك واقض بعض حقوقه　　لا بد للمحزون من متبسم

واقذف شياطين الهموم بأكؤس　　تنقض من (براد) شاي معلم
مخضرة جنباته فاعجب له　　من جنة خضراء فوق جهنم
شاي يفوز من احتساه بلثمة　　من كل خد في الحسان ومبسم
من (باسلامهْ) مثل ذوب التبر أو　　من (مشعبي) مثل لون العندم[1]
مثل الطُلا في لونها وصفائها　　ونقيضها في رجسها والمأثم
لا نقص عنها فيه إلا أنه　　حلو المذاق وانه لم يحرم
فاشربه متخذاً نديمك كل ذي　　أدب متى نادمته لا تندم
واستحضر(التهذيب)واصطبحا على　　عدد جديد بالطرايف منعم
(قبس تألق من سنا حرية　　سيكون فاتحة النهوض الحضرمي)[2]

---

(١) (باسلامه) و(مشعبي): نوعان من الشاي في حضرموت ينسبان إلى موردبهما.

(٢) افتتح مجلد أعداد السنة الأولى من مجلة «التهذيب» المطبوعة في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) على النحو التالي:

«س: ما هو التهذيب؟

«جـ: قبس تألق من سنا حرية　　سيكون فاتحة النهوض الحضرمي»

«علي باكثير»

دمعان في الأجفان يزدحمان[1]

دمعان في الأجفان يزدحمان   دمع السرور ومدمع الأحزان
يترقرقان كأنما قد آليا   أن لا يزالا الدهر يعتلجان
يتماسكان كأنما قد أشفقا   أن يعزما التوديع للأجفان
يترددان على المحاجر ذاهبين   وراجعين تردد الحيران
حتى إذا نفدت قوى صبريهما   واستسلما للسكب والهملان
جريا على الخدين يستبقان   ذا بارد شَبِمٌ وهذا آني
وكأنْ ترى من جدولين تجاورا   عذب وملح ليس يمتزجان
كم في الطبيعة من بدايع حكمة   أشكالها في العالم الإنساني

* * *

مالي وما لتفلسفي هل غرني   أن القريض الحر طوع بناني
أؤوى وأُزجي ما أشاء كما أشا   من غُر ألفاظ وغُر معاني
أنسيت أني واقف في موقف   فيه مسرات النفوس دواني
فيه يحيينا الوجودُ بأسره   طلْق المحيا ضاحك الأسنان
نضت الطبيعةُ فيه برقع وجهها   عن بارعٍ من حسنها فتان
وتجردت تُبدي المحاسن كلها   حتى الذي وصف الفتى (الذبْياني)[2]

* * *

(١) من سياق القصيدة نفهم أنه نظمها بمناسبة عودة أخيه الأستاذ الشيخ عمر أحمد باكثير من أندونيسيا وفرحته لم تكتمل لوفاة أخويها «محمد» و«عبد القادر» منذ فترة قريبة.

(٢) نرى أنه يشير هنا إلى قصيدة النابغة الذبياني المكشوفة التي يصف فيها مفاتن جسد «المتجردة» زوجة النعمان بن المنذر.

من لي بعين عشيقها (ابن خفاجة)   فأرى محاسن في حشا الكتمان
لا تستوي النظرات نظرة ساذج   ليست كنظرة شاعر وجداني
فالشاعر الخنذيذ دان عنده   مسرى النجوم ومسبح الحيتان
يوحي له الشيء البسيط معانياً   غراء خافية على الأذهان
ويكاد يخترق الغيوب وحجبها   أما تلألأ فكره النوراني

* * *

الروض أصبح للأحبة ملتقى   أو ما رأيت تعانق الأغصان
وتشقق الأكمام في أزهارها   عن أبيض يققٍ وأحمر قاني
فكأنهن الغيد في شتى الحلي   يرفلن من مثنى ومن وجدان
غار البهار به لحسن وروده   فتكاد تسمع زفرة الغيران
والجُلّنار يكاد تلهب ناره   لولا الندى لأتى على الأفنان
وشقائق النعمان تقطر من دم   فكأنها تبكي على النعمان
وإذا رأيت الماء في خلجانه   خلت اللُجين يسيل في الخلجان
حتى إذا عمل الأصيل الكيميا   رد اللُجين بها إلى عقيان
وإذا مررت على الغدير قرأت في   ديباجتيه دلائل الإيمان
كُتبت بأيدي الريح آياً فُصلت   للناظرين جلية البرهان
والطير تبتدر الغصون شواجياً   فيها النفوس بأطرب الألحان
من علَّم الطير التمايل للغنا   والطير رجْعَ مثالث ومثاني
سبحان من خلق الوجود وصاغه   في قالب الإبداع والإتقان
ما أحكم الطوسي في تحقيقه   أن ليس أبدع منه في الإمكان[1]
أعطى المهيمن كل شيء خلقه   عن قدرة عظمى وعن إحسان

* * *

صور من الأحلام ما أنا فيه أم   شهد الفؤاد وشاهد العينان

(١) الطوسي: لعله خير من يمكن أن يقصده الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ /١١١١م) ولد بالقرب من طوس (خراسان) له «إحياء علوم الدين» و«المنقذ من الضلال»، و«تهافت الفلاسفة»، متكلم، وفقيه متصوف لقب بحجة الإسلام.

علّ السُّوفِسْطائِيُّ أبصر ما أرى ... فارتاب في الأعراض والأعيان
إني أرى ملك الجمال بجنده ... وعديده استولى على الأكوان
وأفاض في شرق البلاد وغربها ... سيلاً من الأنوار كالطوفان
يأتي القلوب فما يغادر ذا أسىً ... إلا شفاه فعاد وهو الهاني
اللون نور وهو روح بارد ... يلج القلوب بغير ما استئذان
وله شذا يُحيي النفوس كأنه ... نفس أتى من جنة الرضوان
قلّبت في أرجائها طرفي فما ... أبصرتُ غير حدائق وجنان
حال الوجود حدائقاً خضراء أم ... جمعت نواحي الكون في بستان
والخلق شرب فيه والبشرى طِلاً ... والسُعد ساقٍ والكؤوس أماني

* * *

يا ابن الميامين الكرام انزل على ... فرح النفوس وقرة الأعيان
وأذن لوجهك أن يشع ضياؤه ... فيبدد الأحزان باللمعان
واقبل يسير هناء صنوك عاذراً ... إن الأسى صدأ على الأذهان
ما كان أهنأ ملتقانا لو خلا ... مما يثير كوامن الأشجان
لولا حديث مصابنا (بمحمد) ... لملأت أقطار البلاد تهاني
وهززت أعطاف الزمان بفذة ... تذر العيون حواسد الآذان
يتساءل الأدباء من هو ربها ... في كل يوم بلاغة وبيان
فأنا الفتى السباق ليس بخائني ... فرسي إذا أحضرته لرهان
أجريه مشدود العنان فلو طغى ... عني لراح ضحيّة الريان
ولربما أرخيت بعض عنانه ... فاستن يشأى الريح في الميدان
إنّا ليؤسفنا قدومك بعد ما ... خلت المنازل من أخينا الثاني
ولى الردى (بمحمد) المحسان ... من بعد (عبد القادر) الرباني
ملآن من علم تلاه لطيه ... ملآن من بر ومن إحسان
لَلّه بيت خرَّ بدرُ سمائه ... فهوى له النجمان يقتفيان
أودت كهولته فأودت أمه ... وشبابه فبكته في الريعان

ما ضر ذاك البيت غير كماله ... رحماك رب من الكمال الجاني

* * *

يا أيها الدهر الخؤون ألا اتئد ... فيما تصرفه من الحدثان
إن كنت تبغي أن تلين قناتنا ... فقد التمست العي من سحبان
تأبى لنا الأحساب غير تجلد ... عند الخطوب يروع ذا الشنآن
وإذا انتقصت اليوم من أطرافنا ... فالسيف لا يفضي إلى نقصان
نحن الجواهر في الأنام وبيتنا ... بيت العلا والمجد بحر عُمان
هل عافه عن قذفه بيتيمة ... غواصة من غابر الأزمان

* * *

قدم الحِمى (عمر) فأمل يائس ... واسترَّ محزون وأطلق عاني
واستضحكت حور الجنان فروحت ... بسماتها الأكباد بالسلوان
هذا الزمان أتى إلينا تائباً ... مما جنى فاعجب لتوب الجاني
ما زال يدعونا لنغفر ذنبه ... حتى قدمت ففاز بالغفران
ما للمصاب بأكبر الأخوان ... إلا كالسرور بأكرم الأخوان
لو جاء معتذراً بغيرك شافعاً ... لارتد ثالث خيبة وهوان
أهلاً بمقدمك العزيز ومرحباً ... بأوان وصلك فهو خير أوان
أهلاً بركب قادم فيهم أخي ... (عمر) الأبر وفيهم، اللدتان
لدتاي في زمن الدراسة نغتدي ... ونروح بين تشمر وتواني
طوراً نؤلف حلقة العلماء في ... ناد وطوراً ملعب الصبيان

* * *

يا حبذا يوم تبسم ثغره ... بلقاك عن در وعن مرجان
طيّ الوجود به كطي صحيفة ... السعد والإقبال كالعنوان
وزهت به سيئون في حلل البها ... وتبرجت في منظر فتان
فرحا ببر من بنيها ماجد ... متنور حرٍ أغر يماني
وسليل من عرف الأنام كماله ... وخلاله من شاسع أو داني
لا يسألون غنى بشهرة ذكره ... عنه إذا ما قيل نجل فلان

هذا أخوك وهذه أفراحه   جعلت تنازعه إلى الطيران
كم هدّ أضلعه نواك وشاقه   لقياك شوق الماء للظمآن
ما ضمه للأنس بعدك مجلس   إلا وأنك لست فيه شجاني
فاقدر سرور أخٍ بوصل أخ له   بعد النوى حظيا بحسن تداني
أرأيت أجمل في المناظر قط من   (أخوين مشتاقين يلتقيان)
فانزل على المغنى السعيد ممتعاً   بالأهل والأخوان والخلان
وارجع كعهدك للعلوم ودرسها   بالجد والتشمير والإتقان
واحمل يراعك فالذكاء حري بأن   تسمو به يوماً على الأقران
وإذا رزقت خليقة وقادة   فلتطمئن فكل قاص داني
وأعن أخاك على تميم غاية   محمودة في الله والأوطان
ما كان أجدرني بإحراز المنى   فيما قصدت وأنت من أعواني
وسميك ابن محمد ناهيك من   ندس على كسب العلى معوان[1]
واغنم سماع دروس عمك إنه   بحر من التحقيق والعرفان[2]
قد عاد للتدريس مبتغياً به   نفع الورى وهداية الحيران
فالله متّعنا بطول بقائه   كهفاً لنا ولسائر الأخوان
ويعيذنا بعريض جاه المصطفى   من كل فاجعة من الحدثان
ويديم أنس عشيرنا بقدومكم   في بهجة وسعادة وأمان
حتى نرى آي السرور خوالداً   فينا وتنسخ آية الأحزان

(١) سميه: هو الأستاذ عمر محمد باكثير ابن عمهما، وهو شاعر مجيد، وله ديوان غير مطبوع، ورفيق صبا صاحب هذا الديوان، يعيش إلى اليوم في سيئون.
(٢) يقصد به عمه الأستاذ العلامة الشيخ محمد بن محمد باكثير - سبقت ترجمته.

الأخلاق عند الغزالي

هو اسم كتاب ظهر حديثاً للدكتور زكي مبارك أحدث في العالم العلمي ضجة عظيمة ونال به مؤلفه الشهادة العالمية من الجامعة المصرية. وقد نظم هذه الأبيات بعد الاطلاع عليه في ١٧ ربيع الأول ١٣٤٦هـ /١٤ ديسمبر ١٩٢٧م

إنما المجد للنفوس الأبية   ولشعب لا يرتضي بالدنية
لمن يؤثر الحقائق بيضا   ء على ترهاته الوهمية
لمن أبصر الرشاد عياناً   فتنحى عن سبله الفيهبية
ولمن ودع الخيالات والأو   هام من كل شرعةٍ جاهلية
ولمن نزه الشريعة مما   وصمتها به الفئات الغوية
ولمن يزرع الفضائل في الأنـ   ـفس حباً في الله والأنسنية
ولمن أسس المدارس في الأو   طان حباً في الله والوطنية
ولمن سل في محاربة الأو   هام أمضى سيوفه القلمية
ولمن حارب الرذائل فعلاً   ومقالاً بعزمةٍ حيدرية
ولمن يرشد العوام حيارى   في صحارى الجهالة الرملية
ولمن جاء بالنفوس رضاها   في سبيل المصالح الخيرية
قسماً بالإله لا خير في المر   ء إذا لم تهزه أريحية
من إذا رأى منكراً مال عنه   معرضاً غير شاعر بالرزية
وإذا ساد قومه ليل خطب   نام نومة الغلام الهنية
وإذا عض جاره ناب جوع   قال أبشر برتبة الزهدية
وإذا ما اعتدى عليه ظلوم   قال في الصبر سنة نبوية
وإذا خرق الشريعة غاوٍ   قال سلم لمن حوى القطبية
من هو القطب؟ ليت شعري أغاوٍ   عابث بالقواعد الشرعية

لا وربي إن التلاعب بالشر   ع دليل الحماقة الباقلية
إن دين الإسلام أعلى مقاماً   أن يسوق الورى إلى الهمجية

* * *

ثُم عج باللوم العنيف على قو   م أطاعوا أهواء إبليسية
أنكروا الرسل والديانات جهلاً   أو قضاء لشهوة نفسية
وانبروا يركضون في حلبا   ت الفسق ركضاً بدعوة الحرية
قل لهم يا أغرار مهلاً   ففي ذلكم الدرب هوة أبدية
لا تظنوا حرية أن تباروا   في مهاوي أهواء شيطانية
ليس حرية جحود الديانات   ونبذ الشريعة الأحمدية
ليس حرية إباحة ما حرمه   في الكتاب رب البرية
ليس حرية ركونك للهـ   ـو وحل السلاسل الذهبية
إنها ليست التردد في الحا   نات للشرب بكرة وعشية
إنها ليست التظاهر بالفحشاء   من كل فاجر وزرية
إنها ليست العدول عن الإسلام   دين السعادة الأبدية
إنها ليست التفرنج والميل   إلى كل عادة غربية
إنها نصرة الحقائق والصد   ق والشجاعة الأدبية
إن دين الإسلام أفضل دين   إنه دين للفطرة البشرية
حي دينا يرضي الإله ويرضي الـ   ـعقل والإتحاد والوطنية
حي ديناً يرضي الحقائق والعلم   ويرضي الحرية الفكرية
حي ديناً يرضي الجزاء ويرضي الـ   ـبعث يرضي العوالم الروحية
حي ديناً يرضي التقدم والمجد   ويرضي العمران والمدنية
حي ديناً يرضي الإخاء والمساوا   ة مقيماً أعلى ديمقراطية
حي ديناً يدعو الأنام إلى البر   وكل الفضائل الخلقية
حي ديناً على العفاف بناه   يهدم الفحش والصفات الدنية
هو حقاً دين السعادة في الدنيا   ودين السعادة الأخروية

لأصف لكم كنهه فأذنوا لي   أن أقول - الخلاصة الفلسفية

* * *

ولقد راعني نداء عال   لست أنسى إلى الممات دويَّه
فتبينته وقلبي ينزو   نزوات سريعة قلقيَّه
خائفاً ان تكون دعوة غر   طائش - لا تدبُّر لا رويه
فينا الحق فينا ينادي: عيون الأنام عني عميه
آثروني فإنني (ضالة المؤ   من) إن شاء يطيع نبيه
آثروني على التقاليد والعادات   من كل بدعة حمقيه
آثروني ولو على قادة العلم   مرماهمو بالسويه
آثروني على الألى طلبوني   من مصيب ومخطىء في القضيه

* * *

وهنا القلب سر العين قرت   بكتاب (الأخلاق) خير الهدية
حي سفر (الأخلاق عند الغزالي)   (للزكي المبارك) الألمعية
فهو سفر قد خطه قلم الحق   بحبر الحرية ، الفكرية
فلتطب يا زكي نفساً بمسعا   ك وإن أغضت العقول الغبية
ما على الشمس من جحود سناها   وهي تلقي الأشعة النورية
فاحتسب عند ربك الأجر يا من   هو فخر الشبيبة المصرية

* * *

يا أبا حامد أطل علينا   ساعة من ستورك الغيبية
يا أبا حامد عتاب جميل   من فتى فيك مخلص للنية
يا أبا حامد تعالت عن الأخطاء   والهوى ذات ربي العلية
يا أبا حامد مدار رحى وهـ   ـلك في الأخلاق (الرؤى الوهمية)
خسر العلم منك أفضل هادٍ   مذ تشربت (نزعة صوفية)
يا أبا حامد الغزالي قد أخطأ   ت فهم (الفضائل السلبية)
إنما سنها النبي لتلطيـ   ـف الطباع المنهومة السبعية
لا لوأد الحياة وأد الغيور   ابنته في عصوره الوحشية

لا لقبر العمران في هذه الدنـ ـيا وإبطال حكمة أزلية
لا لقتل النفوس قبل فناها فيسعى لهذه الأمنية
الكتاب العزيز يشهد إذ الله خصه لكل مزية
وحديث الرسول فيه بلاغ للذي يحقر (القوى العقلية)
(ليس ديناً ما لم يؤيده عقل) مثلما جاء عن رسول البرية
يا أبا حامد عليك سلام عاطر عرفه، وأزكى تحية
لك ملء القلوب ودٌ وإجلا لٌ وحبٌ وحرمةٌ أبدية
حجة الدين إنك المثل الأعلى لقول الحق بالحرية
قد تركت التقليد إذ هو قيد ليس ترضى به العقول القوية
وركبت الشكوك وهي سبيل لليقين بحجة قطعية
قد درست العلوم علماً فعلماً ودرست العقائد الدينية
مقدماً لا يلوي بعزمك جبن ففي الحرب لا يبالي المنية
وكتبت المؤلفات بإخلا ص وصدق رأي وحسن طوية
غير أن الإنسان ليس بمعصو م وإن حاز رتبة (العالمية)
ولقد قال مالك كلكم غير النبي مأخوذ عليه سوية
وإذا ما كبا الجواد فهل تذ هب عنه فضيلة السبقية
أنت من أنت؟ أنت بدر منير غشيته سحابة صيفية
فثناء عليك ما دامت الأنصار للحق لابدون (نقية)
وثناء على مناقبك الغر اء في خدمة العلوم السنية
وثناء على الذين اقتفوا نهجك في نصر الحق بالتبعية
(كابن رشيد) و(كابن تيمية) و(الماز ني) و(ابن قيم الجوزية)
وسواهم من صحبك من العلماء الأعزاء أهل الذكاء والألمعية
وكهذا الشاب (الذكي) الذي يقفوك في كل غيرة وحمية
فسلام عليكما ما جرى ذكركما في المعاهد العلمية
لزكي فلتحفظ الفضل في إيـ ـثاره الحق كل نفس زكية

نيل مقصود

وقال عفا الله عنه مستبشراً بنيل مقصود له يوم السبت ١٣ رمضان ١٣٤١هـ الموافق ٢٨ إبريل ١٩٢٣م.

أتى القصد والسول والمرتجى وقد كان مستبعداً عنا
فهنأت نفسي بنيل المنى فلا تعلم النفس ما أخفيا(١)

(١) تعليقاً على هذا الشطر كتب شاعرنا الآتي: «أي ما أخفى من قرة أعين، ففي هذا الشطر الاقتباس والاكتفاء، وهما من محاسن البديع.»

من حضرموت إلى لوزان(1)

إلى مقام أمير البيان شكيب أرسلان(2)

تحية لعميد العرب حاميها … من حضرموت إلى لوزان أهديها
من حضرموت إلى لوزان أبعثها … يعطر الكون بالأنفاس جاديها
يا ليت شعري أتلك النفس عالمة … أنّا على الشحط بالأرواح نفديها
وأنها كلما خطت يراعتها … من حكمة فبأغلى الدر نشريها
فما ابنة الكرم في الراووق صافية … يوماً بأطيب منها عند حاسيها
نظل نرقب صحف البرد علّ بها … يتيمة كاتبُ الإسلام منشيها
إذا رأيت مقالاً للأمير بها … أشمّه، ثم أتلوه، فألقيها
من يشرب الخمر صرفاً لم يلذ له … مزيجها الدهر مهما رق صافيها

* * *

يا ليت (مصر) تواتيني فتسلفني … بيان (حافظها) في شعر (شوقيها)
عساي أبلغ من مدح الأمير منى … في النفس قد طالما اشتدت دواعيها
عليّ أوفي امتداح البعض من شيم … لكاتب الشرق فاتت جهد وصفيها
ما إن ترى في سماء المجد منقبة … إلا رأيت (شكيباً) واحداً فيها
عرفت بعض مزاياه فعذت به … عن أن أروم له في الناس تشبيها

* * *

---

(1) نعتقد أن هذه من أواخر قصائد الشاعر في حضرموت وقد بعث بها إلى مجلة «الفتح»، ونشرتها في عدد ٢٩٦ /٥صفر ١٣٥١هـ الموافق ٩ يونيو ١٩٣٢م.

(2) الأمير شكيب أرسلان (١٨٧١ ـ ١٩٤٦م) ولد في الشويفات بلبنان وعاش فترة طويلة في لوزان بسويسرا، من رجال الفكر والسياسة العربية الإسلامية البارزين، أديب وشاعر ومؤرخ، عضو في الجمعية الآسيوية، وفي المجمع العلمي بدمشق، من كتبه «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية»، و«حاضر العالم الإسلامي»، كتب في العديد من المجلات أهمها مجلة «الفتح»

يا كاتب الشرق ما أحلى كلامك في … مسامع العرب تهديها وتشجيها
تقضي بقرب أمانيها فتضحكها … حيناً، وتشرح مهواها فتبكيها
يراعة لك ما زالت تقلبها … بين الرجاء وبين الخوف ترميها
كذاك من يبتغي إنهاض أمته … من الحضيض إلى أعلى مراقيها
سبحان من أودع العود النحيل قوى … تهتز من صولها الدنيا وما فيها
لما كتبت بياناً عن طرابلس … وما به أمة الطليان تمنيها
وجسم القلم الأعلى فظائعهم … فصار سامعها في حكم رائيها
تحركت أمم الإسلام واضطربت … ومادت الأرض أو كادت رواسيها
واستيقظ الشرق مذعوراً يصيح ألا … من للحقوق وللآداب يحميها؟
يا رُب مرهفة الحدين ماضية … أرسلتها في شعوب الغرب تفريها
جدعت آنف أعداء السلام بها … ودون ماضيك قد فلت مواضيها
شتان ما سيف حق ذاد عن شرف … وسيف بغي على الأحياء يرديها
كشفت عن خطط سوأى مدبرة … للمسلمين رؤوس الكفر تنويها
وإذ درت أن ما تخفيه بان بما … كتبته وسدى ضاعت مساعيها
ملت تدابير مكر بان خافيها … فصارحت بالتي من قبل تطويها
قامت فرنسا بتنصير البرابر لم … تراع حرية كانت تراعيها
ما بالها وهي لا دينية برزت … تفوح كثلكةً نثني بواطيها؟!
الله أكبر بان الحق وانكشفت … غشاوة الجهل وانجابت دياجيها
لم يرحم القوم إنسانية برزت … شعثاء غبراء قد سالت مآقيها
بشر جميع وحوش الأرض قاطبة … بأن دولتها قد قام كرسيها!
هل تحسب الله رب الناس تاركها … تعيث في الناس ظلماً لا يجازيها
أم أنسيت دولة الإسلام إذ خفقت … أعلامها فوق قاصيها ودانيها
العدل يدعمها والعلم يكنفها … والدين يحرسها والذكر يحميها
لا ملكها عن سبيل العدل مال بها … ولم يكن أيدها بالبغي يغريها
لما ملكنا عدلنا في ممالكنا … فكان مسلمها شروى مجوسيها
ولم تملنا عن الإنصاف قوتنا … وضعف جيراننا أو خصب أرضيها

تلك المفاخر تتلو - وهي صامتة - على العصور لنا مدحاً وتنويها!

* * *

الحمد لله. ما في حكمه شطط في كل أفعاله خير يماشيها
هذي المصائب من أعدائنا عبر كبرى لأمتنا أضحت تزكيها
فلم تكن نقماً لكنها نعم ذكرن حاضرها أيام ماضيها
قد نبهت بصداها قلب غافلها وأيقظت من كراها عين غافيها

* * *

شكيب. يا كاتب الدهر الكبير ويا لسان أمة طه في دعاويها
تذود عن دينها ذوداً وتنصرها وتستميت دفاعاً عن أراضيها
فيك (العروبية) العليا ممثلة فإنك المثل الأعلى لأهليها
إذا كتبت كتبت الحق تعضده آيات ربك في أسمى مجاليها
إن (الحنيفية) البيضاء تشكر ما أوليتها من منى ما زلت تسديها
ما زلت تدفع عنها كل عادية حتى قضت نحبها غيظاً أعاديها
فأضحت اليوم تشنا كل طائفة شنأتها وتوالي من تواليها
قضى أمانيَّك الرحمن من بطل أقصى أمانيه في أقصى أمانيها!
وجُلّ ما تبتغيه في حياتك أن ينشق عن بدرها الوهاج داجيها
والمسلمون جميعاً يحمدونك في مواقف لك لا تُرقى مراقيها
تلك المواقف غرَّاءً محجلةً سينقضي الجيل بعد الجيل يرويها

* * *

يا من له سورة في المجد ساطعة ما في البسيطة من مجد يدانيها
ويا هماماً لو ان العرب ليس لها إلا (شكيباً) همام كان يكفيها
عَنت لطاعته غُلب البيان فما تلقى بلاغته نداً يباريها
وفي السياسة قد بز الفطاحل إذ أوحت إليه بباديها وخافيها
فما تلا عربيٌّ من بدائعه إلا تبيّنت في أعطافه تيها!
لبيك يا بطل الدنيا وكاتبها لما دعوت وإيهاً فخرنا إيها
إيهاً فتى الشرق سيرها جوائب في الدنيا ونبه بني الإسلام تنبيها؟

وخذ إليك قياد العُرْب وامشِ بها إلى الحياة سبيلاً فاز ماشيها
فإن يمناك ان تمسك قيادتها فالقوس قد ألقيت في كف باريها
بشرى لنا أمة الهادي بكوكبة تقفو خطاك إلى ما كان يحييها
لا بد من نهضة للعرب ثانية تعنو إليها من الدنيا نواصيها!
فلن تفلّ جيوش أنت قائدها ولن تضلّ سراة أنت هاديها!

بَابُ الرِّثَاء

نهاية القرب التنائي

رثاء الشيخ المرحوم القاضي الفاضل عبد القادر بن محمد بن محمد بارجاء رحمه الله:

رسم الحياة إلى عفاء ... ونهاية القرب التنائي
هذا البقاء إلى فنا ... ء والفناء إلى بقاء
وإذا تأملت الزما ... ن رأيته دور الرحاء
جائيه للماضي صدىً ... فتشابها ماض وجائي
يفضي المساء إلى صبا ... ح والصباح إلى المساء
النور بالظلماء والظلـ ... ـماء تنسخ بالضياء
والدهر يطرد بعضه ... بعضاً كدفاعات ماء
لا بل كسحب الصيف تر ... كض في ميادين السماء
لا بل كمر السهم لا بل ... كانبعاث الكهرباء
والأرض دائرة تدو ... ر ولا يرى الدوران رائي
أخفاه فرط الدور في ... سعة الفضاء اللانهائي
سبحان مولانا المنز ... ه عن شريك أو كفاء
في كل شيء آية ... دلت عليه بلا امتراء
سبحان من كتب القضا ... ء على البرية بالفناء
سبحانه رباً تفرد ... بالكمال وبالبقاء
قل للمدل بنفسه ... أو لست من طين وماء
بم تستطيل على الورى ... أبما ببطنك من خراء
تعس امرؤ قد جاذب الـ ... ـمولى رداء الكبرياء

* * *

في كل مطلع شارق　　عظة لذي لام وباء
هذا يفر وذا يذل　　وذو النعيم وذو الشقاء
في مسرح الدنيا ترى　　شتى المناظر والمرائي
والموت أبلغ واعظ　　وسكوته أعلى نداء
فهو الأكابر والأصا　　غر والملوك على السواء
أين الأكاسر والقيا　　صر أين أرباب الثراء
أين الجبابرة العظا　　م أولو الحمية والإباء
أين الذين جيوشهم　　غصت بهم رُحب الفضاء
أين الفلاسفة الكبار　　(وأين عزّ الأنبياء)
ذهبوا كأن لم يُخلقوا　　وغدوا كمنثور الهباء
وعفوا كأنهمو سطو　　ر كتابة في لوح ماء
بالأمس قد رزىء الحمى　　بأخي المروءة والوفاء
وأجاب قاضي الأرض　　دعوة ربه قاضي السماء
فمضى كريم العرض　　ينفح دونه طيب الثناء
يا عين جودي بالدْمو　　ع على الفقيه (أبي رجاء)
حلف الأمانة والديا　　نة والطهارة والنقاء
تبكيه مرتبة القضا　　ء فويح مرتبة القضاء
تبكيه كتب الفقه بالد　　مع المورد بالدماء
تبكيه عين الشعر إذ　　فحمت به كبد العلاء
وإذا شكا قلب العلا　　إغرورقت مُقل الرثاء
لله يا بن محمّد　　ما ضم قبرك من سناء
من يتل مصرعه العزا　　ء فما ليومك من عزاء

* * *

صبر الكرام بني أبيه　　فما لحيٍ من بقاء
والموت يقصي كل دا　　ن حين يدني كل نائي
لا بد من هذا المصير　　إلى نعيم أو شقاء

لو أن لامرىء الخلود　　لكان خير الأنبياء
رحم المهيمن من إذا　　وكزت أخاه يد القضاء
أخفى أساه ولم يبينه　　لذي عداء أو طلاء
أنفاً لرحمة ذي الولا　　ء ومن شماتة ذي العداء
وإذا تغلبه البكاء　　بكاه في نزل خلاء
فإذا ألمّ به صديق　　قال (ما بي من بكاء)
لكن ذهبت لأرتدي　　فطرفت عيني بالرداء
فاستوجبوا بالصبر عند　　الله موفور الجزاء
وإذا الأمور لها مدى　　فالبدء عين الإنتهاء

إنما العمر ساعة

في رثاء صديق:

كل آتٍ وإن تناءى قريب   فاستعدوا لموتكم وأجيبوا
إنما العمر ساعة تنقضي   شمس يوم تبدو ضحىً وتغيب
شمّروا في السرى وأنتم شباب   قبل أن يلحق الشباب مشيب
واعملوا كل صالح قبل أن يأ   تي يوم فيه الوليد يشيب
والزّواد الزّواد والعدة العدّة   من قبل أن تحل الخطوب
قبل أن تهجم المنايا عليكم   قبل أن يعظم البكا والنحيب
واغنموا من أنفاسكم ما تبقّى   واعلموا أن ما مضى لا يؤوب
واذكروا الله كل طرفة عين   فبذكراه تطمئن القلوب
والـذي لا يـضـيـع أنـفـاسـه الـغـرّاء في لهـوه فـذاك الـلـبـيـب
ولقد فاز من يموت عفيفاً   وخفيفاً ما أثقلته الذنوب
مستطاب الفؤاد طالب علم   طاهر النفس ليس فيه عيوب
كالفقيد المرحوم صاحبنا (أحمد)   ذاك الشهم الكريم النجيب
الزكي الذكي والسيد القمـ   ـقام والطيب الأبيُّ الأريب
السني الوفي الطاهر الأسـ   ـرار والكيّس الفطين الأديب
وسمير العلوم وهو صغير   وقرين العُلى الحسيب النسيب

* * *

يا فقيد الشباب والعلى دمعي   بعد ما قد رحلت عني صبيب
وبكاك (المنهاج) و(النهج) و(المنـ   ـهج) ثم (الفتوح) و(التقريب)[1]

(١) المنهاج: كتاب في الفقه للإمام النووي.
النهج: لعله يقصد به «نهج البلاغة» للإمام علي بن أبي طالب أو كتاب «نهج اختصار المنهج» في الفقه.=

وكذا (بنت مالك) و(شذور)   وكذا (القطر) دمعه مسكوب[2]
ما لهذا الزمان يقرِّب من نكـ   ـره فيه ويُبعد المحبوب؟

= المنهج: كتاب اختصار المنهاج، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.
الفتوح: لعله يقصد بها كتب: «فتح المعين» للمنيباري و«فتح الجواد» لابن حجر و«فتح الرحمن» لأحمد بن سميط.
التقريب: كتاب في الفقه، ولعله يقصد «الغاية والتقريب» لأبي شجاع.

(٢) بنت مالك: «ألفية ابن مالك» في النحو.
الشذور: «شذور الذهب» في النحو لابن هشام.
القطر: «قطر الندى» في النحو لابن هشام أيضاً.

رجع الحنين من الحزين إلى الحزين[1]

عزاء كريم (بني الحامد)   وإن عظم الرزء في الوالد
فإن المنية ترمي البريـ   ـة أجمع عن وتر واحد
تصول على الحدث الميكر   وتفتك بالكاعب الناهد
فما أوسع الموت من منهل   وما أشجع الخلق من وارد
ومن خبر الدهر في حالتيه   الكبر من حكمة الحاكم
وإن أباكم مضى راشداً   إلى الله بورك من راشد
لئن كان ولّى فما رام عن   مكان له في فم الحامد
وإن ثناء الورى خير ما   يُعزّى به ولد الماجد
فقدتُ أبي فانثنت لي عُلا   ه حتى كأني لست بالفاقد
فلا تأسفن على غائب   بغر مساعيه كالشاهد
كلا أبوينا يعيشان في   جنان من السؤدد الخالد
ومن عاش من بعده (صالح)   فما لحدته يد اللاحد
فتى قد تقبل شعر (الرضي)   ومعرفة (المرتضى) الناقد
سيبني له شرفاً طارفاً   يضاف إلى الشرف التالد

***

وماذا يقول فتى واجد   لذي حزن مثله واجد
سوى أن يرقرق دمع الجفو   ن حزناً على الأخ والوالد
على أن صبر الفتى خير ما   تدرع في خطبة الجاهد
ترفع عن رحمات الصديق   وعن نظر الشامت الحاسد
وما هان ذو خلد ذايب   إذا كان ذا مدمع جامد
فدم أبداً يا صديق العُلى   لهن وللأدب الواقد

(١) يتضح لنا من سياق القصيدة أنه يرثي بها والد صديقه الشاعر صالح علي الحامد.

عبرات القريض

على صاحب المجد الطويل العريض

السيد الجليل المحسن النبيل عمر بن محمد بن عمر السقاف[1] المتوفى سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) رحمة الله عليه ورضوانه:

نعى ناعٍ: مات أكرم سيدٍ   فصحت به: لا كان نجل محمد
وأمسى فؤادي بين تصديق نعيه   وتكذيبه في حيرةٍ وتردد
ولولا ظلام الكون بعد وفاته   لما زلت في ليلٍ من الشك أسود
وإذ حصحص الحق الذي لا يرده   دعاء تناهت حسرتي وتنهدي
وماتت أمانٍ كُنْتُ أرجو تمامها   على يد أسمى مصلحٍ ومجدّد
ترجّيتُه أن يُصلح الوطن الذي   توعده رسل الردى بتهدد
أقامت به الفوضى فالظلم نعرةٌ   به، ويسود الناس باغٍ ومعتدي
فوا أسفي إن كان من سوء حظه   وفاة مُرقيه الكريم الممجّد
فتبّاً لدهر ليس يرعى لذي العُلا   عهوداً ويبقى للكرام بمرصد
إذا ما شكونا من زمان لجوره   أتانا الذي يتلو بأشقى وأنكد
وما الموت إن فكّرتُ إلا استراحة   لمن مات من هذا العناء المردد
ومن خَبَرَ الأيام هان مصابها   عليه، ومن يركن إلى الحزن يزدد
وهذي المنايا دائرات على الورى   عساكرها فيهم تروح وتغتدي
وأقرب ما يستقبل المرء موته   فإن لم يك قد جاء فكأن قدِ
وما المرء في دنياه إلا كحالم   عديم الهدى حتى، إذا مات يهتد
وما المرء في مسعاه إلا مقيّد   وإن ظن جهلاً أنه مطلق اليدِ
يقبل فلا يمسي ويرقد آمناً   فيُقضى، ولم يحسبه آخر مرقِد

(١) سبق ترجمته

رزئنا بمن لو كان يجدي افتداؤه   فأية نفسٍ حرة ليس تفتدي؟

بمن كان في ثغر المعالي ابتسامة   وخالاً زها في خدها المتورّد

بمن يتلقى بالبشاشة والرضى   وجزل العطا من أمّ مغناة يجتدي

هلموا جماهير العفاة أرثكم   وأسكبْ عليكم عبرة المتودّد!

فقدّمتمو موت الحياة بفقد من   حييتم بعيش تحت رحماه أرغد

فمن بعد فرع الأكرمين جدوده   يروي نداه غلة العاطش الصدي؟

ومن للأيامى واليتامى يغيثهم   إذا مُنيوا من دهرهم بمُهدّدي؟

ومَنْ لبيوت العلم يحمي ذمارها   يشرّد جيش الجهل كل مشرِّد

ومن يتولّى (نهضة العلم) بعده   (بسيئون) يُعليها على كل معهد

فيا عمر السَّقاف غبت ولم تغب   أياديك عنا - يا أياديه اخلدي!

فقيد العُلى، هل بعد موتك يُرتجى   منال لجدوى، أو بلوغ لمقصد؟

* * *

حزين عليك اليوم ذا الشعب كله   لأنك مولاه بغير تردّد

فما صادح الأطيار في رأدة الضُحى   سوى شاعر يبكيك في كل مشهد

وليس خرير الماء إلا بكاءه   على من حكاه الماء في خُلقه الندي

وما قطرات الطلّ في زَهر الرُّبى   سوى عبرات كالجمان المنضد

وهذا سكون الليل في وحشة الدجى   ينمُّ عن استيحاش كل موحّد

تلبد هذا الغيم في كبد السما   دليل على همٍّ الورى المتلبّد

تصاعدت الأنفاس من زفراتهم   فسدّت عِنان الأفق من كل مزبد

ولا غرو أن تذري الدموع من الأسى   - على من به نامت - جفون مُسهّد

ينوح عليك المجد يا خير قدوةٍ   لمن شاء أن يقفوك فيه ويقتدي

وما المجد إلا مشعل أنت نوره   وهل يغتنى عن نوره المتوقد؟

مشيت إلى العلياء مشية باسل   يرى مورد الأخطار أعذب مورد

عنا لعلاك الحاسدون وأذعنوا   وحسب الفتى فضلاً شهادة حُسَّد

وما أنت ممن سوّد المال قدره   فيطغى صنيع الفاحش المتشدد

ولكن أبو الشبلين ساد بشيمةٍ   وأعمال صدق بله أشرف محتد

وهمة نفس لا انتهاء لحدها   وباتر عزم كالحسام المجرد

وفكرٌ بعيد غوره واسع المدى   ورأيٌ يحل المشكلات مسدّد

ومن لم يسوده جميل فعاله   فما مال قارون له بمسوّد

عليك سلام الله يا خير راحل   إلى الملأ الأعلى بأشرف مقعد

هنيئاً لك المحيا مضى في سعادة   وبرٍ وإحسانٍ ومجدٍ مخلّد

وطابت لك الأخرى لدى مالك الورى   بما لك في سُبل المكارم من يد

لئن كنت في سُبل المكارم أوحداً   فما أنت في سُبل المنايا بأوحد

وإن تكُ في أفضال ربك مفرداً   فما أنت في عدل الإله بمفرد

سلام على البدر المنير الذي هوى   وكان مضيئاً كل قفر وفدفد

سلام على النجم الرفيع الذي خوى   وكان يباري في العلا كل فرقد

سلام على ذاك المُحيّا ونوره   سلام على ذاك الضجيع الموسّد

سلام على خدن المروءة والتقى   سلام على شخص الكمال المجسّد

سلام على تلك الثمانين إنها   مضت في فخار واعتلاء وسؤدد

فصبراً بني السقاف إن أباكمو   لحيٌّ بآثارٍ له في تجدد

ولم يقض شخص أنتم خلفاؤه   تنوبون عنه في الفخار المؤبّد

وما مات من أبقاكمو خلفاً له   تسيرون في ذاك السبيل الممهد

إلى المجد، نحو العز، في سلّم العُلى،   على سنن التقوى، لأشرف مقصد

بقيتم لجيد الدهر عقداً منظماً   يضيء سناه عن يتيم وعسجد

ودمتم ودام المجد يكسو نفوسكم   أعزّ رداء فوق أكرم مَرتدي

والدي

ولو كان أشراف من في الدنى	لأشرافهم من حمام فِدا
لكان اللئام فداء الكرام	وكان الكرام فدا (أحمدا)!

النائحة

رثى بها والده الفاضل الكريم الماجد العظيم صاحب الأيادي البيضاء على وطنه وأمته الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد باكثير المتوفى ليلة الثلاثاء ١٠ رجب سنة ١٣٤٣هـ الموافق ٣ فبراير ١٩٢٥م (بسيئون) رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى آمين.

عبثاً تحاول أن تكف الأدمعا	وأبوك أمسى راحلاً مستودعا!
كيف السلو وما مررت بموضع	إلا وساد الحزن ذاك الموضعا؟
كيف السلو وما مررت بمعدم	إلا وأجهش بالبكاء مرجّعا؟
كيف العزاء وقد تغيب بدرنا	عنا فأمسى الكون أسود أسفعا
يا عين جودي بالدموع على امرىء	جعل العصيّ من المكارم طيعا
ما زال مذ بلغ الفطام مُشمراً	للمجد صباً بالمكارم مولعا
حتى حوت كل الفخار وأذعنت	لعلاه أصحاب المعالي ركّعا!
ما مات حتى مات كل فضيلة	واهتز عرش سمائها وتزعزعا

* * *

يا طالب الإحسان يختبط الفلا	أقصر فهذا السعي صار مضيّعا
قد مات من يهب الجزيل فلا تكن	في البذل بعد (أبي كثير) مطمعا
كنز العديم وموئل المسكين من	عم الشيوخ عطاؤه والرضّعا
جم المفاخر والمناقب (أحمد) الـ	ـمفضال من حاز الفخار منوّعا
كرماً يفيض على الأنام وهمّة	شمّاء لا ترضى المجرة موضعا
علماً وحلماً واسعين وسؤدداً	يطأ السهى وتواضعاً وترفّعا
أخلاقه تحكي النسيم طلاقة	وصفاته تُعيي البليغ المُصقعا
فات المذاكي في ميادين العُلى	سبقاً وغادرها روازح ظُلّعا

حسد الزمان على الورى أيّامه   فابتزّها منهم ولم يتورّعا
يا غافلاً والدهر ليس بغافل   إعلم بأن لكل نفس مصرعا
يا من يدل على الزمان ببأسه   هل غادرت (كسرى) المنون و(تبّعا)؟
يا لابساً حللاً يجر ذيولها   تيهاً ستلبس حلةً لن تنزعا
يا راكباً متن الذنوب مطيةً   قد آن منها أن تتوب وتقلعا
أعدد لموتك عدة فلقد يجي   ما ليس في نفس الفتى متوقعا
وأفِق من النوم العميق أما ترى   سمر المنايا فوق رأسك شُرعا
فلتقصرنّ عن الغواية إنها   ندم عواقبها وبئست مهيعا
تباً لهذا الدهر يصرع أهله   ويحلهم بعد القصور البلقعا
والموت غاية كل ذي روح فلا   يذر البزاة ولا الغراب الأبقعا
لا يرحم الرّجل الضعيف قوي ولا   يخشى الكميَّ مدججاً ومقنّعا[1]
والعيش أضيق ضيّق لكن إذا   ما حلّت الآمالُ فيه توسّعا
ولقد سئمت العيش في الدنيا وما   جاوَزْتُ بعدُ ثلاث عَشَر وأربعا
عِلماً بأن سرورها لا ينتهي   إلا إلى حزن يهدُّ الأضلعا
آهٍ! وهل يجدي إذا حل القضا   آهٍ! وما يجديك أن تتوجعا؟

* * *

غاض النّدى في ليلة منحوسة   يا ليت فجر صباحها لم يطلعا
بتنا بها متململين وسُهَّدا   كحلت مآقينا ذُعافاً منقعا
أغشى عليَّ من الأسى فيها وما اسـ   ـتيقظت إلا باكياً مسترجعا
الله أكبر يا لها من فجعةٍ   أمسى لها خد المكارم أضرعا
وتنكرت في عيني الدنيا فها   أنا ذا أراها كالخيال مودّعا!
الله أكبر يا لتلك مصيبة   كادت لها الأجبال أن تتصدّعا
الله أكبر يا لتلك رزيّة   كادت لها الأكباد أن تتقطعا
خطب ألم بقلب كل موحّد   لله ما أنكى المصاب وأوجعا

---

(١) الكمي: الشجاع

حزن تساوى الناس فيه كأنه   جود الفقيد على الأنام موزّعا
ما خص ذا الرزء الأقارب وحدهم   لكنه عم الخلائق أجمعا!
أبكي على كهف الورى أبكي على   من كان يُحْرَ يمينه متدفّعا
أبكي المهيب المرتجى أبكي الذي   ألف الندى مذ كان طفلاً مرضعا
شهد الزمان بفضله وبشكره   نطق الأنام منظّما ومسجّعا
أبكي التقيَّ الأريحيَّ الجهبذ الـ   ـندس الزكي المستطاب الأروعا
يسعى لحاجات الأنام بقوله   وبفعله وببذله متبرّعا
يقضي الليالي قائماً متعبداً   متهجداً متنفلاً متطوعا
ويرتل القرآن في غسق الدُجى   شجواً يُسيل من المصيخ الأدمعا!
يمشي على الغبراء هوناً خائفاً   من ربه متواضعاً متخشعا
فقد السخاء بفقده وبموته   ركنا المكارم والتقى انهدّا معا!
من لليتامى والأرامل بعده   تلفي لديه قِرىً وجوداً أوسعا
من للفقير يلج في الشكوى فينـ   ـقذه من البلوى وينفي المطمعا
يا فوزه يمضي إلى الرحمان في   جنات عدن بالرضى متمتعا
قد فارق الدنيا وجاور بعدها   رباً كريماً يستجيب لمن دعا
لما دعا داعي الحمام أجب نِدا الـ   ـباري أبا الأيتام لبّى مسرعا
واختار دار الخلد من دار الفنا   فمضى سليم العرض ليس مرقّعا
ومضى طليقاً وجهه مستيقناً   أن ليس للإنسان إلا ما سعى
فالله يرحمه ويجعل قبره   روضاً فسيحاً مستنيراً ممرعا
ويذيقه برد الرضى ويحله   في جنّة الفردوس قصراً أرفعا
يا أيها الشّهم الكريم المنتمى   من كان حصناً للأنام ومفزعا
ماذا دهاك من الحوادث فاغتدى   طود العُلى من هوله متضعضعا
لهفي عليك! فبعد مصرعك الندى   حتى القيامة بابه لن يُقرعا
حملوك فوق رقابهم ومضوا فلم   يكُ غير لمحة بارق أو أسرعا
حتى أتوا تلك القبور فأضجعو   ك على الثرى وهنأت ثَمّ المضجعا
وإذا التراب أُهيل فوقك أيقنوا   بعد احتجابك فيه أن لن ترجعا

فبكوا بكاء الثاكلات على محيّا   ك الكريم فلم يُبقّوا مدمعا
يا ويحهم دفنوا المكارم في الثرى   والجود والمجد التليد الأتلعا
أعزز علي بأن أراك مكفناً   أعزز علي بأن أراك مشيّعا
فكأنني بك في احتضارك قائلاً:   لا رب غير اللّه ترفع أصبعا!
أعزز علي بأن أراك موسّداً   تحت التراب وراحلاً ما ودعا
أنَّى لعينك أن ترى ما حلَّ بي!   أنّى لأذنِك أن تصيخ وتسمعا!
أعزز علي بأن أراك حللت بعـ   ـد الدور قبراً في فلاة بلقعا
أعزز علي بأن أرى من يأملو   نك ساهرين أسىً وكانوا هجّعا
لكن في موت النبي محمد   من أسوة لذوي المصائب مقنعا
فاذهب عليك سلام ربك دائماً   يغشى ثراك عبيره متضوّعا
صلى عليك الله بعد محمد   والآل والصحب الأكارم أجمعا
٧٧ ما أجهش الباكي وخاطب نفسه: عبثاً تحاول أن تكف الأدمعا

بين يدي رسم السيد المرحوم المنفلوطي

لبّيك صورة مصطفى لطفي   مثّلتِ لي ما فيه من لطف
مثّلتِ لي ما فيه من شيمٍ   غرّاء تهدي الطرف للعرف
قـد كُـنـتُ أرغـب أن أراه فـلما جئـت جئـت بمـنـيـة الـطّرف
الله أكبر ذي المروءة والـ   إحسان والرحمى مع العطف
هذي المهابة في ملامحه   تنبيك عن قلبٍ له عَفٍّ
إني لأحمل في هواه جوىً   وصبابةً جلّت عن الوصف
والقلب في شوقٍ إليه كشو   ق الإلف قد أُجلي عن الإلف
كم قد تمنيت اللقاء ولـ   ـكن الردى أقصاه بالخطف
قصف الردى من قدّهِ غصناً   يا ويحه من ذلك القصف
عصفت به ريح المنون فيا   للّه ما لاقى من العصف
لو يفتدى من حتفه أحدٌ   لفديته من ذلك الحتف

***

عجباً أصير إليه في عجلٍ   وأخالني أعدو إلى خلفي!!
إني لأضمر في الفؤادِ له   حباً ويدري الله ما أُخفي
لا غرو أن يهوى فتىً كرُمت   أخلاقه كالروضة الأنف
أملى صنوف الكتب ما زلقت   قدماه منها قطّ في صنف
من ذلك (العبرات) مجلبة   للخير مبعثة على العطف
فلكم ألان بفرط رقتها   من صم أفئدة لنا غلف
وكتابه (النظرات) خير جليـ   ـس للأديب وكل ذي ظَرف
فاقطف ثماراً منه يانعةً   ما بين منتثر وملتفّ
والثم زهوراً فيه باسمة   ريّا العبير شميمة العَرف

عظة الشباب

مرثيته في أخيه محمد بن أحمد باكثير

قال يرثي أخاه الراحل إلى رحمة ربه في ١٦ شوال سنة ١٣٤٩هـ الموافق ٥ مارس ١٩٣١م رحم الله شبابه وأسكنه الفردوس:

حكم الردى لا يمكن استئنافه ... ساوت به شرط الورى أشرافه
سيان بين يديه لابس تاجِه ... وأخو القطيع يهمه تطوافه
فإذا أناخ فما يُنَهْنِهُ أمره ... تهديده كلا ولا استعطافه؟
ومتى ألمَّ فكل حول عنده ... ضعف وإحثاث له إيقافه
هذا أخي ابن أبي الكريم (محمد) ... اليوم مأتمه وأمس زفافه
عظة الشباب فهل فتى من بعده ... يزهوه فاحم شعره وغدافه
عبر الحياة وجسرها في لحظة ... كالسهم شد مريره قذافه
لم ينض أثواب الصبا أو يقض من ... أوطاره ما حاكه استشرافه
ولّى فمربعه يذوب عليه من ... حزن ويندب فقده مصطافه
في ذمة الله الكريم شبابه ... وندى يديه وبره وعفافه

* * *

ماذا أقول حيال خطب (محمد) ... إلا مقالاً قاله أسلافه
عظم المصاب فما قريض بالغ ... كنهاً له وتفاوتت أكنافه
وفتى القريض أخوه إلا أنه ... قد خانه في خطبه إسعافه
يا راحم البؤساء قد صيغت من ... الرحمات حبة قلبه وشغافه
لا تنأ يا غصن الإهاب المكتسي ... برد الصبى موشية أفوافه
فلأرثينك ما حييت بمدمعٍ ... في الغيب ليس بجامد وكّافه
أقصيه عن نظر الشمات وأتقي ... جزع الصديق تهزه أعطافه
لا يفرحنَّ أخو الشمات فإننا ... درّ بطون نسائنا أصدافه

ليسل (عُمان) هل أضر ببحرها ... نهاب ذاك الدّرّ أو غرافه
زعموا بأنك مُتَّ ميتة مُبتلى ... بالجنّ والحق المبين خلافه
الجن أحقر أن يروع فتى ندا ... ماه الأماثل والكتاب سلافه
نظفت ملابسه وعفت نفسه ... فهو النقي خلاقه ولحافه
لا يعجبنك من فتى أثوابه ... حتى تكون كريمة أعطافه
لكنه أجل تلفع بردتي ... داء به بردت له أطرافه
داء على الطب القديم تعقدت ... أسبابه فتباينت أوصافه
حتى أتى الطب الحديث فجدّ في ... تحليله حتى انجلت أسدافه
وأبان (علم النفس) خافي أمره ... من بعد ما أعيى النهى استعرافه
عمر الفتى بحر شواطئه الردى ... وهو السفينة والمنى مجدافه
والموت جبار يصول على الورى ... فتكاً وأمراض الورى أسيافه
فاذهب كما ذهب الربيع تفوح في ... أنقاضه عبّاقة أعرافه
فقد استرحت من الحياة وبؤسها ... وأمنت مما تتقي وتخافه
ولقيت رَبًّا لا يضام نزيله ... والله أكرم أن يهان ضيافه
والق (الحسين) قرير عين عنده ... حوراء همّ فؤادها ألطافه
ثم الصلاة على النبي محمد ... ما سال من دمع الأسى ذرّافه
والآل والصحب الذين شعارهم ... (طوبى لمن حُسن العزا تجفافه)

إن حزني في ازدياد

تذييل لأبيات قالها بعضهم مرثياً بعض الشبان الأدباء:

لفقد فتى ترعرع في المعالي — له نظر إلى العليا طويل
له أدبٌ له لطفٌ وظرفٌ — له سمت، له خلق نبيل
له حسن التواضع لا يقال — ولا كبر بعطفيه يميل
له عينان واسعتان فيها — لبعد طموحه أبداً دليل
مضى لم يقض أوطار التصابي — ولم تُجرر له فيه ذيول
فذي آماله تبكي عليه — وهذي عرسه حيرى ذهول
وذي إخوانه يبكون حزناً — عليه وذا الصديق وذا الخليل
وهذي (الحوطة) الفيحاء ثكلى — عليه دمعها أبداً يسيل[1]
ألا يا عزرائيل قصفت غصناً — ألا أبقيته يا عزرائيل
ألا أبقيته للمجد يرقى — مدارجه إلى حيث الفحول
ألا أبقيته للصحب ردءاً — لهم من كهفه ظل ظليل
أأحمد إن حزني في ازدياد — عليك ووطؤه وطء ثقيل
بعيد بعدك السلوان عني — فليس له إلى قلبي سبيل
وكيف سلو قلبي عنك يوماً — وعن عيني خيالك لا يزول؟!

(١) الحوطة: قرية تقع بين شبام وسيئون تنسب إلى مؤسسها أحمد بن زين الحبشي علاّمة ومتصوف عاش في القرن الثاني عشر الهجري، له عدة رسائل في الفقه والتصوف.

أعينيَّ جودا

فجعت «سيئون» بموت فقيدها وفقيد العلم والآداب السيد المفضال الكبير شيخ بن محمد بن حسين الحبشي[1] في جمادي الأولى ١٣٤٨هـ الموافق أكتوبر ١٩٢٩م فرثاه صاحب الديوان بهذه القصيدة.

نعاء فتى الحيِّ رئباله — فبالأمس أزمع ترحاله
قضى نحبه بعد أن قد قضى — من السؤدد المحض آماله
وما فارق العيش حتى استعا — ض حياةً من الذكر أبقى له
وما أسلم الروح حتى — تحقق وعد الإله وأفضاله
رجونا له خير ما يرتجى — لبر تُقبل أفعاله
فقد جاز سن الثمانين في — تقى لا تفارق أحواله
فذاق الحياة وبأساءها — وعانى الزمان وأهواله
فلم يتزعزع لأحداثه — وهن يزعزعن أجباله
ولم يثنه عن طلاب المكا — رم تحميله الدهر أثقاله
فسار إلى قصده واثقاً — بنجح يكلل أعماله
سما في سماء العلا حيث لا — يرام وأوغل إيغاله
إلى أن تناهى إلى مستوى — من المجد أعجز أبطاله
تمنى السها لو ترى بدرها — أخاه وأنجمها آله
هنالك عانته عين الزما — ن ويقتل ذو العين أنجاله
رماه فلما رآه ردياً — أسال من الدمع هطاله

(١) شيخ بن محمد بن حسين الحبشي (١٢٦٤ - ١٣٤٨ / ١٨٤٩ - ١٩٢٩م) شاعر وفقيه ورحالة عاش حياته متنقلاً بين حضرموت والحجاز وأندونيسيا.

إن حزني في ازدياد

تذييل لأبيات قالها بعضهم مرثياً بعض الشبان الأدباء:

لقد فتى ترعرع في المعالي ... له نظر إلى العليا طويل
له أدبٌ له لطفٌ وظرفٌ ... له سمت، له خلق نبيل
له حسن التواضع لا يقال ... ولا كبر بعطفيه يميل
له عينان واسعتان فيها ... لبعد طموحه أبداً دليل
مضى لم يقض أوطار التصابي ... ولم تُجرر له فيه ذيول
فذي آماله تبكي عليه ... وهذي عرسه حيرى ذهول
وذي إخوانه يبكون حزناً ... عليه وذا الصديق وذا الخليل
وهذي (الحوطة) الفيحاء ثكلى ... عليه دمعها أبداً يسيل[1]
ألا يا عزرائيل قصفت غصناً ... ألا أبقيته يا عزرائيل
ألا أبقيته للمجد يرقى ... مدارجه إلى حيث الفحول
ألا أبقيته للصحب رداءاً ... لهم من كهفه ظل ظليل
أأحمد إن حزني في ازدياد ... عليك ووطؤه وطء ثقيل
بعيد بعدك السلوان عني ... فليس له إلى قلبي سبيل
وكيف سلو قلبي عنك يوماً ... وعن عيني خيالك لا يزول؟!

(١) الحوطة: قرية تقع بين شبام وسيئون تنسب إلى مؤسسها أحمد بن زين الحبشي علامة ومتصوف عاش في القرن الثاني عشر الهجري، له عدة رسائل في الفقه والتصوف.

أعينيَّ جودا

فجعت «سيئون» بموت فقيدها وفقيد العلم والآداب السيد المفضال الكبير شيخ بن محمد بن حسين الحبشي[1] في جمادي الأولى ١٣٤٨هـ الموافق أكتوبر ١٩٢٩م فرثاه صاحب الديوان بهذه القصيدة.

نعاء فتى الحيِّ رئباله ... فبالأمس أزمع ترحاله
قضى نحبه بعد أن قد قضى ... من السؤدد المحض آماله
وما فارق العيش حتى استعا ... ض حياةً من الذكر أبقى له
وما أسلم الروح حتى ... تحقق وعد الإله وأفضاله
رجونا له خير ما يرتجى ... لبر تُقبل أفعاله
فقد جاز سن الثمانين في ... تقى لا تفارق أحواله
فذاق الحياة وبأساءها ... وعانى الزمان وأهواله
فلم يتزعزع لأحداثه ... وهن يزعزعن أجباله
ولم يثنه عن طلاب المكا ... رم تحميله الدهر أثقاله
فسار إلى قصده واثقاً ... بنجح يكلل أعماله
سما في سماء العلا حيث لا ... يرام وأوغل إيغاله
إلى أن تناهى إلى مستوى ... من المجد أعجز أبطاله
تمنى السما لو ترى بدرها ... أخاه وأنجمها آله
هنالك عانته عين الزما ... ن ويقتل ذو العين أنجاله
رماه فلما رآه ردياً ... أسال من الدمع هطاله

(١) شيخ بن محمد بن حسين الحبشي (١٢٦٤ - ١٣٤٨ / ١٨٤٩ - ١٩٢٩م) شاعر وفقيه ورحالة عاش حياته متنقلاً بين حضرموت والحجاز وأندونيسيا.

لحى الله هذا الزمان التعيس   يخص بنعماه أنذاله
ويمني نحاريره بالشقاء   ويحبو السعادة جهاله
وأسمج ما اقتحمته العيو   ن وهاج من الحر بلباله
كريم يرقع أسماله   وقدم يجرر أذياله
أكاد أجبّنُ هذا الزما   ن لو لم يترجم لنا حاله
وأرميه لو لم يبن   لنا في الخلايق أمثاله
شقاء الكريم بهذي الحيا   ة كفاء نعيم بهيء له
وإن السعادة وسط الفؤا   د فلا يحسبنها امرؤ ماله
فقد ينقم المرء إكثاره   كما يحمد المرء إقلاله
أرى كلنا يتمنى البقا   ء وقد ناله منه ما ناله
سقوط الفراش على النار يعـ   ـشقها وتحرق أوصاله
أرانا نسير إلى عالمٍ   نخب لنقطع أمياله
نشاهد قُصّاده كل حينٍ   ولسنا نشاهد قفّاله

***

أعينيَّ جودا على ذا الفقيد   وحطّا من الدمع أثقاله
أمام الضريح بكاء المحب   حمى الحب يندب أطلاله
فقد كان قرة عين العلا   ومعتمد القطر مفضاله
وكان شفاء كلوم الأسى   وبرد السرور وسلساله
وقد كان للعلم ركناً فلما   قضى زلزل العلم زلزاله
لطيف الشعور تكاد توهّم   أن من الذوق أوصاله
إذا ما تغنى ببيت النسيب   هز الزمان فأصغى له
وإما أتاه أديب سقاه   من الأدب المحض جرياً له
فلو برز الشعر في هيكل   لما كان إلاَّ هو تمثاله
سلام عليه على ظهرها   وفي بطنها طيب باله
سلام على صنوه المرتضى   علي يبلغ آماله
نهنئه بأخٍ مقْبل   عليه كم اشتاق إقباله

وتندب للصبر أحبابه   ونجل أخيه وأنجاله
ونأمل أن يقتفوا رسمه   ويضحوا أجلاء أمثاله
ومن كان والدهم ضيغماً   فلِم لا يكونون أشباله

ألا لبثت قليلا؟

وقال يرثي حضرة السيد الجليل الفاضل عبدالله بن حسين بن محسن السقاف[1] رحمه الله ورضي عنه وألقاها في حفلة التأبين التي عقدت له فيما ألقيت من قصائد الشعراء وذلك في يوم الخميس سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م).

يا ابن الحسين ألا لبثت قليلاً   لما اعتزمت عن الديار رحيلا
ما كان ضرّك لو مننت بلحظة   تروي الصديّ وتسعد المتبولا
هذي بلادك تستمدك ساعة   أفلا تنولها بها تنويلا
فلعلها ولعلها ولعل أن   تشفي من التوديع منك غليلا
أو ما علمت بأن خلفك أمة   برداك تفقد سائساً وعقيلا
فقدتك أحوج ما تكون إلى فتى   يمشي بها نحو الحياة سبيلا
قدامها خطب وخطب خلفها   ترنو إلى شيخ الحياة ضئيلا
أضحى الذين يقونها خطر الردى   داء عليه في البلاد وبيلا
وكذا الدواء إذا تجاوز حدّه   يرتدّ سُماً للعليل قتولا
يئس الطبيب وعيٌّ عن أن يتقي   خطراً يشب على الدوام مهولا
كيف اتقى خطراً يهدد أُمة   ينمو لتنقص باقياً لتزولا
ما أنس لا أنس اعتناك بشأنها   إذ كنت مهتماً بها مشغولا
ولئن تكن جهلت علاك فلم يزل   قدر النوابغ عندها مجهولا
إني لأذكر إذ سألتك طبها   فذكرت رأياً لو يطاع جميلا
ما كان غيرك يستطيع لمثله   رأياً ولا لعلاجها تشكيلا

(١) عبدالله بن حسين السقاف (١٢٨٨ - ١٣٤٩هـ / ١٨٧٠م - ١٩٣٠م) عاش ومات في سيئون، فقيه وأستاذ من أساتذة جيله، وزعيم اجتماعي تنتهي إليه مشكلات البلاد، عرف بالحصافة ورجاحة الرأي، تولى القضاء في سن الثلاثين.

وهششت لي وخصصتني بحفاوة   أوليتني التكريم والتبجيلا
حتى شعرت لديك من كرم الخلا   ق بروح فردوس يهب عليلا
تلك العواطف في فؤادي إثرها   كخطوط حمير في القرون الأولى
منقوشة في الصخر لا تخشى على   كرّ العشي تغيراً وفصولا

***

ويح الردى أودى بمثلك عالماً   وبمثل رأيك في الخطوب دليلا
وبمثل حلمك في النوايب معقلاً   ولدى هواجس ذي الحياة مقيلا
قسماً بمن خلق الحياة وضدها   كي يبلو المسعود والمخذولا
لولا ملالك من حياة شدائد   سامت قوامك ذا الشطاط فلولا
لتكشفت حجب السماء وعانقت   دعواتنا لك بالشفاء قبولا
فلتبكك العلياء إن مصابها   بك كان يا نجل الحسين جليلا
من ذا يسد فراغ ما غادرته   من سؤدد لم يلف منك بديلا
من ذا ينير ظلام ليل الخطب إن   أرخت دجاه على البلاد سدولا
من ذا يحل المعضلات إذا انثنى   عن دركها نظر الفقيه كليلا
ليت المنايا والمنى معسولة   لا يخترمن الجهبذ المأمولا
أوليت للرجل العظيم إذا ثوى   يوماً إلى نفع البلاد وصولا
هيهات أن يعنى الذي تحت الثرى   بشؤون من هم فوقه تخييلا
كيف اطلابك حاجة من ميت   هيهات كان بما لقى مشغولا
وإذا سألت الحي ذاك فلم يجب   فالميت أعجز أن يجيب سؤولا
طوبى لمن رام الهداية فاقتفى   سنن الرسول وحالف التنزيلا
ترك الخرافات التي هلكت بها   من قبلنا أبناء إسرائيلا
ما زال بالتوحيد يجلو قلبه   حتى غدا كالمشرفي صقيلا[1]
فانصب لدى الشبهات ميزان الهدى   فالحق أجدر أن يكون ثقيلا
وانبذ مقال الحاسدين وان علوا   وسموا فروعا في العلا وأصولا
إن الدليل على الرجال مقالهم   ليس الرجال على المقال دليلا

(١) المشرفي: السيف.

إنّا لتعْزونا المعارف حسرة ... ما طوقتها الشائبات غلولا
توحي لنا روح الحياة كبيرة ... والمجد أعظم والمفاخر طولى
وتبث فينا الجدّ والتشمير ... والإقدام والتصميم والتكليلا
فمتى ظفرت بعالم متحرر ... فاخلع عليه التاج والإكليلا

* * *

فجعت بعالمها البلاد وأغمدت ... كف المنية سيفها المسلولا
رزئت بناصرها وذائد حوضها ... وبمن يسهل صعبها تسهيلا
بزعيم سادتها سريّ سراتها ... من آل طه فضلوا تفضيلا
شهد الإله بأنهم لم يبرحوا ... لعلى المفاخر عزة وحجولا
فلتبكه (سيئون) جهد عيونها ... دمع الشآم لفقدها مكحولا
فلقد يكون وما يجاء بمعضل ... إلا وأضحى عقده محلولا
يا (بنت أحمد) لا صبا لك قارىء ... إذ لم تبكّيه الدماء ثكولا[1]
إن تكتفي بحقوقه تتلى فمن ... ذا يعشق التعقيد والتعضيلا
فتحجري بعد الفقيد وأنت ويحك يا (نهاية) ترملي ترميلا[2]
ولي القضاء فكم عويصاً حله ... وأقام برهاناً له ودليلا
وكم استرد قديم حق ضائع ... وأغاث مظلوماً ورد جهولا
فابك المكارم والمعالي والحجى ... والعلم والتثقيف والتحصيلا
والجمع والتفريق والتنظير ... والتخريج والتفريغ والتأصيلا
يا بن الحسين قضيت ما كلفته ... فارج الثواب من الإله جزيلا
وارقد هنيئاً طيباً نفساً بمن ... أبقيتهم خلفاً عليك جميلا
من كان علوي المكارم تلوه ... فليهنأن إلى الضريح نزولا
وليوقنن بأن سيبقى ذكره ... بفم الثناء مرتلاً ترتيلا

* * *

(١) بنت أحمد: يعني به كتاب «التحفة» لابن حجر الهيثمي الذي يعتبر مرجع الفقهاء في حضرموت، ت ٩٧٤هـ /١٥٦٧م.

(٢) نهاية: يقصد به كتاب «النهاية» للإمام محمد أحمد الرملي أحد مراجع الفقه في حضرموت.

(علوي) مثلك من يعزي نفسه ... إما ألم به المصاب جليلا
(علوي) تأساء وتعزية فما ... أحد يدوم على الزمان طويلا
خفض عليك لما بليت فهكذا ... تفني المنية بعد جيل جيلا
للموت ما تلد النفوس وللبلى ... ما تستجد من القصور الطولى
ما المرء في دنياه إلا راحل ... عجل يؤم من الحياة سبيلا
وبلوغ غاية ما يؤم حري بمن ... يطوي إليها كل يوم ميلا
فاصبر على حكم المهيمن واحتسب ... أجراً لدى المولى الكريم جزيلا
فأبوك أن يمضي الحمام به فقد ... أبقاك ظلاً للعباد ظليلا
ما مات من أودى وأنت سليله ... أنعم وأكرم بالسليل سليلا
لا غرو إن نبلت صفاتك واعتلت ... فكذا يكون ابن النبيل نبيلا
فلتبق يا زين الشباب مبلغاً ... فيما تروم السؤل والمأمولا
ولتسق قبر أبيك غادية الرضى ... غيث الكرامة بكرة وأصيلا

فاجعة من الردى

في رثاء الشقيق الأكبر

قالها راثياً أخاه الأكبر الشاب الأديب الفاضل الكريم عبد القادر بن أحمد بن محمد باكثير المتوفى بسورابايا في ٢١ جمادي الأولى سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢٦ نوفمبر ١٩٢٦م. وكان قد بلغه خبر وفاته وهو (بسنغافورا) في طريقه إلى (جاوا)

فاجعة من الردى بأخي الهمام ... فقلبي جازع والطرف هامي
أهمُّ بسلوه فتهيج ذكرى ... تقدُّ حشاشتي قدّ الحسام
زمان السّوء هلا نمت عني ... قليلاً؟ ما مرادك باهتضامي؟
لقد غادرت قلبي اليوم جرحاً ... شبيه الطعنة النجلاء دامي!
أبنْ لي ما مرادك من دموعي؟ ... لعلك شئت تكثير الغمام!
أترميني بسهم بعد سهم؟ ... لقد ذاب الفؤاد من السهام
أخذت أبي فكان الصبر درعي ... وهذا اليوم تفقدني همامي

***

أعبد القادر المحمود فعلاً ... كريم النفس من نسل الكرام
لعمر المكرمات لقد تولّى ... بفقدك عن بيوت المجد حامي!
لعمر المجد إنك خير ساعٍ ... إلى العلياء بالهمم العظام
وأنت أجل من يهوى المعالي ... يعاف لأجلها طيب المنام
وأنت أعف من حملته نفس ... بهذا العصر في هذا الزحام
وللرحمن فيك خفيّ سر ... يضيق بكنهه صدر الأنام
أعفك في شبابك في تباشير ... عمرك من مقارفة الأثام
لنِعم المرء أنت لقد عشقت الـ ... ـعبادة منذ عهدك بالفطام

ولم أرَ في الزمان إليك شيئاً ... أحب من التلاوة والقيام
فمثلك من عناه حديث (شاب ... نشا في طاعة الرّب السلام)
عليك سحائب الرضوان تهمي ... ومغفرة الإله على الدوام
سقى الرحمان في (عمفيلَ) قبراً ... تشرف بالعظيم ابن العظام[1]
أخي رحماك! لا تبعد فمن لي ... سواك؟ إذا الزمان حنى عظامي
أتذكر حين كُنا في سرور ... وأفراح على أسنى وئام؟
تظل تعوم في الأبحاث عوماً ... وتخطر في ميادين الكلام
ويغدو الفكر بالآداب أحلى ... من الضَرَب المصفى والمُدام
فوا أسفي على زمن كريم ... يُحيينا بلطف وابتسام
على ذاك الزّمان - وقد تولّى - ... سلام في سلام في سلام!

---

(١) عمفيل: اسم مسجد في سورابايا بجواره مقبرة يدفن فيها آل باكثير موتاهم.

النـادبة: ما أمرَّ الحياة

قالها مرثياً بها فضيلة الشيخ العلّامة عبدالله بن محمد بن سالم باكثير(١) نزيل زنجبار المتوفى في شعبان سنة ١٣٤٣هـ الموافق مارس ١٩٢٥م ونـادباً بعض آبـائه وأجداده من علماء آل أبي كثير وفضلائهم السابقين رضوان الله عليهم.

من مُعيني على صروف الزمان   ومجيري من صولة الحدثان
كل يوم يجيء خطبٌ جديدٌ   يترك الدمع دائم الهملان
ما أمرّ الحياة وهذه الدُّنـ   ـيا مقر الهموم والأحزان
ما أشدّ السّرور فيها وما أغـ   ـدر هذا الزمان بالإنسان
ليت شعري متى أُفيق من الهمِّ   وأصحو من سكرة الأشجان؟
ومتى آمن الزمان فقد ضا   ق خناقي من جود هذا الزمان؟
ليت شعري هل الشقاء على الإنـ   ـسان حتم ما إن له عنه ثاني
وهل الأنس والسعادة والأفـ   ـراح أسماء ما لهن معاني
كل يوم تصمي فؤادي الليالي   بصروف مالي بهن يدان
ما لهذا الزمان أغرى بالتفـ   ـريق بين الأحباب والخلان
لم أكد أمسح الدموع من الحز   ن على والدي العلي الشان
أحمد الأريحي ذي الكرم الجم   حليف الندى شجاع الجنان
التقي النقي والقانت الأوّا   ب جم النوال غدق البنان
لم يكد ينقضي الأسى منه حتى ار   تدف الحزن بالملمّ الثاني

(١) عبـدالله بن محمد بن سـالم باكثـير (١٢٧٦- ١٣٤٣هـ /١٨٥٨- ١٩٢٥م) ولد في لامـو وتوفي في مهجره زنجبار، وهو عالم وفقيه اشتهر بالنسك والوعظ، ويعد في مقدمة رجـالات العلم العرب في زنجبار كما اشتهر بحبه للترحل والسفر، وله كتاب مطبوع عن رحلاته في المدن والقرى الحضرمية، بعنوان «رحلة باكثير» ثم تفرغ للتدريس والتذكير، وله شعر قليل.

خبر أمس جاءنا مصمئل   هدّ مني القوى وهدّ كياني
جاء من (زنجبار) نعي كريم   أريحيٍّ مهذبٌ محسان
سار من أرضه يجوب الفيافي   جائلاً في شواسع البلدان
قصده أن يذيب كل فؤاد   لقريب للميت أو ذي جنان
ثم لما رأى (بسيئون) قوماً   من ذويه الأماثل الفتيان
حط فيها رحُل الهموم كما الـ   ـقى عليها من هوله بحران
فجعتنا المنون بالشيخ (عبد اللّه) خدن العُلى الكريم الهجان
الزكي الأبيّ ذي الهمة القعـ   ـساء حلف العلوم والعرفان
البليغ المقال والشاعر المفـ   ـلق والناثر الفصيح اللسان
من يهز اليراع في الطرس هز الـ   ـباسل الشهم للحسام اليماني!
علّق الموت منه خير أديب   فاضل ذي فصاحة وبيان
بعد أن قد قضى بخير كريم   (أحمد) الفضل حافظ القرآن
فقد المجد والندى والتقى في   رجب والعلوم في شعبان!
آه ما أكثر الهموم اللواتي   جرّعتنا مرائر الأحزان
ذهب الموت بالكرام فهل ير   جى لقاء من بعده وتداني؟
ذهبوا تاركين من دونهم قلـ   ـباً يعاني من الأسى ما يعاني

* * *

أين تلك الملوك منْ (كندة) الصيـ   ـدُ أباة الثوى بدار الهوان؟
مالكو الأرض عامروها بعدلٍ   ساسة الناس حاملو التيجان
الكمِّيون في الوغى لا يساوي الأ   لف منهم من غيرهم ألفان
كل ملكٍ متوجٍ أصيد أر   وع تعنو له ملوك الزمان
أين آباؤنا بُناة المعالي   وخدينو العلوم والعرفان
من بني آل أبي كثير الميامـ   ـن سما مجدهم على كيوان
عصبة لم يهمهم غير كسب الـ   ـعلم والمجد لا الحطام الفاني
شمروا في اقتناء العلوم ومالوا   نحوها بالتدقيق والإمعان
فحلوا مشكلاتها بفهوم   ثاقبات شديدة اللمعان

وأماطوا اللثام عن كل إشكا   لٍ دقيقٍ فبان أجلى بيان
كل قرم يسعى لنيل المعالي   سعى لا عاجز ولا متواني
ألمعيٌّ مهذبٌ مستطابٌ   واسع الصدر أريحيّ يماني
بين جنبيه هِمةٌ تسع الدنيا   وعزم يفل حد السِّنان
مثل (عبد اللطيف) خير فتى قد   أحرز المجد وهو في العنفوان
وكذا تلميذ البخاريّ (عبد اللّه)   من ليس في العلوم بواني
من طوى البر وامتطى البحر قصداً   من (شبام) إلى إمام الزمان
وكذا شيخ مكة الحبر (عبد اللّه)   قطب الولاية الصمداني
شيخه (العيدروس) نجل أبي بكر   به صار مصدر الإحسان
وكذا عالم الصّفا (أحمد بن الـ   ـفضل) جم العلوم والعرفان
من تروّى من بحرها إذ تصدى   لاقتناها تصدّي اللهفان
(وكعبد المعطي)المحدِّث ذي التحـ   ـقيق في بحثه وذي لإتقان
والبليغ المُفوه الشهم (عبد الـصمـد)   الشاعر البديع المعاني
ذو لسان كأنه الصارم العضـ   ـب ونظمٍ يحكي عقود الجمان
فأجل في نظامه لك طرفاً   تر نظم (الرّضي) و(الأرّجاني)
وكذاك الفقيه (عبد الرحيم) الـ   ـمفرد الحبر ذو الخلال الحسان
وابنه العالِم الكبير (علي)   من سما في الفخار أعلى مكان
فاضل نجل فاضل ألمعيّ   منصف غير ذي هوى ودهان
وفقيه يكاد أن يحفظ (التحـ   ـفة) عن ظهر قلبه والجنان
من تولّى القضاء بعد أبيه   في (تريم الغناء) ذات الأمان
وكذا عمي الذي فات ركضاً   في المعالي سوابق الفرسان
الرفيع الذرى (محمد) الحجاج   فخر الرجال والأعيان
الفقيه النحوي والشاعر المطـ   ـبوع والعبقري في ذا الزمان
متولي قضاء (سيئون) هذا الـ   ـعصر ينفي الشكوك بالبرهان
فأدام الإله نفع البرايا   ببقاه قاصيهم والداني
وكذا غيره من العلماء الـ   ـفضلاء الأماثل الفتيان

ليس يحصون كثرةً وانتشاراً   في جميع الأصقاع والبلدان
أجلِ الطرف في تواريخهم تنـ   ـبيك عن فضلهم بخير لسان
هذه الكتب طافحات بما ضمـ   ـت لهم من مآثر ذات شان
شاهدات بأننا لم نزل في   ذروة المجد من قديم الزمان
من كرام قد أنجبت بكرام   وهجان قد أعقبت بهجان
رحم الله ميتهم ولاغبت   ثراهم سحائب الرضوان
وتولى أحياءهم ورعاهم   وحباهم بالفضل والإحسان
وتغشى الفقيد باللطف والرّحـ   ـمى وأعلى محله في الجنان
فلعمري قد كان خير إمام   ذا اجتهادٍ في طاعة الرحمان
مفعم الصّدر بالعلوم وبالحلـ   ـم وصدق اليقين والإيمان
وفق اللّه للرضا بالقضا نجـ   ـليه فخريْ شباب هذا الأوان
وتولاهما وأبقاهما في   منصب العلم عنه لا يبرحان
وتغشى فقيدنا (أحمداً) بالـ   ـجود فضلاً منه وبالغفران
ثم صلى على النبي الذي قد   خصه بالآيات والفرقان
أحمد المصطفى مع الآل والصحـ   ـب الكرام الأفاضل الشجعان
ما تشكّى حزين قلب كئيب   من فراق الأحباب والخلان

أودى إمام العارفينا

رثاء السيد العلّامة المحقق فقيد حضرموت محمد بن عقيل بن يحيى العلوي[1] المتوفى في الحديدة في ربيع الأول سنة ١٣٥٠هـ الموافق أغسطس ١٩٣١م.

أودى إمام العارفينا   وخبا هدى المسترشدينا
يا ناعييه جمجما   من تنعيان ولا تبينا
وذرا فؤادي والشكو   ك فإنني أخشى اليقينا
أو بيناه لعلنا   نقضي حقوقاً تقتضينا
نبكيه، أو نرثيه، أو   نفديه، أو نلحي المنونا
وإذا الحِمام طوى الإما   م، فما قرار النادبينا
ليت الحقائق تستحيـ   ـل لمن يحاذرها ظنونا
أو ليت غائلة المنا   يا لا تغول الكاملينا
تبقي على كل ابن سؤ   دده وتمضي بالمئينا
يا رب فرد (كالفقيد)   يسود شعباً أجمعينا
كان اللسان لهم، وكا   ن كما يؤمل أن يكونا

(١) محمد بن عقيل بن يحيى العلوي: عالم وفقيه اشتهر بولوعه بمسائل الخلافة وتفضيل أصحاب النبي (ص)، وهو يرى رأي الشيعة، أثار معركة جدلية بكتابه «النصائح الكافية لمن يتولى معاوية»، وأثيرت عليه ضجة كبيرة لأنه حكم فيه بخروج معاوية عن الإسلام، وبأنه ليس من الصحابة فأمرت الدولة العثمانية بمصادرة الكتاب وقد رد عليه الأستاذ حسن بن علوي بن شهاب بكتابه «الرقية الشافية من سموم النصائح الكافية» حاول فيه إثبات صحبة معاوية، فرد عليه الشاعر العلامة أبو بكر ابن شهاب بكتابه «الحمية من مضار الرقية»، وقد انتقل هذا الصراع من اليمن إلى المهاجر الحضرمية في جزر الهند الشرقية. ومن المعروف أن ابن يحيى قد نفي من حضرموت إلى الحديدة لأرائه الدينية والسياسية ومات فيها. وقد طبعت كتبه والردود عليها.

أودى الكريم (محمد)   فرع الكرام الطاهرينا
من آل طه الطيبين   المصطفين الأكرمينا
رجل النزاهة والسما   حة والندى للمعتفينا
وفتى الفصاحة والبلا   غة سيد المتأدبينا
بحر العلوم الزاخر الد   فاق يبتلع السفينا
رضع العُلى طفلاً وكا   ن لها - وقد أرمى - خدينا
يا آية التشمير لم   يخلص إليه العجز حينا
يستقرب الأمل البعيـ   ـد ويسهل الصعب الحرونا
ويروم درك المستحيـ   ـل فلا يني حتى يكونا
ماذا دهاك؟ وكيف لم   تدفع بهمتك المنونا
هل هبت عزرائيل؟ أم   ناداك رب العالمينا
فأجبته مستبشراً   بلقاء خير المرسلينا
فإذا قدمت على الرسو   ل قل السلام على أبينا
واشرح له حال (الحضا   رم) بعد حال المسلمينا
واسأل إلٰهك أن يُشفِّـ   ـع سيد السادات فينا
حتى يتم نهوضنا   ورقينا دنيا ودينا
واشك (العِدا) بدل (ابن هنـ   ـد) إلى (أمير المؤمنينا)[1]
فهم أحق بمشتكا   ك من الصحاب الذاهبينا
قل: يا أبانا إننا   صرنا نخاف المشركينا
إن الشجاعة قد خبت   نيرانها في المسلمينا
صاروا أيادي بعدكم   جبناء حمقى جاهلينا
قد ضيعوا ذاك الفخا   ر وذلك المجد الأثينا
سترى (الإمام) هناك يعـ   ـفو عن ذنوب الخاطئينا

(١) (ابن هند) يقصد به معاوية بن أبي سفيان و(أمير المؤمنين) هو علي بن أبي طالب، وشاعرنا هنا ينتقد مذهب الفقيد بذكاء حين يدعوه إلى أن يشكي أعداء الإسلام في الآخرة إلى أمير المؤمنين فكفاه ما اشتكى معاوية في حياته! فأعداء الإسلام أهم وأحق بمشتكاه من معاوية وصحبه.

ويقول سيروا يا بني ... إلى جهاد الكافرينا
بالسيف والعرفان، ثم ... تذكروا (الخُلق المتينا)
وعلى الشجاعةِ والشها ... مةَ والندى ربوا البنينا
لا تأخذوهم بالخنو ... ع فبئس حال الخانعينا
صونوا حمى الإسلام واحـ ... ـموه عن المتهجمينا
وادعوا إليه وانشروا ... آدابه في العالمينا
ودعوا شؤون الغابرين ... وفكروا في الحاضرينا
نهض العدو وأنتمُ ... في أمرنا تتجادلونا!
لا تتركوا أعداءكم ... يلقون بينكم الفتونا
إن (ابن هند) إن يسيء ... يوماً فإنَّا محسنونا

* * *

يا علم! ودّع (حضرموت) ... فقد قضى مولاك فينا
ومضى (العليم) فما بقا ... ؤك في ديار الجاهلينا
إن القبوريين إن ... قرّوا بمصرعه عيونا
فلقد قضى العمر الطويل ... قذى بأعينهم مبينا
فليذرفوا شيم الدموع ... فطالما ذرفوا السخينا
ألشامتين به أأنـ ... ـتم في الحياة مخلدونا
فيم الشماتة؟ ويحكم ... وبمن - علمتم؟ تشمتونا؟
أبمجدكم وبفخركم ... يا قوم أنتم تعبثونا
تبّاً لشعب لم يزل ... أحراره مستهضمينا
لا يبرحون الدهر في ... عرض البلاد مشردينا
يشقون في أوطانهم ... وذوو الجهالة ينعمونا
هل تذكرون (ابن الشها ... ب) فقد لقي منهم شؤونا[1]

(١) ابن الشهاب هو أبو بكر بن شهاب - سبقت ترجمته - ضويق في حضرموت لآرائه الدينية والاجتماعية فهاجر سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م) متجولاً في العديد من البلدان حتى استقر بالهند، وقضى بها بقية عمره.

فسلوه: فيمَ قضى بأقـ ... ـصى (الهند) هاتيك السنينا؟
وسلوا (الخطيب المصقع) الـ ... ـمشهور هل خار الشطونا؟
غضب (الأمير) عليه في ... أمر فسرّ به الذرونا[1]
لو عاش (عبدالله) أو ... لو كان (سقاف) قطينا[2]
لسعى - وليس بسيد ... من يحمل الحقد الدفينا
سعياً بإخلاص - وأين ... المصلحون المخلصونا؟
عند (الأمير) بأن يسرّ ... بعوده (البلد الحزينا)
فالملك مهما يستشط ... يوماً لن يجهل العقد الثمينا
زين البلاد. وهل بودّ ... مليكها أن لا تزينا؟
وسلوا (الفقيد) وما تحمـ ... ـل من أذى المتعصبينا
شتان بين مسوّد ... يبني وقوم يهدمونا؟

* * *

لا زالت السحب الفوا ... دي تسكب الدمع الهتونا
فتبل قبراً (بالحديدة) ... فيه فرع الأطيبينا
بجوار مولانا (الإما ... م) لدى بنيه الأكرمينا
حيث احتفوا بجلاله ... ولديهم أضحى مكينا
وقضى لديهم في ختا ... م العمر عيش الهانئينا

* * *

يا مكثر الحسنات أتـ ... ـعبت الكرام الكاتبينا!
وقضيت فرضك فاسترح ... وانتظرن جزاء العاملينا

(١) الخطيب المصقع المشهور يقصد به الأستاذ الكبير عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (١٣٠٠ - ١٣٧٥هـ /١٨٨٣ - ١٩٥٦م) وهو من المؤثرين بعمق في الحياة الأدبية الحديثة في اليمن عموماً بمؤلفاته وبآرائه الجريئة والشاعر يشير هنا إلى حادثة نفيه عن حضرموت فترة من الزمن لاختلافه في الرأي مع السلطان الكثيري في سيئون.

(٢) لعله يقصد (بعبدالله) عبدالله بن حسين السقاف، وقد سبق التعريف به في رثائه. أما (سقاف) فلم نتعرف عليه، ويبدو أنه من وجهاء حضرموت في ذلك الوقت.

واستقبل الرضوان من   مولاك خير الراحمينا
وتبوأ الجنات بين   الأنبيا والمرسلينا
ما كنت في دنياك إلاّ   من أولاك المصلحينا
نم نومة الهاني فقد   خلفت ما خلفت فينا
خلفت آثاراً بها   ستعد بين الخالدينا
تمضي القرون إلى القرو   ن ولن تبيد ولن تبينا!
من نور علمك لن يزا   ل الدهر وهاجاً مبينا
وتركت أبناءً ورا   ءك صالحين مثقفينا
غُراً جحاجحةً سيبـ   ـنون المفاخر قادرينا
وسينهجون على سبيـ   ـلك للمعالي يرتقونا
من كل ذي نفس تحـنُّ   إلى ذرى العليا حنينا
وكبيرهم (عيسى) فطب   نفساً به واقرر عيونا
ما مات من أبقاه ينـ   ـشر ذكره في العالمينا
(عيسى) مسيحُ عُلاك إن   يُحيي (المسيح) الميتينا!

***

أنا إن أُقصِّر في البيا   ن فإن لي عذراً مبينا
رثَيتُ خير الوالِـدينَ   مُعزِّياً خير البنينا

هوامش هذه القصيدة من وضع الشاعر نفسه

المؤبنة الكبرى

قالها في تأبين حضرة سلطان حضرموت المغفور له المنصور بن غالب الكثيري المتوفى بجبل عرفات يوم الوقوف «السبت» الجمعة سنة ١٣٤٧هـ الموافق شهر يونيو ١٩٢٩م رحمه الله تعالى وقد ألقاها في حفلة التأبين بصحن المسجد الجامع بين يدي الجمع الغفير فيما ألقى في ذلك من قصائد.

هنا فليقل ما شاء من كان راثيا   فهذا مقام فيه نرثي المعاليا
نؤبن فيه أمة ليس واحداً   ونبكي ولاةً عنده ليس واليا
إذا صح ما قد قيل أن ابن غالب   ثوى: فعلى الدنيا وداعاً سلاميا!
سمعنا حديثاً يذهل العقل عنده   ويحسد فيه الصم من كان واعيا
ويجمل فيه الشك لو كان باقياً   ومن لي وللإسلام بالشك باقيا؟
وقد رابني أني أرى الحصن كاسفاً   يجمجم حزناً في طواياه خافيا
يغالب أحزاناً تغالب صبره   بليل كعمر النسر طال اللياليا
تململ فيه أهله ونزيله   على مصطلى رضف[1] يذيب المكاويا
إلى أن بدا الصبح المشوم فلم تبن   طلائعه حتى سمعنا المناعيا
سمعنا بكاء المكرمات ونوحها   على فردها، بله النساء البواكيا[2]
وبله رجالا يندبون مليكهم   بعالي عويل رن في الأفق داويا
فلا ترسلوا برداً[3] تنادي بموته   كفى ببكاء النادبين مناديا!
وحسب الورى أن يسمعوه فيوقنوا   بأن مليك القطر أصبح ثاويا
تضعضع طود المجد وانهد ركنه   وبدر العلا من أفقه خرَّ هاويا

(١) الرضف هو الحجارة المحماة.
(٢) بله اسم فعل أمر بمعنى دع.
(٣) البرد جمع بريد وهو الرسول.

وجللت الدنيا ظلاماً وفاته   فلست ترى الأيام إلا لياليا
ألا ليت شعري هل يبلغني الرضى   قريضي في تأبينه والأمانيا
وهل يتخطى بي سماواته العلى   إلى مستوى فيه أنال الدراريا؟
فهذا مصاب ليس للوصف مصعد   إلى كنهه مهما سما متعاليا
ويكبو جواد الشعر دون بلوغه   إلى المنتهى مهما عدا مترامیا
فإن لم أقلها فذة عبقرية فلست لميراث امرىء القيس[1] حاويا
ألا أيها النعي الذي غص بالأسى   صدوراً، وأجرى بالدماء مآقيا
وأدنى من الأحزان ما كان نائياً   وأقصى من الأفراح ما كان دانيا
نعيت لنا (المنصور) بالله عزمه   فكرمت منعياً، وقبحت ناعيا
حملت إلينا نبأة رجت الحمى   ودكدكت الشم الجبال الرواسيا
وغادرت (سيئونا) كثكلى وحيدها   رأته قتيلاً عندها والأعاديا
تجيش بها أحزانها فكأنها   مراجل تغلي بالحميم نوازيا[2]
وسكانها تبدو عليهم كآبة   ترى آيها فوق الوجوه بواديا
ألا تلكم الأعياد صارت مآتماً   وتلكم مغاني الأنس أضحت مباكيا
وما خصنا هذا المصاب وقطرنا   ولكنه عم الورى والنواحيا
فبينا نرجي أوبة الملك للحمى   من الحج في بردي هناً وعوافيا
ونرقب إسعاف الزمان بأن نرى   قدوماً ملوكياً (بمنصور) زاهيا
أتانا سريع البرق لا در دره   بداهية دهياء تنسي الدواهيا
فيا ملكاً لبى نداء مليكه   لدى (عرفات) طبت حياً وثاويا
دعاك بأسمى (موقف) عند بيته   فقلت له: لبيك! لبيك داعيا!
فهل مؤمن يأبى اللحاق بربه   لدى بيته، في ساعة هي ما هيا
لقد فزت وأيم الله فوزاً معظماً   بموتك جاراً للمهيمن راضيا
فطوبى لمن يقضي[3] لأخراه ذاكراً   بمولاه مشغولاً، لدنياه ناسيا

---

(١) هو ابن حجر الكندي أشعر شعراء الجاهلية وهو من قبيلة الشاعر.
(٢) المراجل جمع مرجل وهو القدر. ونوازي متوثبات من الغليان الشديد.
(٣) أي بموت.

خرجت من الأوطان للحج قاصداً   إلى الله توَّاباً، من الله خاشيا
وغادرت ملكاً واسعاً في سبيله   وجزت بحوراً نحوه وفيافيا
فكنت كقربان تقبل حينما   قرنت بإخلاص إليه المساعيا
عزيز على (سيئون) إن لم تكن حوت   رفاتك فيها والعظام الغواليا
عزيز عليها أن تكون موسداً   بأرض سواها نازح الدار قاصيا
فلولا التقى من مالك (البيت) سددت   إلى بيته سهماً من اللوم ماضيا
تغار من البيت الحرام، فتنثني   تذكر مولاه فتخشى القواضيا
إذا ادكرت أن المليك فقيدها   أسالت عيوناً من عيون جواريا
فـإن ذكرت من خاره لجواره   رأت مرهم التسليم للحزن شافيا

* * *

فيا آل عبد الله صبـراً لرزئكم   وإن كان هذا الخطب يلغي التعازيا
عزاء، فأولى الناس بالصبر أن يرى   لهم قدوة في الصبر من كان والِيا
ألستم بني القوم الذين تملكوا   على القطر هاتيك العصور الخواليا
فشادوا به ملكاً كبيراً، وخلفوا   لأبنائهم مجداً على الدهر باقيا
ألم يك منكم (بدر) العاهل الذي   به مثل في العدل أصبح جاريا[1]
ألم يك منكم نجله (عمر)[2] الذي   على العلم قدماً أسس الملك بانيا
وخلده بالذكر شاعره (أبو[3]   كثير) قريع الشعر منشيه عاليا

---

(١) هـو بدر بن عبـدالله أبو طـويرق الـذي يضرب بعدلـه المثل في حضرمـوت وكان لـه اتصـال وثيق بـالسلطان الكبير القـانوني العثماني وهو الـذي طرد الـبرتغال من سـواحل حضرمـوت وأوقـع بهم فعظمت منزلته لدى الخليفة العثماني، وقد أشار إلى ذلك الشاعر الكبير عبد الصمد باكثير في قصيدة غراء مدح بها ممدوحـه السلطان عمر بن بـدر واستطرد فيهـا إلى ذكر وقـائعه التي انتصر فيهـا على أعدائه وذكر علاقته بملوك آل عثمان فقال في أثنائها:

قمتم بحق ابن عثمان وطاعته   محبة هي منكم عن أب فأب
كمثل ما أسر الإفرنج من قدم   أبوك بدر بن عبدالله ذو الحسب

(٢) هو السلطان عمر بن بدر ترجمه المحبي في خلاصة الأثر.
(٣) هو الشيخ عبد الصمد المتقدم ذكره ترجمه كثير من مؤلفي كتب التراجم منهم السيد علي بن معصوم في كتابه «سلافة العصر والمحبي في خلاصة الأثر». قال عبد الصمد بن عبدالله باكثير خاتمة مفلقي الشعـراء باليمن ونـابغة العصر وبـاقعة الـزمن ينتهي نسبه إلى كنـده، وهو نسب تقف الفصاحة =

كذلك (عبدالله) عالم عصره ... رقي في سماء المجد تلك المراقيا
وإن شئت لم أستعل في مجدكم ألم ... يكن (غالب) أنموذجاً فيه راقيا
أقام وأحيا دولة بعد موتها ... وأنعش ملكاً كان من قبل ذاويا
ورد على آبائه وجدوده ... إلى بيته بعد اندراسٍ كما هيا
وفيمن فقدنا أسوة في خلائق ... سوامي تستهوي النفوس السواميا
شجاعة قلب في مضاء عزيمة ... تدكان إن شاء الجبال الرواسيا
وهمة نفس صغرت كل همة ... تريه البحور الزاخرات جوابيا[1]
وصائب رأي لا يفيل[2] كأنما ... يرى بعيون الغيب ما كان آتيا
وحسن انعطاف نحو أهل بلاده ... يسيغهمو كاساً من الود صافيا
ويغذوهمو غذو الرؤوم وليدها ... عواطف حب في القلوب نواميا[3]
فما أنس لا أنساه يوم ثوى أبي ... عليه سلام الله قبل سلاميا
نعاه له الناعي فجرد خنجراً ... وقال ابن عبدالله! من أنت ناعيا؟
أتنعي إلينا (الشيخ أحمد) قال إي ... نعم قد ثوى فاسترجع الله باكيا
لعمري لهذا من لطيف شعوره ... فلست لهذا الصنع ما عشت ناسيا

=والبلاغة قديماً وحديثاً عنده. وكان كاتب الإنشاء للسلطان عمر بن بدر ملك الشحر وشاعره الذي ينفث في مدائحه سحر البيان وبيان السحر وله ترسل وإنشاء، تصرف في إعجازهما كيف شاء. وديوان شعره مشهور تتلو محاسنه ألسن الأيام والشهور ولم يزل كاتباً للسلطان المذكور في عهده ثم لولده عبدالله من بعده حتى انقضى أجله وعمره وهوى من أفق الحياة قمره، ثم قال بعد أن أورد شيئاً من شعره. وكانت وفاته بالشحر في سنة ١٠٢٥ انتهى ما في الخلاصة. نقول وقد أثنى على عبد الصمد حضرة الشاعر الكبير السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين وقال لما تليت عليه بعض قصائده: ما كنت أحسب أن في حضرموت من يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر. وديوانه موجود إلى اليوم وهو كبير الحجم ولا يعلم من جامعه وقد قال في أوله، هذا ما انتهى إلينا من شعره وقد فاتنا الشيء الكثير، وغالبه مدائح في السلطان عمر بن بدر وابنه عبدالله بن عمر ويا حبذا لو عني أمراؤنا الكرام بطبعه ففضلاً عن أنهم ينشرون بذلك مآثر أسلافهم يقدمون به خدمة كبيرة للأدب الحضرمي بنشر أنموذج عال منه.

(١) الجابية الحوض جمعه جوابي.
(٢) فال الرأي يفيل أي أخطأ ولم يصب.
(٣) الناقة الرؤوم لولدها العطوف عليه.

وفي (محسن) ويح المعالي (لمحسن) ... فقد كان نجم الدولة المتلاليا
ثوى قبل (منصور) ومن بعد (غالب) غروب النجوم النيرات تواليا
بيوتكمو يا آل بدر مطالع ... لأنجم ملك ما تزال بواديا
إذا غاب منها كوكب لاح كوكب ... يفيض بأنوار تنير الدياجيا
فإن يكن (المنصور) ولى فإن في ... (علي) لأعباء السياسة كافيا!
فتى في سبيل المجد علم نفسه ... رياض الأفاعي والأسود الضواريا[1]
وألهمه المولى سياسة ملكه ... بحزم وتدبير يشد الأواخيا[2]
شغوف بإصلاح البلاد، ومحصد[3] ... لما كان من حبل السياسة واهيا
ويحمل آمالاً ترقي بلاده ... إلى مستوى عليائها وأمانيا
إذا جد في أمر يحاول دركه ... رأيت قضاء من إلهك ماضيا
أديب أريب أريحي مهذب ... من العلم يرتاد الحياض الصوافيا
ومن منهل الآداب ما زال كارعاً ... يعب حمياها لأن صار راويا
شجاع حليم، واسع الصدر رحبه ... كريم سخي النفس يسدي الأياديا
تبلج وجه الملك بعد عبوسه ... وبعد اضطراب الأمر ألقى المراسيا[4]
وأبدى ابتساماً إذ رآك تليته[5] ... وشرفت منه بالجلوس الكراسيا!
مليك الورى. هذا أوانك فابنها ... قصوراً من العلياء شماً عواليا
مليك الورى جدد لنا عصر نهضة ... تبصرنا كيف الحياة كما هيا؟
مليك الورى أنت المرجى لغمة ... بها ضج سكان البلاد شكاويا
فأجر رسوم العدل فيهم فإنَّه ... هو العدل تلقاه الطبيب المداويا
وحقق لنا الآمال فيك كبيرة ... (ولا تغفل الفعلات إلاَّ عذاريا)

---

(١) نصب الأسود عطفاً على محل الأفاعي لأنها مفعول المصدر الذي هو رياض مصدر راوض رياضاً ومراوضة.
(٢) جمع آخيه وهي حبل يدفن في الأرض مثنياً فيبرز منه شبه حلقة تشد فيها الدابة.
(٣) أحصد الحبل: فتله.
(٤) أي استقر.
(٥) أي توليته

فما أسمح التقليد بالمرء قادراً ... وما أحسن التجديد بالمرء واليا
وشيد صروح العلم، فالعلم وحده ... تراه لأدواء الجهالة شافيا
وذا قلم التاريخ مصغ بسمعه ... يؤمل أن تملوا عليه المعاليا!
فيكتبها بالنور في صحف العلى ... أساطر بيضاً للخلود بواقيا
وما أنا إذ أدعوك للمجد والعلى ... سوى شاعر غنى بمجدك شاديا
وما أنا في قومي بأول شاعر ... بمجدكم الدري زان القوافيا
وما أنا ثانيهم، ولا أنا ثالث ... وحسبي هذا مفخراً لي ساميا

***

عزاء بني المنصور تكرير موجع ... حشا قلبه موت المليك غواشيا
فإن أباكم قد مضى طاهر الكسا ... كريم المحيا طيب القلب صافيا
تخيلت عن بعد الديار ضريحه ... فأبصرت بستاناً من النور[١] حاليا
ترفرف أملاك السماء حياله ... روائح فيه بالرضى وغواديا
لئن غاب عنكم وجهه فهو حاضر ... لديكم بآثار تزين المغانيا
ومامات من أبقى (علياً) و(جعفراً) ... و(أحمد) آساد الفعال الضواريا
ينوبون عنه في مقامات ملكه ... ويبنون من فوق المباني مبانيا
بقيتم لنا فخراً، ولا زال عرشكم ... على الدهر مرفوعاً، له الله حاميا
ودمتم وهذي للتعازي ختامها ... فلن تسمعوا من بعد إلا تهانيا

---
(١) النور: الزهر.

بَابُ الاسْتيحَاء وَالتشطِير

ما عذر من ضربت به أعراقه

الأبيات المحاطة بقوس هي لشهاب الدين الخفاجي[٢] أُقترح عليه تشطيرها فشطرها كما يرى:

(ما عذر من ضربت به أعراقه) ... في المجد للشأو القصي الأبعد
صعدت به أنسابه وأصوله ... (حتى بلغن إلى النبي محمد)
(أن لا يمد إلى المكارم باعه ... متناولاً شهب المعالي باليد[٣]
أجدر به أن يقتدي بجدوده ... وينال غايات العلا والسؤدد)
(متحلقاً حتى تكون ذيوله ... وآيات مجد في سماء المحتد
يخفقن في عليائها فتخالها ... (أبد الزمان عمائماً للفرقد)

---

(١) وضعت الأبيات كما وردت في الأصل المخطوط غير أنني اطلعت في مجلة الرابطة العلوية الحضرمية الصادرة في سنغافورا (ج٩، م ١ ص (٥٥ ـ ٥٦١) ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) أن شاعرنا شارك بهذا التشطير في مباراة أدبية اسهم فيها جملة من شعراء حضرموت، يقول مراسل المجلة في حضرموت: وقف أحد الفضلاء بتريم أثناء مطالعته لكتاب عقد الجواهر والدرر تصنيف صاحب المشرع على أبيات ثمينة وشيقة للشهاب الخفاجي.. فتقدم بها إلى طائفة من شعراء الوطن الحضرمي مقترحاً التباري في تشطيرها ـ تصديراً وتعجيزاً ـ... تشجيعاً للحركة الأدبية في الوطن والمهجر، والجائزة بدل اشتراك السنة الثانية بهذه المجلة ومرجع الحكم في المباراة وتقدير الجائزة الفائزة للجنة تؤلف برئاسة صاحب المجلة، وقد فاز باكثير بجائزة هذه المباراة التي نشرت في ج ١، س ٢، عدد (شوال ١٣٤٧هـ.

(٢) علقت المجلة على الأبيات المنسوبة للخفاجي بقولها: عندما وردت إلينا رسالة المقترح عرضنا الأبيات على حضرة العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد فأخبرنا أنها ليست للخفاجي وإنما هي للشريف الرضي شاعر بني هاشم المشهور، وإنها من قصيدة له قالها عام ٣٨٩هـ وهي مثبوتة في ديوانه المطبوع ببيروت ١٣٠٧هـ.

(٣) رأينا في النص المنشور في مجلة «الرابطة» أن كلمة «المعالي» قد استبدلت بكلمة «المحامد».

شكت عيناه من رمد

مقطوع مقترح عليه معناه مأخوذ من مقطوع لابن المعتز:

شكت عيناه من رمد فقلنا   لكثرة ما أراق دم العباد
أيشكو خنجر طعن البرايا   لأن دماً على عينيه بادي

* * *

خفقان قلبي

(خفقان قلبي لم يكن إلا إذا)   وقف الفؤاد عن الحياة ليذهبا
ليلى تهز شريط قلبي كلما   (خطرت فرجرجت النهود والكعبا)
(فكأن بينهما اتصالاً كاملاً)   فمتى توثبت انبرى متوثبا
الله أكبر واكتشاف باهر   (منه عرفت اليوم سر الكهربا)

* * *

قضاني الدَّينَ ماطله

تصدير وتعجيز لأبيات أبي فراس الحمداني:

قضاني الدَّيْنَ ماطله ووافى   على عجل يطير به الحذار
أتى والليل معتكر ظلاماً   إليَّ به الفؤاد المستطار
فبت أعل خمراً من رضاب   يجاوره مع الدّر النضار
وما أبصرت خمراً قبل هذي   لها سكر وليس لها خمار
إلى أن رق ثوب الليل عنا   وكاد يشيب مفرقه النهار
فضمتني إلى صدر رحيب   وقالت قم فقد برد السوار

يا ذاهباً في داره جائيا

(يا ذاهباً في داره جائياً)   أفكاره صادرة واردة
يمضي ويأتي قائماً قاعداً   (بغير معنى وبلا فائدة)
(قد جن أضيافك من جوعهم)   فأغرم ديات للنهى الشاردة
أو لا فإن شئت لهم رقية   (فاقرأ عليهم سورة المائدة)

جُل في البلاد تنل عزًا ومكرمة

(جل في البلاد تنل عزاً ومكرمةً)   فلا تهون العلا إلا لراكبها
ولا تفيدك في دار الهوان منى   (في أي أرض تكن تلقى مناك بها)
(جل الفوائد في الأسفار مكتسب)   فأوسع الأرض ضرباً في مذاهبها
فيم المقام بأرض تستضام بها   (والله قد قال فامشوا في مناكبها)

لا تعجزي يا نفس عن طلب العلا

اقترح عليه أستاذه وعمه العلامة الشاعر محمد بن محمد باكثير أن يُصدِّر ويعجز بيتيه هذين:

لا تعجزي يا نفس عن طلب العلا ... إن المعالي لا تنال لعاجز
ولتبرزي للناس همة ماجدٍ ... كالشافعي والرافعي والبارزي

فكتب إليه يقول:

لا تعجزي يا نفس عن طلب العلا ... كيما تفوزي بالعلا كالفايز
ودعي الونا والإتكال كعاجزٍ ... إن المعالي لا تنال لعاجز
ولتبرزي للناس همة ماجدٍ ... كي تنطلي منها بعزم بارز
وتربعي دست المعارف والعلا ... كالشافعي والرافعي والبارزي

شكر وتقدير

في خاتمة هذا الديوان، يسعدني أن أتوجَّه بالشكر والعرفان لهؤلاء الذين وقفوا معي أثناء جمع هذا الديوان وتحقيقه، وأضع في مقدمتهم الأستاذ عمر أحمد باكثير الذي وضع بين يديّ معظم مخطوطة هذا الديوان، وأمدّني بالمعلومات التي تضيء الكثير من جوانب حياة شاعرنا الكبير. كما أشكر الصديق الدكتور أحمد عبدالله السومحي الذي أمدني بكثير من القصائد وكثير من الآراء القيمة وسهر الليالي في مراجعته.

أما المؤرخ اليمني المعروف السيد محمد بن أحمد الشاطري فيعود له الفضل في مساعدتي في التعريف بالكثير من الأعلام اليمنية التي عاصرها ممن ورد ذكره في هذا الديوان، وكذلك السيد أحمد عمر بافقيه الذي كان له دور في التعريف بالقصائد التي تتصل بأندونيسيا وسنغافورا كعَلَمٍ من أعلام الصحافة الحضرمية في تلك البلاد.

ولا أنسى السادة محمد عبدالله البيض وعلي عبدالله السقاف وأحمد محمد صالح بابقي وغيرهم ممن لا تستحضرهم الذاكرة الآن، فإن لهم كبير الأثر على التشجيع والسعي بالكلمة والفعل للتعجيل بإخراج هذا الديوان إلى النور.

وأسأل الله أن يوفقنا إلى إخراج بقية شعر باكثير، وهو الأكثر والأهم، وخاصة شعره الناضج في مصر ليحتل هذا الشاعر الكبير مكانه اللائق بين شعراء العربية الأفذاذ. والله وليّ التوفيق.

محمد أبو بكر حميد

الفهرس

باب النسيب ١١١ - ١٤٦

باب الإخوانيات ١٤٧ - ١٦٦

باب الاجتماعيات ١٦٧ - ٢٣٧

باب الرثاء ٢٣٩ - ٢٨٢

باب الاستيحاء والتشطير ٢٨٣ - ٢٨٨


1 4 AUG 1989







أزهار الربى في شعر الصبا

يقف علي أحمد باكثير في مركز الصدارة بين أدباء العرب المعاصرين، وذلك للمعان نجمه في عالمي «المسرح» و «الدرامية» وسطوعه كثيراً في الحياة الأدبية. لوقوفه وراء أكثر من ريادة، ولعطائه المتنوع في أكثر من فن أدبي، ولمواقفه الشريفة التي يكون وراءها دائماً التزامه العربي الإسلامي الجاد، ذلك الالتزام الذي أعطاه ملامحه الفكرية الثابتة طوال حياته، وميّزه عن أدباء زمانه.

هذا الديوان يعتبر باكورة باكثير الشعرية، والاندفاعة الأولى لطاقته الإبداعية التي تؤكد أن بواكيره كانت ناضجة، وأن تمكّنه من العربية يستند إلى خلفية عريضة وموغلة في التراث، وإلى وعي عميق باللغة، وتفهم ناضج لإشكالاتها. ولم يكن هذا إلا نتاجاً لعبقريته الشعرية التي تميزت بعاطفة مشبوبة، وحسٍّ مرهف، وحدس لمّاح، وبصيرة ذكية حادة.

إنها خطوة أولى لتقديم ديوان باكثير كاملاً في المستقبل القريب - إن شاء الله.

ولعل أهم ما في هذا الديوان أنه يقدم للدارسين القاعدة الأولى التي انطلق منها الشاعر، مما يجعل دراسته من خلال مراحل تطوره أكثر موضوعية وإمتاعاً.

توزيع

دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان


الدار اليمنية
للنشر والتوزيع



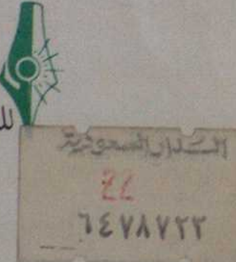
أزهار الربى في شعر الصبا

يقف علي أحمد باكثير في مركز الصدارة بين أدباء العرب المعاصرين، وذلك للمعان نجمه في عالمي «المسرح» و «الدرامية» وسطوعه كثيراً في الحياة الأدبية، لوقوفه وراء أكثر من ريادة، ولعطائه المتنوع في أكثر من فن أدبي، ولمواقفه الشريفة التي يكون وراءها دائماً التزامه العربي الإسلامي الجاد، ذلك الالتزام الذي أعطاه ملامحه الفكرية الثابتة طوال حياته، وميّزه عن أدباء زمانه.

هذا الديوان يعتبر باكورة باكثير الشعرية، والاندفاعة الأولى لطاقته الإبداعية التي تؤكد أن بواكيره كانت ناضجة، وأن تمكّنه من العربية يستند إلى خلفية عريضة وموغلة في التراث، وإلى وعي عميق باللغة، وتفهم ناضج لإشكالاتها. ولم يكن هذا إلا نتاجاً لعبقريته الشعرية التي تميزت بعاطفة مشبوبة، وحسٍّ مرهف، وحدس لمّاح، وبصيرة ذكية حادة.

إنها خطوة أولى لتقديم ديوان باكثير كاملاً في المستقبل القريب - إن شاء الله.

ولعل أهم ما في هذا الديوان أنه يقدم للدارسين القاعدة الأولى التي انطلق منها الشاعر، مما يجعل دراسته من خلال مراحل تطوره أكثر موضوعية وإمتاعاً.



الدار اليمنية للنشر والتوزيع

توزيع

دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان



أزهار الربى في شعر الصبا

يقف علي أحمد باكثير في مركز الصدارة بين أدباء العرب المعاصرين، وذلك للمعان نجمه في عالمي «المسرح» و «الدرامية» وسطوعه كثيراً في الحياة الأدبية، لوقوفه وراء أكثر من ريادة، ولعطائه المتنوع في أكثر من فن أدبي، ولمواقفه الشريفة التي يكون وراءها دائماً التزامه العربي الإسلامي الجاد، ذلك الالتزام الذي أعطاه ملامحه الفكرية الثابتة طوال حياته، وميّزه عن أدباء زمانه.

هذا الديوان يعتبر باكورة باكثير الشعرية، والاندفاعة الأولى لطاقته الإبداعية التي تؤكد أن بواكيره كانت ناضجة، وأن تمكّنه من العربية يستند إلى خلفية عريضة وموغلة في التراث، وإلى وعي عميق باللغة، وتفهم ناضج لإشكالاتها. ولم يكن هذا إلا نتاجاً لعبقريته الشعرية التي تميزت بعاطفة مشبوبة، وحسّ مرهف، وحدس لمّاح، وبصيرة ذكية حادة.

إنها خطوة أولى لتقديم ديوان باكثير كاملاً في المستقبل القريب - إن شاء الله.

ولعل أهم ما في هذا الديوان أنه يقدم للدارسين القاعدة الأولى التي انطلق منها الشاعر، مما يجعل دراسته من خلال مراحل تطوره أكثر موضوعية وإمتاعاً.



الدار اليمنية للنشر والتوزيع

توزيع

دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان